بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : **عبد الله بن عيسى بن موسى الأحمدي.** كلية : **الدعوة وأصول الدين.** قسم : **العقيدة.**

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : **الماجستير .** في تخصص : **العقيدة.**

عنوان الأطروحة : **" الإخلاص حقيقته ونواقضه ".**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه – والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٤٢٤/٢/١٣هـ – بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة وحيث قد تم عمل اللازم، فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ..

والله الموفق،،،

أعضاء اللجنة

المشرف	**المناقش الداخلي**	**المناقش الداخلي**
الاسم : أ . د . محمد حسان كسبة	الاسم : أ . د . الخضر بن عبد الرحيم أحمد	الاسم : أ . د . أحمد السيد علي رمضان
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

يعتمد

رئيس قسم العقيدة

الاسم : د / عبد العزيز بن أحمد الحميدي

التوقيع :

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة







الإخلاص حقيقته ونواقضه

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من قسم العقيدة

إعداد الطالب

عبدالله بن عيسى بن موسى الأحمدي

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور

محمد حسان محمد كسبة

الجزء الأول

العام الدراسي: ١٤٢٣/١٤٢٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

اسم البحث: الإخلاص حقيقته ونواقضه.

هدف البحث:

١- التعرف على حقيقة الإخلاص في ضوء الكتاب والسنة ووفق فهم سلف الأمة .

٢- بيان : حكم الإخلاص، وشروطه وأركانه، ودرجاته، ومجالاته، والطرق المشروعة لتحصيله، واهتمام السلف به .

٣- بيان : ثمار الإخلاص، وآثاره على الأعمال، ومفاسد عدم تحقيقه .

٤- بيان : التصورات الخاطئة عن الإخلاص تحذيراً للمسلمين منها .

٥- بيان : نواقض الإخلاص، وحكم كل ناقض، وأثره على الإخلاص .

أهمية البحث :

الإخلاص شرط لقبول الأعمال كلها، وعدم تحقيقه قد يوقع المسلم في الشرك برب العالمين؛ ولذا فإنّ دراسته فيها تأصيل لمسائله وبيان لنواقضه حتى يحذرها المسلم .

محتوياته :

اشتمل البحث على ما يلي :

١- المقدمة

٢- الباب الأول ((الإخلاص حقيقته وثماره)) :

وفيه ثلاثة فصول : الفصل الأول ((حقيقة الإخلاص))، الفصل الثاني ((ثمار الإخلاص وآثاره))، الفصل الثالث ((تصورات خاطئة عن الإخلاص)) .

٣- الباب الثاني ((نواقض الإخلاص)) :

وفيه سبعة فصول : الفصل الأول ((الشرك الأكبر))، الفصل الثاني ((الشرك الأصغر))، الفصل الثالث ((الرياء))، الفصل الرابع ((السمعة))، الفصل الخامس ((إرادة الدنيا بعمل الآخرة))، الفصل السادس ((الهوى))، الفصل السابع ((العمل لتحقيق شهوات النفس وحظوظها)) .

٤- الخاتمة ..

٥- الفهارس العامة .

أهم نتائج البحث :

١- الإخلاص شرط صحة لجميع الأعمال فلا يقبل عمل بدونه، كما أنه مجال متسع للحياة يدخل جميع شئونها، وله ثمار كثيرة، وآثار تعود على الأعمال تبين أهميته وعظم أمره .

٢- انتشرت بعض المفاهيم الخاطئة عن الإخلاص حالت دون تحقيقه حاول الباحث أن يلقي الضوء عليها معالجاً لها .

٣- نواقض الإخلاص كثيرة لكنَّ عقد متفرقاتها : إرادة ما سوى الله بالعمل كائناً ما كان، حاول الباحث بيان أشهرها مما يندرج غيره تحته مبيناً أثر كل ناقض على الإخلاص .

أهم التوصيات :

التأكيد على ضرورة دراسة أعمال القلوب في أبحاث علمية رصينة انطلاقاً من نصوص الكتاب والسنة الصحيحة ووفق فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم، ونشرها بين الناس نصحاً للأمة، مع التعرض للتصورات الخاطئة المنتشرة بين الناس عنها، مع بيان الحق في ذلك .

Summary

Title of Research: Sincerity its Realization and its Nullifiers

The Goals of this Research:

1. Knowing the reality of sincerity in light of the Quran and the Sunnah (Traditions of the Prophet-peace be upon him) also coinciding with the understanding of the Predecessors.
2. Resolve: The legislation of sincerity, its conditions, its pillars, its levels, things that enter sincerity, legal ways of obtaining it, the care given to it by the predecessors.
3. Resolve: The fruits of sincerity its effects on actions, the destructiveness of leaving it (sincerity) off.
4. Resolve: The wrong ideologies of sincerity with a warning to the muslim against it.
5. Resolve: The nullifiers of sincerity, the ruling of each nullifier, and the effect it has on sincerity.

The Importance of this Research:

Sincerity is a condition for acceptance of actions (all of it), and its abandonment lands the muslim in attributing partners with the Lord of Creation, and for that definitely its study is a clarification of its contents and a explanation of its nullifiers so the muslim can be cautious of it.

Contents:

The research contains the following:

1. Introduction
2. Chapter One (Sincerity its Realizations and its fruits); and it consists of three sections:
   Section One – The Realization of Sincerity
   Section Two – The Fruits of Sincerity and its effects
   Section Three – Misconceptions of Sincerity
3. Chapter Two (Nullifiers of Sincerity); and its consists of seven sections:
   Section One – The Large Scale Attribution of Partners
   Section Two- Small Scale Attribution of Partners
   Section Three- Exhibitionism (Showing Off to be seen)
   Section Four – Exhibitionism (Showing Off to be heard)
   Section Five – Management of worldly affairs (ad dunya) with the affairs of the Here-after (al akhira)
   Section Six – Desires
   Section Seven – The work of Restraining the Cravings of the soul and its Fortunes
4. Conclusion
5. General Indexes

Results of Research

1. Sincerity is a condition of wellness for all actions, and actions are not accepted with out it. Just as it happenings broaden the entrance for all of its orders, its fruits are plentiful and its effects return to the actions which explain its importance and its greatness.
2. The spreading of some misunderstandings of sincerity was impeded with out the need of the researcher to further spread light on correcting it.
3. The nullifiers of sincerity are plentiful and the binding factor which brings together these nullifiers is the desiring of other than Allah t'ala in actions under all conditions with the attempt of the researcher to explain the more well-known nullifiers, that which includes other than it having an effect on each nullifier of sincerity.

Suggestions:

The reinforcement to the need of the study of the actions of the heart in workshop from the literature from the Quran and the Purified Traditions of the Prophet (may the peace and blessings of Allah be upon him) in concurrence of Righteous Predecessors (may Allah be please with them) with lands the people as an advice to the muslim nations while opposing the misconceptions that are between the people with the explanation of the truth in that.

مقدمة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له ،وأن محمداً –صلى الله عليه وسلم- عبده ورسوله بلغ الرســالة ، وأدى الأمانة ،ونصح الأمة حتى أتاه اليقين، وبعد:

فلما كانت أعمال القلوب من أهم ما يعنى به المسلم ،ومن أجلها الإخـلاص لله في جميع ما شرع وإفراده وحده ســبحانه بتوحيد القصد والطلب ، بل جميع العبـــادات والتكاليف لا تقبل إن لم يتحقق فيها شــرط الإخــلاص ، وقد يعتري الإخلاص مــن الشــوائب والآفات ما يكدره إمــا إبــطالاً له ،أو نقصاً في أجـــره ، فقـد وقــع اختياري على هذا الموضوع ، والبحث فيه وهو :

((الإخلاص حقيقته ونواقضه))

راجياً من الله أن يقبل عملي ويحقق أملي، والله من وراء القصد .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

١- أن الإخلاص من أعمال القلوب ، وقد حث الشرع على استكمالها ، وذكر الأئمة أهميتها ، وفضلها، وبينوا عظيم شأنها ، يقول ابن أبي جمرة: ((وددت أنه لو كان من الفقهاء من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم ويقعد إلى التدريس في أعمال النيات ليس إلا ، فإنه ما أتى على كثير من الناس إلا من تضييع ذلك)) [1]

٢- أن أعمال القلوب - ومنها الإخلاص- هي الأصل ، وأعمال الجوارح تبعٌ ومكملة، وإن النية بمترلة الروح، والعمل بمترلة الجسد الذي إذا فارقته الروح فموات، فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح،وقد نبه أهل العلم على أهميتها وعظيم أمرها، وفي دراسة هذه الموضوعات إبراز لتلك الأهمية وتأكيد لكلامهم [2] .

٣- الإخلاص شرط في قبول الأعمال كلها وما كان كذلك فجدير به أن يدرس دراسة علمية مفصلة تعالج مسائله قال الفضيل بن عياض في قول الله تعالى:﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ۚ ﴾ [3] ، قال: أخلصه وأصوبه، قال :

((إن العمل إذا كان خالصاً و لم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً و لم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً...)) [4]

٤- ومما يزيد الموضوع أهمية أن فقد الإخلاص يوقع المسلم في الشرك برب العالمين، ومن لم يعرف ما يضاده فقد يقع في هذا المترلق الخطير .

---

(١)المدخل، لابن الحاج، ١/٣

(٢)ينظر بدائع الفوائد، لابن القيم، ٣/٥٠٧

(٣)الملك (٢٠٠)

(٤)الإخلاص والنية، لابن أبي الدنيا، ٥٠

٥- وفي الموضوع مسائل تحتاج مزيد دراسة للوصول لنتائج صحيحة لكي لا يقع المسلم في المحذور، وهناك أمور دقيقة لا يفطن المرء لها قد تضيع أجر العامل وتحبط عمله، والأمثلة كثيرة ومن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام –رحمه الله– حيث قال : ((... فإذا قصد **أن يخلص لله** ليصير عالماً، أو عارفاً، أو ذا حكمة، أو صاحب مكاشفات وتصرفات ونحو ذلك فهو هنا لم يرد الله ، بل جعل الله وسيلة له إلى ذلك المطلوب الأدنى...)) [1]

٦- وفي عصرنا الحاضر استجدت مسائل ودراستها فيه نصح للمسلمين لبيان وجه الحق مثل : طلب العلم لتحصيل الشهادات وأثره على الإخلاص، ومثل: حكم الجوائز التي تعطى في المسابقات الشرعية وأثرها على الإخلاص.

٧ – انتشار **مفاهيم خاطئة عن حقيقة** الإخلاص ، وكذا تصورات خاطئة عن **بعض الأعمال** التي تظن أنها إخلاص وهي ليست بإخلاص، والعكس ، اعتنقها بعض المسلمين وبيانها والتحذير منها له أهمية في نصح المسلمين.

–ومن الأمثلة الخاطئة عن **حقيقة** الإخلاص والتصورات الخاطئة **لمفهومه** :

أ- اعتقاد أنَّ التصوف يحقق للإنسان تجرده عن ميوله ونزعاته الفطرية التي تناقض الإخلاص،وهذا تصور منحرف لسببين وهما: ظنهم أنَّ الميول والترعات الفطرية تناقض الإخلاص، وأنَّ التصوف يحقق ذلك؛ ومن ثَمَّ دعوا للتصوف الذي يصفي النفس من كل شائبة تكدر صحة الإخلاص قال الجنيد – رحمه الله -: « ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسنات؛ **لأنّ التصوف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى**[2] ،وأصله التعزف عن الدنيا ... »[3]

---

[1] درء التعارض، ٦/٦٦-٦٧

[2] وصفاء المعاملة مع الله تعالى هو الإخلاص، لكنهم جعلوه التصوف ؛ ترغيباً فيه وأضافوا له أمورا زعموا أنها تضر بالإخلاص مع أنها لا تضر به، فأخطئوا في هذين الأمرين .

[3] طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن، ١٥٨،وللذهبي تعليق هام على العبارة في: سير أعلام النبلاء، ١٤/٦٩-٧٠.

وهذا مما بين الأئمة فساده، كما قال الشاطبي -رحمه الله-:

«الأوصاف التي طبع عليها الإنسان كالشهوة إلى الطعام والشراب لا يطالب برفعها ولا بإزالة ما غرز في الجبلة منها فإنه من تكليف ما لا يطاق» (١)

ب- وهناك من فهم أن الإخلاص لا يتحقق إذا **كان قصد العبد طلب النعيم الأخروي**، كما قال رويم:

« الإخلاص ألاَّ يريد على عمله عوضاً في الدارين » (٢)

ولا يخفى أن النصوص قد حثت على طلب نعيم الآخرة وحذرت من العذاب في الآخرة ،كما قال

-سبحانه وتعالى- في وصف عباده الصالحين: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (٣) وغير ذلك من مفاهيم خاطئة.

-ومن التصورات الخاطئة لبعض الأعمال والظن أنها من الإخلاص ،وهي ليست كذلك ،من يعلِّم الناس لا طلباً للأجر لكن تلذذاً بذلك،وكالذي يغزو ليمارس قوته، وغير ذلك كثير.

-ومن التصورات الخاطئة لبعض الأعمال والظن أنها تنافي الإخلاص مع كونها لا تنافيه، السكوت عن المعاصي قد يَظن أنَّ سكوته عن ذنبه رياء والحديث عنه فيه بعد عن الرياء ،حتى وصل الحال ببعضهم أن يطلب ذمَّ الناس وهم الذين يسمون بالملامية كما أوضح حالهم شيخ الإسلام رحمه الله .(٤)

٨- ولرغبتي في الإلمام بجوانب هذا الموضوع.

---

(١)الموافقات، للشاطبي، ٧٢/٢.

(٢)المجموع ، للنووي، ٣٠/١

(٣)(الفرقان ٦٥)

(٤)ينظر مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام، ١٦٤/٣٥

٩- لم أقف –حسب علمي – فيما اطلعت عليه على مؤلف شامل جامع لحدوده مفصل لمسائله كما هي طبيعة الأبحاث العلمية وهناك من عالج مسائل منه وقد تركت مسائل أخرى مبثوثة في مصنفات أهل العلم ولا يخفى ما في جمعها من عظيم النفع. وهذا بيان ما وقفت عليه من الدراسات السابقة :

الدراسات السابقة :

تضمنت كتب العقيدة، والحديث وشروحه، و التفسير، وكتب الوعظ والسلوك الحديث عن هذا الموضوع، ومسائله مبثوثة فيها وهناك من أفرد الموضوع بمصنف مستقل، وهذا بيان ما وقفت عليه منها، مع دراسة موجزة عن هذه المصنفات وهي :

١- الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا:

وهو عبارة عن كتاب مسند روى فيه الأحاديث والآثار مسندة، وبلغ عددها ثمانين حديثاً، وأثراً ،وكان عدد صفحات الكتاب خمساً وأربعين صفحة، وقد طبع الكتاب بتحقيق إياد الطباع، ورسالة ابن أبي الدنيا رسالة مختصرة ترك أحاديثَ كثيرة و آثاراً أكثر و لم يتطرق لمسائل كثيرة في هذا الموضوع، ولعل مصنفه هذا أول مصنف مستقل يصل إلى أيدينا.

٢- رسالة الإخلاص لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي ت /٣٧٣هـ:

والكتاب عبارة عن باب الإخلاص من كتاب تنبيه الغافلين لأبي الليث ثم طبع مستقلاً، والرسالة صغيرة لا تتجاوز خمس عشرة صفحة، تحدث فيها مصنفها عن الإخلاص، وفضله، وأورد أحاديثَ وآثاراً، ومواعظ في هذا الموضوع، ونصوصاً في التحذير من الرياء، وبعض الأقوال والمواعظ المنفرة منه كل ذلك بإيجاز واختصار.

٣- الإخلاص للدكتور عمر سليمان الأشقر :

وهو عبارة عن الباب الثاني من رسالة الدكتوراة للمؤلف، فقد طبعت سابقاً تحت

عنوان: ((مقاصد المكلفين))، ثم طبع الباب الثاني مستقلاً تحت عنوان ((الإخـــــلاص)) تضمن فصلاً عن الإخلاص، وفصلاً في تأثير القصد في أفعال المكلفين وملحق للكتـاب، ويلاحظ أنَّ الكتاب كتب في تخصص الفقه وما يتعلق بالنيات.

وقد تكلم عن الإخلاص في مائةٍ وأربعين صفحة، وحيث أن الرســـــالة لم تكـــن خاصةً بموضوع الإخلاص فقد جاء الباب الثاني من الرسالة مختصـــــراً، ولعــل أبـــرز الملاحظات ترجح إلى أمرين :

أولاً- تركه لمواضيع لها ارتباط بموضوع الإخلاص لم يتطرق لها.

ثانياً- بعض المواضيع التي عالجها كان فيها اختصار شديد وترك مسائل هامة بها .

وبيان هذه الملاحظات كما يأتي :

أولاً – بالنسبة للمواضيع التي لم يتطرق إليها فمنها :

أ- مواضيع تخص موضوع الإخلاص ومن ذلك :

١- آثار الإخلاص على الأعمال كما ورد في النصوص الشرعية مع أن النصوص مليئـــةٌ بهذا.

٢- ثمار الإخلاص وفوائده.

٣- مفاسد عدم تحقيقه.

٤- طرق تحصيل الإخلاص.

٥- ما يتوهم أنه إخلاص وليس بإخلاص والعكس.

ب- مواضيع تتصل بنواقض الإخلاص لم يتطرق إليها ومنها :

١- الشرك الأكبر.

٢- إرادة الدنيا لم يذكر إلاَّ قولاً واحداً وأعرض عـــــن بقيـــة الأقـــوال في أنواعـــها وأحكامها، و لم ينبه على الفرق بين الرياء وإرادة الدنيا مع أنه قد فرق بينهما جمـــع من الأئمة: كابن قدامة، والبغوي، ومحمد بن عبد الوهاب، وسليمان بن عبـــد الله بن محمد بن عبدالوهاب، بل عقد القرافي –رحمه الله– فصلاً كــــاملاً في كتابـــه

الفروق لبيان الفرق بينهما، وكانت معالجته لهذا المبحث موجزة، وطرقها عرضاً.

٣- العمل لتحقيق شهوات النفس من كبر وغيره ، وكيف تنقض الإخلاص، وقد قال النووي -رحمه الله-:

((اعلم أن الإخلاص قد يعرض له آفة العجب فمن أعجب بعمله حبط عمله وكذلك من استكبر حبط عمله))[1] .

ثانياً- بالنسبة للمواضيع التي طرقها ولكنه اختصرها فمنها :

١- السمعة: طرقها في فصل المقاصد السيئة تحت موضوع الرياء و لم يعرفها، و لم يذكر خلاف العلماء في إفسادها العبادة من عدمه، بل كانت معالجته مختصرة لها في قرابة صفحة ونصف.

٢- العجب: اختصره كما في حديثه عن السمعة.

٣- وفي مبحث الرياء: ترك مسائل هامة كمسألة أثر الرياء على الإخلاص في الأعمال إن خالطها أو كان بعدها، و لم يبين حكم من عرض له الرياء فدفعه، والعبادات التي داخلها الرياء وكان ما قبلها متصلاً بما بعدها، والتي ليس بينها اتصال، و لم يذكر إلا مسألة الرياء مع العمل إذا كان متمحضاً أم لا،وغير ذلك من مسائل تركها.

ومما يلاحظ على منهج المؤلف أنه يكتفي بعزو الحديث إن كان في غير الصحيحين دون ذكر لدرجة الحديث وكلام أهل العلم فيه وهذا في الغالب عليه، ولا يخفى أن هذا له أثره في اختلاف نتائج البحث، وأحكامه.

ومع ذلك كله فهو أجود ما اطلعت عليه من الدراسات حتى الآن .

٤- مفهوم الإخلاص في التربية الإسلامية لسعد سالم سعيد المالكي:

وهو عبارة عن متطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية المقارنة من كلية التربية بجامعة أم القرى .

---

(1) شرح الأربعين النووية ، للنووي ، ١٦ .

أما عن عرضه لموضوع الإخلاص فقد تحدث في الفصل الثاني عن ((مفهوم الإخلاص)) : معناه، حقيقته، أهميته، محله، حكمه، شروطه، مجالاته،مظاهره، بعض نواقضه.

وكل ذلك بإيجاز شديد فلم يتجاوز عدد صفحات الفصل ثلاثين صفحة، وقد ترك بعض النواقض، وما تحدث عنه فكان باختصار شديد في قرابة اثني عشرة صفحة ولم يتطرق لأثر النواقض على الأعمال ومدى تأثيرها في إخلاص عمل المرء وفي الفصل الثالث كان عن: ((نماذج من أهل الإخلاص)) عرض نماذج :١- للأنبياء ٢- ثم الصحابة ٣- ثم السلف في خمس وعشرين صفحة، وكان عبارة عن سيرهم باختصار.

وفي الفصل الرابع كان عن ((واقع الإخلاص في التربية الإسلامية)) ثم الخاتمة. وجل البحث كان عن الفصل الرابع ((واقع الإخلاص في التربية الإسلامية)).

٥- الإخلاص وأثره في الدعوة إلى الله، لعبدالله بن عمر العمودي :

وهو عبارة عن بحث تكميلي لمرحلة الماجستير تقدم بها الباحث لكلية الدعوة بالمدينة المنورة بقسم الدعوة والاحتساب تخصص ((دعوة)) .

الملاحظات على الرسالة :

- ملاحظات إجمالية:

١-الرسالة كتبت في تخصص الدعوة ودرست الموضوع من هذا الجانب.

٢-الرسالة مختصرة جداً حيث أنها تقع في قرابة مائة وخمسين صفحة .

٣-موضوعات الرسالة يلاحظ عليها أمران :

- هناك موضوعات لم يتطرق لها الباحث أصلاً.

- موضوعات تطرق لها الباحث وكانت دراسته مختصرة لها.

-وبيان هذه الملاحظات كما سيأتي :

أ- بالنسبة للموضوعات التي لم يتطرق لها وهي قسمان :

أولاً: موضوعات تمس موضوع الإخلاص وهي:

١-محل الإخلاص .

٢-درجاته.

٣-مجالاته.

٤ -طرق تحصيله.

٥-ثمار الإخلاص وهذا المبحث لم يتطرق إليه إلاَّ فيما يمس جانب الدعوة إلى الله.

٦- آثار الإخلاص على الأعمال كما ورد في نصوص الشرع.

٧- التصورات الخاطئة عن حقيقة الإخلاص .

٨- ما يتوهم من الأعمال أنه إخلاص وهو ليس بإخلاص .

٩- مايتوهم أنه ليس بإخلاص مع أنه إخلاص .

١٠- ترك العبادة لتحقيق الإخلاص .

١١- ترك العمل وطلب الرزق لنبذ الدنيا وتحقيق الإخلاص .

ثانياً: بالنسبة للمواضيع التي تمس نواقض الإخلاص لكن لم يتطرق لها الباحث فمنها:

١- الهوى.

٢- السمعة.

٣- التعبد بقصد الإطلاع على العوالم الغيبية.

-أمَّا الموضوعات التي طرقها وكانت معالجته مختصرة لها فبيانها كما يلي :

لقد كانت معالجة الباحث عموماً لموضوعات البحث مختصرة ومن ذلك عرضه لبعض نواقض الإخلاص فقد كان عدد الصفحات قرابة خمس وخمسين صفحة لجميع النواقض التي طرقها الباحث وبيان ذلك كما يلي :

١- الشرك بأنواعه اختصره الباحث في مبحثٍ واحدٍ، و لم يبن أثره على الإخلاص و لم يدرس الرياء بأنواعه وأثر كل نوعٍ على الإخلاص ، و لم يذكر حكم الأعمال إذا خالطها الرياء أو كان بعدها ،والأعمال التي يتصل ما بعدها بما قبلها وحكمها إذا خالطها الرياء في أثناء تأدية العبادة بل درس الموضوع دراسة عامة.

٢- الحرص على الدنيا لم يذكر خلاف العلماء في الفرق بينها وبين الرياء، ولم يذكر أنواعها مبرزاً أثر كل نوعٍ على إخلاص المرء، ولم يتطرق لبيان حكم المسائل المستجدة في العصر الحاضر مثل : حكم المسابقات في العلوم الشرعية وأثرها على الإخلاص ، وحكم طلب العلم الشرعي لنيل الشهادة ولحظوظ الدنيا وأثره على الإخلاص، وحكم الحج طلباً للتجارة والغزو طلباً للغنيمة وغيرها من مباحث.

٣-الكبر والعجب جعلهما في مبحث واحد ، ولم يبن كيف ينقضان إخلاص المرء، والخلاف في كونها من النواقض أم لا، ولم يذكر طرق علاجهما ، ولم يذكر الفرق بينهما بل كانت معالجته للموضوع مختصرةً لهما.

٤- الحقد والحسد اختصرهما كما في الكبر والعجب.

والذي دعا الباحث لهذا الاختصار أن هدف البحث كان لبيان أثر الإخلاص في الدعوة إلى الله وأن النية الخالصة تحض على عمل الخير ، وأنَّ الدعاة أولى الناس بهذا لكونهم القدوة للناس .

ولذا فقد قسم البحث لثلاثة فصول وهي:

- الفصل الأول عن ((حقيقة الإخلاص)) ذكر فيه ثلاثة مباحث الأول عن ((تعريف الإخلاص)) الثاني عن((شروط الإخلاص)) الثالث عن ((نماذج للإخلاص من حياة الأنبياء)) وجل الفصل عن هذا المبحث .

- الفصل الثاني عن((نواقض الإخلاص)) وكان مختصراً جداً في قرابة خمسٍ وخمسين صفحة وتقدمت الملاحظات عليه.

- الفصل الثالث عن ((أثر الإخلاص في الدعوة إلى الله ومظاهره)) وهو هدف البحث.

٦- الإخلاص وأثره في قبول الأعمال للدكتور /عبد الله محمد الطيار:

تحدث في مؤلَفه عن الإخلاص : أهميته، علاماته، ثماره، ثم نبذة مختصرة عن الرياء وعلاجه، والكتاب كانت معالجته للموضوع مختصرة، فقد ترك كثيراً من نواقض

الإخلاص، كما ترك مسائل كثيرة تتصل بموضوع الرياء وكانت صفحـــات الكتـــاب قرابة ثمانين صفحة، وقد صرح المؤلف بأن حديثه سيكون مختصراً،ولعلّ هذا ما دعـــاه لترك مواضيع كثيرة تخص الإخلاص كطرق تحصيله، وفضله كما وردت به النصــوص، و لم يتطرق لمعالجة المفاهيم الخاطئة التي تصورها بعض المسلمين عن الإخلاص، وغــــير ذلك مما يمس موضوع الإخلاص أمَّا ما يتصل بالنواقض فقد سبق أنه لم يتحدث إلاّ عن الرياء باختصارٍ شديد.

٧- الإخلاص والشرك الأصغر للدكتور /عبد العزيز العبد اللطيف:

رسالة — من القطع الصغير —موجزة في قرابة أربعين صفحة تحدث فيها عن: أهميـة الإخلاص، ثم أشار لبعض نواقضه مثل: الرياء، والسمعة، والعجب، وإرادة الدنيـــا، و لم يتحدث إلا عن الرياء منها، واكتفى بالإشارة لما سبق، ثم أتبعه برســـالة عبـــارة عـــن صفحات تحدث فيها عن الشرك الأصغر، وأنواعه وعرضه لموضوع الإخلاص والريـــاء كان موجزاً وبسيطاً ونقل كلاماً هاماً في أهمية الإخلاص وبعض دقائق الريـــاء، ومـــع صغر الكتاب إلا أنه دقيق في بابه وفيما تحدث عنه، لكنه غير شامل وترك جوانب هامة في الموضوع لم يتطرق إليها.

هذه أهم المؤلفات التي وقفت عليها وقدمت الأولى والثانية في الذكر لقدم تأليفهما أما بقية المؤلفات فحسب الأهمية —في نظري —وبعرضها يتبين أن الموضـــوع لا زال في حاجة للبحث لاستكمال الجوانب التي لم يتم بحثها بشمول سواءً مـــا كـــان يتصـــل بموضوع الإخلاص أو ما يمس موضوع نواقضه.

منهج البحث :

١-عرض آراء أهل العلم مدعومة بالدليل،والرأي الذي لم ينص صاحبه على دليلـه،و لم أجد من ذكر دليله من أهل العلم، اجتهد في بيان مأخذه من النصوص مـــاوجدت لذلك سبيلاً.

٢-الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة الصحيحة،وإن كان هناك قول لبعض أهـــل العلم مستنده حديث ضعيف،أنبه على الدليل الصحيح الذي لم يذكره،فإن لم يكن غيره بينت ضعف دليله.

٣-إن وجدتْ نصوص متعارضة،وأقوال لأهل العلم متباينة،اجتهدتُ في التأليف بينـــها، فإن لم يمكن التأليف ، اجتهدتُ في الترجيح-حسب الطاقة-مستعيناً بأقوال أهـــل العلم في هذا الباب.

٤- عزو الآيات لمواضعها من السور.

٥- تخريج الأحاديث فإن لم تكن في الصحيحين أو أحد هما اجتهد في بيـــان درجـــة الحديث مستعينا بما قاله أهل العلم بهذا الفن في درجة الحديث.

٦-نسبة الأقوال لأصحابها في مظانها ما أمكن.

٧- قد أكرر النقل لبعض أقوال أهل العلم في أكثر من موطن إن كان هذا القول هامـاً وله تعلق بأكثر من موطن.

٨-ترجمة الأعلام غير المشهورين.

٩- التعريف بالطوائف والفرق الواردة أثناء البحث.

١٠-التعريف بالأماكن- غير المعروفة- التي يرد ذكرها أثناء البحث.

١١-شرح الغريب من الكلمات التي يرد ذكرها أثناء البحث.

١٢-عمل الفهارس اللازمة.

خطة البحث :

وقد سرت – بعون الله و توفيقه – على الخطة التالية في دراسة هذا الموضوع:

المقدمة.

الباب الأول: «**الإخلاص حقيقته وثماره** ». وفيه الفصول التالية :

الفصل الأول : «**حقيقة الإخلاص** » وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : تعريف الإخلاص لغةً وشرعا.

المبحث الثاني : حكمه.

المبحث الثالث : شروطه.

المبحث الرابع : أهميته.

المبحث الخامس : محله.

المبحث السادس : درجاته.

المبحث السابع : مجالاته.

المبحث الثامن : طرق تحصيله.

المبحث التاسع : اهتمام السلف به ونماذج من ذلك.

الفصل الثاني : « **ثمار الإخلاص وآثاره** » وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : ثمار الإخلاص.

المبحث الثاني : من آثار الإخلاص على الأعمال كما ورد في النصوص.

المبحث الثالث : المفاسد الناتجة من فقد الإخلاص .

الفصل الثالث : « **تصورات خاطئة عن الإخلاص** » وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : تصورات خاطئة عن **حقيقة** الإخلاص.

المبحث الثاني : ما يتوهم أنه إخلاص وليس بإخلاص.

المبحث الثالث : ما يتوهم أنه ليس بإخلاص وهو إخلاص.

المبحث الرابع : ترك العبادة لتحقيق الإخلاص.

المبحث الخامس : ترك العمل وطلب الرزق لنبذ الدنيا وتحقيق الإخلاص.

الباب الثاني : « **نواقض الإخلاص**» ويحتوي على الفصول التالية :

الفصل الأول : « **الشرك الأكبر** » وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : تعريفه.

المبحث الثاني : حكمه.

المبحث الثالث : أنواعه.

المبحث الرابع : حكم الأعمال التي أخلص فيها الكفار والمشركون .

المبحث الخامس: بيان مناقضته للإخلاص.

الفصل الثاني : « **الشرك الأصغر** » وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : تعريفه.

المبحث الثاني : حكمه.

المبحث الثالث: الفرق بينه وبين الشرك الأكبر.

المبحث الرابع: متى يصبح الشرك الأصغر شركاً أكبر.

المبحث الخامس : الموازنة بين الشرك الأصغر والكبائر.

المبحث السادس : أنواع الشرك الأصغر.

المبحث السابع : أثر الشر ك الأصغر على الإخلاص.

الفصل الثالث : « **الرياء** » وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : تعريفه.

المبحث الثاني : حكمه.

المبحث الثالث : متى يكون الرياء شركاً أكبر.

المبحث الرابع : أسباب تحريمه.

المبحث الخامس : خوف السلف منه.

المبحث السادس : أسباب الرياء .

المبحث السابع : الأمور التي قد يرائي الإنسان بها.

المبحث الثامن : علامات تدل على الرياء.

المبحث التاسع : علاج الرياء.

المبحث العاشر : أقسام الرياء وأثر كل قسم على العمل وعلى الإخلاص فيه.

الفصل الرابع : « **السمعة** » وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول : تعريفها.

المبحث الثاني : الفرق بينها وبين الرياء.

المبحث الثالث : حكمها.

المبحث الرابع : مظاهرها.

المبحث الخامس : علاجها.

المبحث السادس : أثرها على الإخلاص.

الفصل الخامس: « **إرادة الدنيا بعمل الآخرة** » وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول : معناها.

المبحث الثاني : الفرق بينها وبين الرياء.

المبحث الثالث : أنواعها ، وأثر كل نوع على الإخلاص.

المبحث الرابع : حكم من حج طلباً للتجارة ، أو غزا طلباً للغنيمة وأثر ذلـــك على الإخلاص.

المبحث الخامس : طلب العلم للشهادة ،أو الوظيفة ، أو حظوظ الدنيا وأثـــره على الإخلاص.

المبحث السادس : المسابقات في العلوم الشـــرعية حكمـــها ،وأثرهـــا علـــى الإخلاص.

الفصل السادس : « **الهوى** » وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : تعريفه.

المطلب الثاني : حكمه.

المطلب الثالث : أثره على الإخلاص.

المبحث الرابع : ((الحقد والحسد))

وفيه مطالب :

المطلب الأول : تعريفهما.

المطلب الثاني : حكمهما.

المطلب الثالث : أسبابهما.

المطلب الرابع : علاجهما.

المطلب الخامس : أثرهما على الإخلاص وكيف ينقضانه.

الخاتمة

الفهارس

ولا أدعي أني وفيت الموضوع حقه، وحسبي أني اجتهدت وبذلت الوسع في دراسة هذا الموضوع ،فما كان فيه من صواب فالفضل لله وحده سبحانه وتعالى، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان، ولا يفوتني أن أشكر فضيلة المشرف حفظه الله على حسن توجيهه ، ودماثة خلقه، وكرم نفسه، وبذله النصح ، فقد فتح لي قلبه قبل بيته ، ومنحني غالي وقته فله مني خالص الشكر، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يبارك له في عمره وعلمه وولده أنه سميع كريم مجيب الدعاء .

كما لا يفوتني أن أشكر فضيلة المناقشين الكريمين على تفضلهما بقراءة البحث وإبداء النصح بما يعود على الباحث وبحثه بالنفع ، فبارك الله فيهما وشكر سعيهما وجعل ذلك في ميزان حسناتهما، أنه جواد كريم .

وختاماً أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يقبل أعمالنا وأن يحقق آمالنا وأن يجعل ذلك خالصا لوجهه الكريم وموجبا للفوز بجنات النعيم ، وأن يجعل ما علمنا حجة لنا لا علينا أنه خير مسؤول وأكرم مأمول، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه.

الباب الأول

الإخلاص حقيقته وثماره

الفصل الأول

حقيقة الإخلاص

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف الإخلاص لغة، وشرعا.

المبحث الثاني: حكم الإخلاص.

المبحث الثالث: شروط الإخلاص.

المبحث الرابع: أهمية الإخلاص.

المبحث الخامس: محل الإخلاص.

المبحث السادس: درجات الإخلاص.

المبحث السابع: مجالات الإخلاص.

المبحث الثامن: طرق تحصيل الإخلاص.

المبحث التاسع: اهتمام السلف به ونماذج من ذلك.

المبحث الأول

تعريف الإخلاص لغةً، وشرعاً

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الإخلاص لغـــة.

المطلب الثاني : تعريف الإخلاص في الشرع.

المطلب الثالث: إشارة الإخلاص.

المطلب الأول

تعريف الإخلاص لغة

كلمة الإخلاص مأخوذة من الفعل أخلص، وتدور على عدة معانٍ في اللغة فمنها:

١- يقال أخلص لله دينه إذا أمحضه ووحده:

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي- رحمه الله- تحت مادة «خلص» «... والإخلاص: التوحيد لله خالصاً ، ولذلك [قيل لسورة][1]: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾[2]: سورة الإخلاص ، وأخلصت لله ديني:[أمحضته]، وخلص له ديني .

و﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[3]، المخلصون: المختارون ، والمخلِصون: الموحدون ... »[4].

٢- وأخلص الشيء اختاره:

قال ابن سيده[5] -رحمه الله- تحت مادة «خلص»: « ... وأخلص لله دينه: أمحضه،

---

(١) في الأصل [قبل السورة] وهو خطأ ظاهر ونقل الأزهري هذه العبارة كما صححتها ينظر تهذيب اللغة: ١٣٩/٧.

(٢) (الإخلاص ٠٠١)

(٣) (يوسف ٠٢٤)

(٤) كتاب العين، الفراهيدي، ١٨٦/٤-١٨٧ تحقيق د/ مهدي المخزومي و/ إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، الأولى ١٤٠٨هـ ،وينظر تهذيب اللغة، للأزهري، ١٣٧/٧-١٣٩، تحت مادة ((خلص)) تحقيق د/ عبد السلام سرحان، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

(٥) هو: علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده، أبو الحسن (٣٩٨-٤٥٨هـ). من أئمة اللغة والأدب، ولد في مرسية شرق الأندلس، وكان ضريرًا ذكيًا، وتوفي في دانية، من مصنفاته: المخصص، والمحكم، والمحيط الأعظم، وغيرها.

ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٤٤/١٨-١٤٦، والأعلام، للزركلي، ٢٦٣/٤-٢٦٤.

وأخلص الشيء: اختاره ...واستخلص الشيء: كأخلصه، والخالصة : الإخـــلاص ... وكلمة الإخلاص: التوحيد ... واستخلص الرجل: إذا اختصه ... »[١].

٣- وأخلص الشيء إذا نقاه وهذبه:

قال ابن فارس[٢] -رحمه الله- تحت مادة «خلص»: «خلـــص: الخـــاء، والـــلام، والصاد، أصل واحد مطرد، وهو تنقية الشيء وتهذيبه، يقولون: خلصه من كذا وخلص هو، وخلاصة السمن: ما ألقي فيه من تمر أو سويق ليخلص به»[٣].

ويقول الراغب الأصفهاني[٤] -رحمه الله- تحت مادة «خلص»: «خلص: الخـــالص كالصافي إلا أن الخالص هو مازال عنه شوبه بعد أن كان فيه، والصافي قد يقال لمـــا لا شوب فيه، ويقال: خلصته فخلص ...فحقيقة الإخلاص: التبري عن كل مـــا دون الله تعالى»[٥].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، ٥/٣٧-٣٨، تحقيق إبراهيم الأبياري، نشر مكتبة مصطفى الحلـــبي، مصر، الأولى ١٣٩١هـ.

(٢) هو: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (٣٢٩-٣٩٥هـ) كان من أئمة اللغة والأدب، وكان ذا حديث، وفقه مذهب الإمام مالك ومهر فيه، قرأ عليه الهمذاني، والصاحب بن عباد وغيرهما، أصله مـــن قزوين، وأقام مدة بهمذان ثم انتقل إلى الري، وبها توفي. من مصنفاته: المجمل، والصاحبي، وغيرهما. ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ١٧/١٠٣-١٠٦، والأعلام، للزركلي ١/١٩٣.

(٣) معجم المقاييس في اللغة ، لأحمد بن فارس، ٣٢٧ ، تحقيق /شهاب الدين أبو عمرو ، دار الفكر ، لبنـــان، الأولى ، ١٤١٥هـ.

(٤) هو: حسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم (ت ٥٠٢هـ) أديب من الحكماء العلماء، كان من أذكيـــاء المتكلمين، من أهل أصبهان، سكن ببغداد، من مصنفاته: محاضرات الأدباء، والذريعة إلى مكارم الشريعة، وغيرها.

ينظر: سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ١٨/١٢٠-١٢١، والأعلام ، للزركلي، ٢/٢٥٥.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن، ٢٩٢-٢٩٣، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، الثانيـــة، ١٤١٨هـــ، وينظر الكليات ، لأبي البقاء، ٤١٤، تحقيق د/ عدنان درويـــش وآخـــر، الرســـالة، بـــيروت، الثانيـــة ١٤١٢هـ.

٤- وأخلص لله الطاعة ترك الرياء فيها :

قال ابن منظور -رحمه الله- تحت مادة «خلص»: «... وأخلصه وخلصه، وأخلص لله دينه: أمحضه، وأخلص الشيء: اختاره .. والإخلاص في الطاعة ترك الرياء...»[١].

٥- وأخلصه العشرة: إذا صافاه ، وأخلصت لك الشيء : إذا خصصتك به:

قال الجوهري[٢] -رحمه الله- تحت مادة «خلص»: « ... والإخلاص أيضاً في الطاعة ترك الرياء ، وقد أخلصت لله الدين . وخالصه في العشرة ، أي: صافاه. وهذا الشيء خالصة لك، أي: خاصة ...واستخلصه لنفسه: أي: استخصه ... »[٣].

مما سبق بيانه يتضح لنا أنَّ كلمة أخلص جاءت في المعاجم اللغوية دائرة حول العديد من المعاني فمن ذلك:

١- محض الشيء وتوحيده.

٢- الاختيار.

٣- التنقية والتهذيب.

٤- ترك الرياء في الطاعة.

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور، ٨٧٧/١-٨٧٨، ترتيب يوسف خياط وآخرون، دار لسان العرب، بيروت، لبنان .

(٢) هو: إسماعيل بن حماد التركي الجوهري، أبو نصر (ت ٣٩٣هـ)، أول من حاول الطيران ومات بسبب ذلك، كان من أئمة اللغة، أصله من فاراب ودخل العراق، وسافر للحجاز، وطاف بالبادية ثم أقام بنيسابور وبها مات، من مصنفاته: الصحاح، والعروض.

ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ، ١٧ /٨٠-٨٢، والأعلام، للزركلي ، ٣١٣/١.

(٣) الصحاح، للجوهري، ٨٧١/٣، بعناية مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ، الأولى ١٤١٩هـ، وينظر تاج العروس، للزبيدي، ٥٥٧/١٧-٥٦٤، تحقيق لجنة فنية بوزارة الإعلام بالكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩٧هـ .

٥- التصفية للشيء.

٦- التخصيص.

ومن المعاني اللغوية يتضح أن الفعل لا يكون خالصاً حتى يجتمع فيه أمران:

١- صفاؤه عن كل ما يشوبه .

٢- وتهذيب ذلك الفعل؛ حتى لا يشوبه غيره، بل يبقى صافياً وخالصاً لمن أريد بالفعل وهذه هي الاستقامة على الشيء.

وقد وردت نصوص من القرآن الكريم ببعض هذه المعاني اللغوية فمنها:

١- قال الله تعالى:﴿ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا ﴾[١] أي يتخلص الدم بياضه، وطعمه، وحلاوته، ما بين فرث ودم في باطن الحيوان والكل لا يشوب الآخر[٢].

٢- وقال الله تعالى في إخوة يوسف عليه السلام: ﴿ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ﴾[٣]، أي: انفردوا عن الناس، وتميزوا عن غيرهم، وخصوا بعضهم بالحديث[٤].

٣- وقال تعالى :﴿ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ﴾[٥] أي: لا يشركهم الإناث فهي حلال للرجال فحسب[٦].

---

(١) (النحل ٦٦٠)

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٦٣٣/٢، تحقيق: لجنة بإشراف الناشر، دار الخير، بيروت، الثانية، ١٤١٢هـ .

(٣) (يوسف ٨٠٠)

(٤) ينظر المصدر السابق، ٥٣٤/٢.

(٥) (الأنعام ١٣٩)

(٦) ينظر تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢٠٢/٢، وتيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ٢٧٦،تحقيق عبدالرحمن معلا اللويحق، الرسالة، بيروت، لبنان، الأولى ١٤٢١هـ

المطلب الثاني

تعريف الإخلاص في الشرع

تنوعت عبارات أهل العلم في تعريف الإخلاص، وتجتمع في ثلاثة اتجاهات:

أولا: ما كان منها غير جامع، فلم يكن ذلك التعريف مستوعبا ما يشمله المعرف.

ثانيا: ما كان منها غير مانع، فلم يكن مانعا من مشاركة غير المعرف في التعريف، فهو يشمل المعرف وغيره.

ثالثا: ما كان منها جامعا مانعا .

وسأورد بعضا من هذه التعريفات تحت كل اتجاه.

أولا: ما كان منها غير جامع، ومن ذلك:

أ – من قصر تعريفه فلم يلتفت إلا لناقض العجب:

قال رويم[١]: «الإخلاص: ارتفاع رؤيتك عن فعلك»[٢].

وقيل: «الإخلاص: فقد رؤية الإخلاص لأن كل من شاهد في إخلاصه الإخلاص فقد احتاج إخلاصه إلى إخلاص»[٣].

---

(١) هو: رويم بن أحمد بن يزيد، وقيل: رويم بن محمد، أبو محمد (ت ٣٠٣هـ) من أهل بغداد، شيخ الصوفية، تفقه على مذهب داود، وكان مقرئا، زاهدا عابدا، له كلمات وعظية بليغة.

ينظر: طبقات الصوفية، للسلمي، ١٨٠-١٨٤، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٤/٢٣٤-٢٣٥.

(٢) ينظر تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي، ٨/٤٢١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، وصفة الصفوة، لابن الجوزي، ٢/٤٤٢، تحقيق محمود فاخوري وقلعجي، دار الوعي، حلب، الأولى، ١٣٩٠هـ

(٣) ينظر الرسالة القشيرية، ٢٠٨، تحقيق د/ معروف رزيق وآخر، دار الخير، بيروت، لبنان، الأولى ١٤١٢هـ، وينظر تصفية القلوب، ليحي الذمار، ٣٤٢، تحقيق د/ حسن الأهدل، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الثانية، ١٤١٥هـ

قال الغزالي معلقاً على التعريف السابق: « وما ذكره إشارة إلى تصفية العمل عن العجب فإن الالتفات إلى الإخلاص والنظر إليه عجب، وهو من جملة الآفات، والخالص: ما صفا عن جميع الآفات »[1].

وقال الذمار[2] معلقا على التعريف السابق: «وحاصل هذه المقالة الإشارة إلى تصفية العمل عن العجب بالفعل ... والعجب من جملة الآفات والخالص: ما صفا من جميع الآفات»[3].

ب- من قصر تعريفه فلم يلتفت إلاّ لناقض الرياء ومن هذه التعريفات:

قال سعيد بن جبير -رحمه الله-: «... فالإخلاص: أن يخلص العبد دينه وعمله لله فلا يرائي بعمله أحداً ويكون ذلك في سبيل الحق كله فذلك الإخلاص»[4].

وقيل في تعريفه أيضا: «لا يحب حمد المخلوقين، ولا ذمهم»[5].

قال القرطبي -رحمه الله-: «الإخلاص: حقيقته تصفية الفعل عن ملاحظة

---

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي، ٤/٥٠٢، بعناية/ محمد الدالي بلطة، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، الرابعة ١٤٢٠هـ

(٢) هو: يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلوي الطالبي (٦٦٩-٧٤٥هـ)من كبار أئمة الزيدية وعلماء اليمن، يروى أنّ كراريس تصانيفه زادت على أيام عمره، لقب بالمؤيد بالله، وتوفي في حصن هران قبل ذمار باليمن، من الكتب التي صنفها: تصفية القلوب، ونهاية الوصول إلى علم الأصول، والمحصل في كشف أسرار المفصل، وغيرها.

ينظر: البدر الطالع، للشوكاني، ٨٤٩-٨٥٢، تحقيق د/حسين عبد الله العمري، دار الفكر، دمشق، الأولى ١٤١٩هـ، والأعلام، للزركلي، ٨/١٤٣-١٤٤.

(٣) تصفية القلوب، يحي الذمار، ٣٤٣

(٤) تعظيم قدر الصلاة، للمروزي، ٢/٥٦٦، تحقيق د/ عبد الرحمن الفريرائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الأولى، ١٤٠٦هـ وضعف المحقق سنده وسقته استئناساً.

(٥) شعب الإيمان، للبيهقي، ٥/٣٤٧، رقم (٦٨٧٧)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤١٠هـ

المخلوقين»[١].

وقيل: «وأما حقيقة الإخلاص: فأن ينفي عن قلبه وصدره حب المحمدة والثناء، ويكون مخلصاً لله تعالى في أمور يعملها من أعمال البر»[٢].

وقيل: « الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق»[٣].

وقال يحي الذمار معلقا على هذا التعريف: « وهذا إشارة إلى آفة الرياء، وهي مهلكة للأعمال كما مرّ تقريره»[٤].

وقيل: « من يخفي حسناته كما يخفي سيئاته»[٥].

وقال ابن جزي[٦]: «الإخلاص لله تعالى ويسمى نية قصداً، وهو: إرادة وجه الله تعالى بالأقوال، والأفعال، وضده الرياء»[٧].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ١٥١/٢، بعناية د/ محمد الحفناوي، دار الحديث، القاهرة، الأولى، ١٤١٤هـ، وينظر الرسالة القشيرية، ٢٠٧-٢٠٨، وينظر كشاف القناع، لمنصور يونس البهوتي ٣١٣/١، تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال، دار الفكر، بيروت ١٤٠٢هـ.

(٢) نوادر الأصول في أحاديث الرسول، لمحمد بن علي الحكيم الترمذي، ٥٠/٢، تحقيق د- عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، الأولى، ١٩٩٢م.

(٣) ينظر شعب الإيمان،للبيهقي،٣٤٨/٥ برقم (٦٨٨٠) وتصفية القلوب، الذمار،٣٤٤،والرسالة القشيرية،٩.

(٤) تصفية القلوب، الذمار، ٣٤٤.

(٥) التعريفات، للجرجاني،٢٦٤، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الرابعة ١٤١٨هـ.

(٦) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي، أبو القاسم (٦٩٣-٧٤١هـ)، فقيه من العلماء بالأصول واللغة، من أهل غرناطة، فقد وهو يحرض الناس على القتال في معركة طريف. من مصنفاته: القوانين الفقهية، التسهيل لعلوم التنزيل، وتقريب الوصول إلى علم الأصول، والفوائد العامة في لحن العامة.

ينظر: الديباج المذهب، لابن فرحون، ٢٧٤/٢-٢٧٥، تحقيق: أبو النور، دار التراث، القاهرة، والأعلام للزركلي ٣٢٥/٥.

(٧) القوانين الفقهية، لابن جزي،٢٨٤، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

وقيل: « والإخلاص جعل أفعاله لله تعالى »[١].

فهو هنا حصر النواقض بالأفعال والتي ترى فلا يكون آفة إلا الرياء.

وقال محمد أحمد الرملي[٢]: « الإخلاص في الطاعة ترك الرياء فيها »[٣].

باستعراض هذه التعريفات نجدها غير جامعة ، لعدم اشتمالها لكل ما يطلب فيه الإخلاص، كما أنها قصرت النواقض على نواقض معينة تاركة غيرها من نواقض الإخلاص.

ثانيا: تعريف الإخلاص بما هو جامع لحدود المعرّف غير مانع من دخول غيره فيه ومن ذلك:

أ – من عرف الإخلاص بالإحسان:

فقد قيل عن الإخلاص: « ... وتفسيره صلى الله عليه وسلم الإحسان راجع إلى الإخلاص ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى ... »[٤].

ونقل ابن حجر –رحمه الله– عن بعض أهل العلم أنهم عرفوا الإحسان بالإخلاص: « ... وقيل العدل: لا إله إلاّ الله والإحسان في الإخلاص ...»[٥].

---

(١)رد المحتار على الدر المختار(المعروف بحاشية ابن عابدين)، لابن عابدين، ٤٢٥/٦، درا الفكر، بيروت، لبنان، الثانية، ١٣٨٦هـ.

(٢) هو: محمد بن أحمد بن حمزة، شمس الدين الرملي (٩١٩–١٠٠٤هـ) فقيه الديار المصرية في عصره ومفتيها، يقال له الشافعي الصغير، ولد وتوفي في القاهرة. من مصنفاته: غاية البيان في شرح زبد ابن رسلان، وعمدة الرابح، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج.

ينظر: الأعلام، للزركلي، ٧/٦.

(٣) غاية البيان شرح زبد ابن رسلان، ١١، تحقيق: خالد عبد الفتاح، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنلن، الأولى، ١٤١١هـ.

(٤) صيانة صحيح مسلم، لأبي عمرو ابن الصلاح، ١٣٣، تحقيق: موفق عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

(٥) فتح الباري، لابن حجر، ٥٨٩/١٠، دار السلام، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ.

وقيل أيضا عن الإخلاص: « ... والإخلاص هو الإحسان المعبر[عنه] [(١)] بقوله عليه السلام "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" »[(٢)].

وخولف ما سبق من أهل العلم ومنهم:

قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: « ... قد قيل: إنّ الإحسان هو: الإخلاص، والتحقيق: أن الإحسان يتناول الإخلاص وغيره، والإحسان يجمع كمال الإخلاص لله، ويجمع الإتيان بالفعل الحسن الذي يحبه الله، قال تعالى :﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[(٣)] ... »[(٤)].

وهذا رأي ابن حجر –رحمه الله– حيث قال: « ... وإحسان العبادة: الإخلاص فيها، والخشوع، وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود ... »[(٥)].

وبهذا يظهر أن الإحسان أعم كما قرره شيخ الإسلام وابن حجر كما سبق نقله.

ب– من عرّف الإخلاص بالنية مع أنها أعم:

وللعلماء في تعريف الإخلاص بالنية قولان:

١– القول الأول: أن الإخلاص هو النية:

قال ابن عبد البر–رحمه الله–: « ... والإخلاص النية في التقرب إليه والقصد بأداء

---

(١) ما بين المعكوفتين زيادة ليست في الأصل لا يستقيم المعنى دونها.

(٢) قواعد الفقه، لمحمد عميم الإحسان مجددي، ١٦٥، الصدف ببلشرز، كراتشي، الأولى، ١٤٠٧هـ.

(٣) (البقرة ١١٢)

(٤) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام، ٦٢٢/٧، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، الرئاسة العامة لشئون الحرمين.

(٥) فتح الباري، ١٥٩/١، وينظر عون المعبود، لمحمد أشرف العظيم آبادي، ٣٠٢/١٢، دار الكتب العلمية بيروت، الأولى، ١٤١٠هـ، وينظر تحفة الأحوذي، للمباركفوري، ٢٩١/٧، دار الكتب العلمية، بيروت، وينظر معارج القبول، للحكمي، ٩٩٩/٣،تحقيق: عمر أبو عمر ، دار ابن القيم، الدمام الأولى، ١٤١٨هـ.

ما افترض على المؤمن ... »[١].

وقال ابن قدامة -رحمه الله- : « ... والإخلاص: هو النية، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات"[٢]... » [٣].

وقال أيضا: « ... والإخلاص عمل القلب وهو النية وإرادة الله وحده دون غيره ... »[٤].

وقال إبراهيم بن محمد بن مفلح[٥] -رحمه الله- : « ... والإخلاص محض النية ... »[٦].

قال ابن رجب -رحمه الله- : « أعلم أنّ النية في اللغة نوع من القصد والإرادة وإن كان قد فرق بين هذه الألفاظ بما ليس هذا موضع ذكره، والنية تقع في كلام العلماء بمعنيين:

أحدهما: تمييز العبادات بعضها عن بعض، كتمييز صلاة الظهر من صلاة العصر

---

(١) التمهيد، لابن عبد البر، ٢٢/١٠٠، تحقيق: سعيد أحمد عراب وآخرون، وزارة أوقاف المغرب الإسلامية، ١٣٨٧هـ.

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح)، كتاب الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ١/١٢، برقم (١) وأخرجه في عدة مواطن أخر، وأخرجه مسلم (مع شرح النووي)، كتاب الإمارة، باب إنما الأعمال بالنية، ٧/٦١ برقم (١٩٠٧) بتحقيق: عصام الصبابطي وآخرون، دار الحديث، القاهرة، الأولى، ١٤١٥هـ.

(٣) المغني، ٢/١٣٦، تحقيق د: عبد الله التركي ود: عبد الفتاح الحلو، هجر، القاهرة، الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٤) المغني، ٢/١٣٢.

(٥) هو: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (٨١٦-٨٨٤هـ) مؤرخ من قضاه الحنابلة، ولد ومات بدمشق.

من مصنفاته: المبدع بشرح المقنع، والمقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، ومرقاة الوصول إلى علم الأصول، وغيرها.

ينظر: السحب الوابلة، لابن حميد، ١/٦٠-٦٣، تحقيق: د: عبد الرحمن العثيمين، الرسالة، بيروت، الأولى ١٤١٦هـ، والأعلام، للزركلي، ١/٦٥.

(٦) المبدع، ١/١١٦، المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة، ١٤٢١هـ.

مثلاً ...أو تمييز العبادات من العادات، كتمييز الغسل من الجنابة من غسل التبرد والتنظيف ونحو ذلك، وهذه النية هي التي توجد كثيرا في كلام الفقهاء في كتبهم.

والمعنى الثاني: بمعنى تمييز المقصود بالعمل، وهل هو لله وحده لا شريك له أم الله وغيره، وهذه هي النية التي يتكلم فيها العارفون في كتبهم على الإخلاص وتوابعه وهي التي توجد في كلام السلف المتقدمين، وقد صنف أبو بكر بن أبي الدنيا مصنفاً سماه: كتاب الإخلاص والنية، وإنما أراد هذه النية، وهي النية التي يتكرر ذكرها في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ... »(١).

وقيل: « والإخلاص: النية على أحد القولين، فإن النية الصحيحة لا تكون إلاّ مع الإخلاص »(٢).

قال الشيخ صالح السدلان –حفظه الله– معلقا على تعريف ابن رجب السابق: « وهذا التعريف في الحقيقة لا يسمى تعريفاً فقهياً اصطلاحياً وإنما هو تقسيم لأنواع النية وحصر للمراد بها وهو تعريف غير مستوفي»(٣).

وصحح بعض المعاصرين هذا القول فقال: « يأبى بعض العلماء أن يعرّف النية بالإخلاص ... والحق الذي تدل عليه الأدلة أن النية تطلق ويراد بها قصد العبادة ويراد بها قصد المعبود بل دلالة النية على معنى الثاني أوضح وأظهر، كما في الحديث "إنما الأعمال بالنيات"(٤)... »(٥).

---

(١) جامع العلوم والحكم، ١/٢٨-٢٩، تحقيق/ طارق عوض الله محمد، دار ابن الجوزي، الدمام، الأولى، ١٤١٥هـ.

(٢) كفاية الطالب،أبو الحسن المالكي،١/٢٥٧، المحقق:يوسف الشيخ محمدالبقاعي،دار الفكر،بيروت،١٤١٢هـ.

(٣) النية وأثرها في الأحكام الشرعية، د: صالح بن غانم السدلان، ١/٩٤، مكتبة الخريجي، الرياض، الأولى، ١٤٠٤هـ.

(٤) سبق تخريجه صـ ١٢ .

(٥) مقاصد المكلفين، د/ عمر سليمان الأشقر، ٢٩-٣٠، مكتبة الفلاح، الكويت، الأولى، ١٤٠١هـ

القول الثاني: بينما يرى بعض العلماء أن النية هي الإخلاص، ذهب آخرون إلى القول بأن النية أعم من الإخلاص والإخلاص واحد من مفرداتها.

قال ابن القيم -رحمه الله-: «فواجب القلب منه متفق على وجوبه ومختلف فيه، فالمتفق على وجوبه كالإخلاص ... والنية في العبادة وهذه قدر زائد على الإخلاص، فإنَّ الإخلاص هو: إفراد المعبود عن غيره، ونية العبادة لها مرتبتان: إحداهما: تمييز العبادة عن العادة، والثانية: تمييز مراتب العبادات بعضها عن بعض ...»[1].

وقيل أيضا: « النية تنقسم إلى نية التقرب، ونية التمييز، فالأولى: تكون في العبادات، وهو إخلاص العمل لله تعالى، والثانية: تكون في المحتمل للشيء وغيره، وذلك كأداء الديون إذا أقبضه من جنس حقه ... »[2].

ونسب السيوطيُّ -رحمه الله- هذا القول لبعض المتأخرين حيث قال: «..الإخلاص أمر زائد على النية [3] لا يحصل بدونها وقد تحصل بدونه...»[4].

والتحقيق:

أنَّ النية أعمُّ من الإخلاص، ومن نظر في أقوال أصحاب الرأي الأول يجد أنَّ النية التي تسمى الإخلاص هي: المتمحضة، والمقصود بها وجه الله، فالتقيد في كلامهم يثبت صحة القول الثاني، كما أن النية تطلق في كل عمل سواء كان هذا العمل مخلصا أم لا

(١) مدارج السالكين، لابن القيم، ١/١٣٦، تحقيق: أحمد فخري وآخر، دار الجيل، بيروت، وينظر شرح الأربعين النووية، للإمام النووي، ٢٢، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.

(٢) المنثور، للزركشي، ٢/٢٨٥ تحقيق د/تيسير فائق أحمد ، وزارة أوقاف الكويت، الثانية، ١٤٠٥، وينظر منتهى الآمال، للسيوطي، ١٢١، تحقيق/محمد عطية، دار ابن حزم، الأولى، ١٤١٦هـ.

(٣) النية والإخلاص قصد، لكنَّ النية قصد مطلق أمَّا الإخلاص فقصد مقيد وهو: قصد المعبود بالعبادة — **فهذا قيد زائد** — كما يأتي، فأصبح الإخلاص زائدا على النية بهذا القيد، ولا يقصد بالزيادة أنه أعم إذ لم يقل بذلك أحد من أهل العلم؛ ولهذا قال: **لا يحصل بدونها وقد تحصل بدونه** .

(٤) الأشباه والنظائر، ١/٥٤، تحقيق محمد حسن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٩هـ .

ولكن لا يطلق على العمل بأنه خالص إلاّ إن كان المقصود به وجه الله سبحانه وتعالى، واستدلالهم بحديث: "إنما الأعمال بالنيات"[١] حجة عليهم حيث إنه أثبت أنَّ لكل عمل نية سواءً كان ذلك العمل خالصاً أم غير خالص، قال شيخ الإسلام -رحمه الله- : « فصل: ولفظ النية يجري في كلام العلماء على نوعين، فتارة يريدون بها تمييز عمل من عمل، وعبادة من عبادة، وتارة يريدون بها تمييز معبود عن معبود، ومعمول له من معمول له، فالأول: كلامهم في النية هل هي شرط في طهارة الأحداث، وهل تشترط نية التعيين، والتبييت في الصيام، وإذا نوى بطهارته ما يستحب لها هل تجزيه ...، والثاني: كالتمييز بين إخلاص العمل لله وبين أهل الرياء والسمعة، كما سألوا النبي ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، وحمية ورياءً فأي ذلك في سبيل الله فقال: **"من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"**[٢] وهذا الحديث يدخل فيه سائر الأعمال، وهذه النية تميز بين من يريد الله بعمله والدار الآخرة وبين من يريد الدنيا مالاً وجاهاً ومدحاً وثناءً وتعظيماً وغير ذلك، والحديث دلَّ على هذه النية بالقصد وإن كان قد يقال أن عمومه يتناول النوعين: فإنه فرّق بين من يريد الله ورسوله وبين من يريد دنيا أو امرأة ففرق بين معمول له ومعمول له ولم يفرق بين عمل وعمل »[٣].

والناظر في تعريف النية يجد أنها أعم وأشمل من تعريف الإخلاص وهي: « قصد

---

(١) سبق تخريجه صـ ١٢.

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب العلم، باب من يسأل وهو قائم عالما جالسا، ٢٩٣/١برقم (١٢٣)، وأخرجه أيضا في عدة مواطن هذه أرقامها (٧٤٥٨،٣١٢٦،٢٨١٠)، وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ٥٧/٧ برقم (١٩٠٣) .

(٣) مجموع الفتاوى ٢٥٦/١٨-٢٥٧

الشيء مقترناً بفعله »[١].

ولا يخفى أن القصد قد يكون لعبادة دون عبادة ولمعبود دون معبود وهذا أعم من تعريف الإخلاص ولذا قال القصري[٢] -رحمه الله-: « وقد جعل قوم الإخلاص والنية شيئاً واحداً وإنما جعلها شيئاً واحداً من جعلها من أجل أنهما قرينان لا يفترقان أبداً، ولا يصح وجود أحدهما دون الآخر أعني النية الصحيحة فإن العمل يحتاج إلى نية والنية تحتاج إلى إخلاصها للمعمول له لتكون صحيحة صادقة فلما ارتبطا هذا الارتباط جاز أن يعبر بالواحد عن الآخر فجعلتهما في باب واحد ...»[٣].

ولعلَّ بهذا يتضح الفرق ويتبين المراد والله أعلم.

جـ: من عرَّف الإخلاص بالإسلام:

ولأهل العلم في تعريف الإخلاص بالإسلام قولان:

الأول: من جعلهما شيئاً واحداً ومن ذلك قال سعيد بن جبير -رحمه الله-: «فالإسلام: الإخلاص قال تبارك وتعالى لإبراهيم: ﴿ أَسْلِمْ ﴾[٤]، يقول: أخلص، ﴿ بَلَىٰ مَنْ

(١) ينظر شرح الأربعين النووية، للنووي، ٢٢، وينظر النية وأثرها في الأحكام الشرعية، صالح السدلان، ٩١/١، وقد اختار التعريف السابق لها.

(٢) هو: عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل الأنصاري الأوسي، القرطبي، أبو محمد المعروف بالقصري (ت٦٠٨هـ) كان من المتكلمين وصاحب زهد، وتبتل، وذا دراية بالتفسير، والقصري نسبة إلى قصر كتامة. من مصنفاته: شعب الإيمان، والتفسير، وشرح الأسماء الحسنى.

ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٢١/٤٢٠-٤٢١، والأعلام، للزركلي، ٢٧٦/٣.

(٣) شعب الإيمان، لعبد الجليل بن محمد المعروف بالقصري، ٣٢٥، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٦هـ.وينظر منتهى الآمال، للسيوطي، ١٢١، تحقيق/محمد عطية، دار ابن حزم، الأولى، ١٤١٦هـ .

(٤) (البقرة ١٣١)

أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾[1]، يقول من أخلص دينه لله»[2].

وقال الربيع[3]: « ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾[4] يقول أخلص لله »[5].

وقال البغوي -رحمه الله-: « ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ ﴾[6] أي: ليس الأمر كما قالوا بل الحكم للإسلام وإنما يدخل الجنة ﴿ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾[7] أي: أخلص دينه لله، وقيل أخلص عبادته لله، وقيل خضع وتواضع لله ... »[8].

وقيل أيضا: « ثم قال قومٌ الإسلام في اللغة: الإخلاص ... »[9].

قال القرطبي -رحمه الله-: «... والإسلام: الإخلاص » [10].

الثاني: من جعل الإسلام أعم من الإخلاص ومن ذلك:

يقول الشهرستاني: «فإذا كان الإسلام بمعنى التسليم والانقياد ظاهرا موضع الاشتراك فهو المبدأ، ثم إذا كان الإخلاص معه بأن يصدق بالله وملائكته... كان مؤمنا

---

(١) (البقرة ١١٢)

(٢) تعظيم قدر الصلاة، للمروزي، ٥٦٦/٢، وضعف إسناده المحقق.

(٣) هو: الربيع بن أنس البكري، ويقال الحنفي، البصري ثم الخرساني (ت/ ≅ ٤٠ هـ). روى عن: أنس بن مالك رضي الله عنه، وأم سلمة ، والحسن البصري، وغيرهم، رمي بالتشيع، قال عنه أبو حاتم: ((صدوق وهو أحب إلي من أبي العالية ومن أبي خلدة))، وقال ابن حجر عنه: ((صدوق له أوهام))، مات في سجن مرو، وقد حبس به ثلاثين سنة، روى له الأربعة.

ينظر: تهذيب الكمال، للمزي، ١٢٥/٦-١٢٦، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ٣١٨.

(٤) (البقرة ١١٢)

(٥) ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ٤٩٣/١، مصطفى الحلبي مصر الثالثة، ١٣٨٨هـ .

(٦) (البقرة ١١٢)

(٧) (البقرة ١١٢)

(٨) معالم التتريل، للبغوي، ١٣٧/١ تحقيق/ محمد النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ .

(٩) التوحيد، أبو منصور الماتريدي، ٣٩٥، تحقيق: د/ فتح الله خليف، دار المشرق، بيروت، لبنان .

(١٠) الجامع الأحكام القرآن، ٢٣/٧

حقاً»[1].

وقال الحكمي -رحمه الله- نقلا عن ابن رجب -رحمه الله-: «...فيدخل في أعمال الإسلام: إخلاص الدين لله تعالى، والنصح به ولعباده، وسلامة القلب ... »[2].

ولعل الراجح هو القول الثاني.

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله-: « ولفظ الإسلام يتضمن الاستسلام والانقياد ويتضمن الإخلاص من قوله تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾[3] فلابد في الإسلام من الاستسلام لله وحده وترك الاستسلام لما سواه ... »[4].

ويقول أيضا -رحمه الله-: « ولفظ الإسلام: يتضمن الإسلام ويتضمن إخلاصه لله وقد ذكر ذلك غير واحد [حتى] [5] أهل العربية كأبي بكر ابن الأنباري وغيره، ومن المفسرين من يجعلهما قولين كما يذكر طائفة منهم البغوي[6]: أن المسلم هو المستسلم لله، وقيل هو المخلص والتحقيق أن المسلم يجمع هذا وهذا فمن لم يستسلم له لم يكن مسلما، ومن استسلم لغيره كما يستسلم له لم يكن مسلما ومن استسلم له وحده فهو المسلم كما في القرآن ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا

---

(١) الملل والنحل، ١/٥٣-٥٤، تحقيق/ أمير علي مهنا وآخر، دار المعرفة، بيروت، السابعة، ١٤١٩هـ .

(٢) معارج القبول، ٢/٦٠٧، وهو في جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١/٨٩ .

(٣) (الزمر ٢٩٠)

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ،٢/٣٧٦-٣٧٧، تحقيق: د/ عبد الكريم ناصر العقل، وزارة الشئون الإسلامية، المملكة السعودية السابعة، ١٤٠٩هـ، وينظر منهاج السنة، لابن تيمية، ٥/١٣٤، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، الثانية، ١٤٠٩هـ.

(٥) هكذا في الأصل ولعلَّ الصواب [من] .

(٦) ينظر تفسير البغوي، ١/١٠٦.

خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[١] وقـال:﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينًا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلاً ﴿١٢٥﴾ ﴾[٢] »[٣].

تنبيهان:

الأول: مما يجدر التنبيه عليه أن توحيد العبادة أعم من الإخلاص: وقد ذكرت ذلك مـع أني لم أطلع على من عرفه به -لرفع التوهم والالتباس- وبين بعض أهل العلـــم ذلك:

قال القرطبي -رحمه الله-: « وقال قتادة ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ ﴾[٤] بالإخلاص والتوحيد، وقيل أداء الفرائض كلها، قلت: إذا أتى بلا إله إلاّ الله على حقيقتها، وما يجب لها علـى ما تقدم بيانه في سورة إبراهيم فقد أتى بالتوحيد والإخلاص والفرائض»[٥].

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « ... وأما الجنيد فمقصوده التوحيد الذي يشـــير إليه المشايخ وهو التوحيد في القصد والإرادة، وما يدخل في ذلـــك مـــن: الإخـــلاص والتوكل ... »[٦].

وقال ابن عيسى[٧] -رحمه الله-: « قوله "والصدق والإخلاص ركنا ذلك التوحيـــــد"

---

(١) (البقرة ١١٢)

(٢) (النساء ١٢٥)

(٣) النبوات، ٣٤٧/١، تحقيق: د/ عبد العزيز صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، الأولى، ١٤٢٠هـــ.

(٤) (النمل ٨٩).

(٥) الجامع الأحكام القرآن، ٢٥٤/١٣.

(٦) الاستقامة، ٩٢/١، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٢هـــ.

(٧) هو: أحمد بن إبراهيم بن حمد بن عيسى بن عطية من بني زيد من قضاعة (١٢٥٣-١٣٢٩هـــ)، ولـد في بلدة شقراء، وسافر إلى الرياض لطلب العلم ثم لمكة، ثم عاد لشقراء تولى قضاء المجمعة وسدير، ثم عـــزل عنه، مات بالمجمعة، من مصنفاته: شرح على نونية ابن القيم، وتنبيه النبيه والغبي في الرد على المدارســـي، =

جعل الإخلاص أحد ركني توحيد العبادة، والصدق ركنه الآخر ... فظهر من كلامه أن توحيد العبادة أعم من الإخلاص»[١].

الثاني: وكذلك مما يجدر التنبيه عليه أن الإيمان أعم من الإخلاص؛ لأنه قد وردت آثار تفسر الإيمان بالإخلاص، وقد يتوهم أن القصد منها بيان أنَّ الإخلاص والإيمان شيء واحد مع أن الإيمان أعم .

ومن الآثار: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ناداه رجل فقال يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: "الإخلاص" [٢].

وليس المقصود التعريف وإنما بيان أن الإخلاص أساس الإيمان فكل عمل يفقد الإخلاص فغير مقبول، والإيمان إن فقد الإخلاص أصبح نفاقاً-على تفصيل سيأتي بحول الله- وأهل العلم بينوا أنَّ الإخلاص من الأخلاق الإيمانية وعليه ترتكز الأعمال قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-: « ... فإنه من المعلوم بالذوق الذي يجده كل مؤمن أن الناس يتفاضلون في حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه والتوكل عليه والإخلاص له وفي سلامة القلوب من الرياء والكبر والعجب ونحو ذلك والرحمة للخلق والنصح لهم ونحو ذلك من الأخلاق الإيمانية ... »[٣].

ويشهد لهذا المعنى وهو كون الإخلاص أساس الإيمان وأوثق عراه قوله صلى الله

ورد على زيني دحلان، وغيرها.

ينظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، لعبد الله البسام، ١/٤٣٦-٤٥٢، دار العاصمة، الرياض، الثانية، ١٤١٩هـ.

(١) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم، ٢/٦٢، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت الثانية ١٤٠٦هـ

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ٥/٣٤٢ برقم (٦٨٥٧)، وصححه الشيخ الألباني-رحمه الله- في صحيح الترغيب والترهيب، ١/١٠٤ برقم (٣)، مكتبة المعارف، الرياض، الأولى، ١٤٢١ هـ.

(٣) مجموع الفتاوى، ٧/٥٦٣

عليه وسلم: «من أعطى لله، ومنع لله، وأحب لله، وأبغض لله، وأنكح لله، فقد استكمل إيمانه»(١).

قال البيهقي –رحمه الله– معلقا على هذا الحديث: « فصرح بأن هذه الخصال كلها إيمان وأبان أن أوثق عرى الإيمان الإخلاص »(٢).

وما ورد عن السلف من تفسير الإيمان بالإخلاص فالقصد منه أن أوثق عراه الإخلاص، كما قال الربيع رحمه الله تعالى: في قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾(٣) قال: « الإيمان: الإخلاص لله وحده فبين أنه لا يقبل عملاً إلاّ بالإخلاص له »(٤).

فكل من لم يكن مخلصاً كان ذلك نقصاً في إيمانه بقدر ما نقص من إخلاصه، وربما ينتفي إيمانه كليةً إذا انتفى إخلاصه كليةً وسيأتي بيان ذلك في أقسام الرياء.

وعموماً فالإخلاص من شعب الإيمان، وعده من الشعب جلة من أهل العلم مما يبين أن الإيمان أعم،(٥) والله أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي (مع تحفة الأحوذي) ، أبواب صفة القياة، باب رقم [٢٢]، ١٨٩/٧، حديث برقم [٢٦٤٢]، والحاكم في مستدركه، ١٧٨/٢، برقم [٢٦٩٤]، وأحمد في مسنده، ٢٥٠/١٢، برقم [١٥٥٥٤]، تحقيق: حمزة الزين، وأحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، الأولى، ١٤١٦هـ، وأبو يعلى في مسنده، ٦٠/٣، برقم [١٤٨٥]، و٦٨/٣، برقم [١٥٠٠]، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الأولى، ١٤٠٤هـ، والطبراني في المعجم الكبير، ١٨٨/٢٠، برقم [٤١٢]، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الثانية، ١٤٠٤هـ، وحسن سنده الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١٦٥/٣، برقم [٣٠٢٩].

(٢) شعب الإيمان، ٤٧/١، برقم (١٥).

(٣) (النحل ٩٧)

(٤) جامع البيان، للطبري، ١٧٢/١٤.

(٥) ينظر شعب الإيمان، لمحمد الحسين الحليمي، ١١٤/٣، تحقيق: حلمي محمد فوده، دار الفكر، الأولى ١٣٩٩ هـ، وينظر شعب الإيمان، للبيهقي، ٣٢٥/٥، وينظر شعب الإيمان، لأبي محمد عبد الجليل بن

=

ثالثاً: التعريف الجامع المانع للإخلاص:

ذكر جمع من العلماء تعريفات جامعة مانعة أسوق بعضها لبيان توافق أهل العلم في حدود تعريف الإخلاص:

قال: ابن حزم -رحمه الله-: «والإخلاص: هو أن يخلص العمل المأمور به للوجه الذي أمره الله تعالى به»[١].

قال القرطبي -رحمه الله-: «والإخلاص: النية في التقرب إلى الله تعالى والقصد له بأداء ما افترض على عباده المؤمنين»[٢].

قال العز بن عبد السلام -رحمه الله-: «الإخلاص : هو أن يقصد بطاعته وجه الله ولا يريد بها سواه»[٣].

وقال أيضا: « الإخلاص: أن يريد الله تعالى وحده بعمله »[٤].

وقال أيضا: « الإخلاص : أن لا تعمل الطاعة إلاّ لله خوفا ورجاءً أو محبةً أو حياءً أو إجلالاً ومهابة على قدر منازل العالمين[٥] »[٦].

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « فقول أبي سعيد [٧] حقيقة القرب [١] أي:

موسى ابن عبد الجليل المعروف بالقصري، ٣٢٥.

(١) المحلى، ١٧٤/٦، تحقيق/ أحمد شاكر، دار التراث، القاهرة.

(٢) الجامع الأحكام القرآن، ٢١٧/٥.

(٣) قواعد الأحكام، ١٦٠/١ وينظر منه، ١٠٦/١ ،مؤسسة الريان، بيروت، الثانية، ١٤١٩هـ.

(٤) مختصر الفوائد في أحكام المقاصد المعروف (بالقواعد الصغري)، ١٨٧، تحقيق: د/ صالح عبد العزيز آل منصور، دار الفرقان، الرياض، الأولى، ١٤١٧هـ.

(٥) هكذا وأظنها: العاملين.

(٦) شجرة المعارف والأحوال، للعز بن عبد السلام، ٥٠-٥١، تحقيق: حسن بن عكاشة، دار ماجد عسيري، جدة، ١٤٢١هـ.

(٧) هو أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز (ت/ ٢٧٧ هـ) من أهل بغداد صحب ذا النون وبشر بن الحارث وغيرهم، ينظر الرسالة القشيرية، ٤٠٩ . =

الذي يحققه هو خلو القلب مما سوى الله وسكونه إلى الله وهـذا تحقيق الإخـلاص والتوحيد »(٢).

وقال ابن القيم -رحمه الله-: « الإخلاص : قصد المعبود وحده بالتعبد »(٣).

وقال ابن القيم -رحمه الله- أيضا: « والإخلاص: أن يخلص لله في أفعاله وأقوالـه وإرادته ونيته»(٤).

وقال ابن أبي العز -رحمه الله-: « والإخلاص : خلو القلب من تأله ما سـوى الله تعالى وإرادته ومحبته فخلص لله فلم يتمكن منه الشيطان »(٥).

وقال الشوكاني -رحمه الله-: « والإخلاص: أن يقصد العبد بعملـه وجـه الله سبحانه»(٦).

وقيل: « الإخلاص: العمل لله وحده »(٧).

وقيل: « والإخلاص : أن يقصد إفراد المعبود بالعبادة »(٨).

وقيل: « والإخلاص: إفراد المعبود بالعبادة »(٩). وقال سليمان آل الشيخ-رحمـه

ينظر الرسالة القشيرية، ٤٠٩ .

(١) ينظر لكلام أبي سعيد الرسالة القشيرية، ٤٧ .

(٢) الاستقامة، ١/١٩٥.

(٣) مدارج السالكين، ١/٥٨١، وساق نقولات كثيرة في تعريفه في : ٢/١٠٢-١٠٦.

(٤) الداء والدواء، ٣٢٨، تحقيق/ عامر علي ياسين، دار ابن خزيمة، الرياض ،الأولى، ١٤١٧هـ.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية، ٢/٦٤٦ تحقيق: د/ عبد الله عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط، الرسـالة، بيروت، الثانية، ١٤١٦هـ.

(٦) فتح القدير، ٤/٤٤٨، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، الثانية، ١٣٨٣هـ.

(٧) إعانة الطالبين، السيد البكري بن محمد شطا، ١/١٢٩، دار الفكر، بيروت.

(٨) الثمر الداني، صالح عبد السميع الأزهري، ٥٨، دار إحياء الكتب العربية، مصر.

(٩) الفواكه الدواني، أحمد غنيم سالم النفراوي، ٢/٣٢٨، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

الله-: « والإخلاص: وهو إفراد الله تعالى بالعبادة باطناً وظاهراً »[١].

وقال الحكمي -رحمه الله-: « وحقيقة الإخلاص: أن يكون قصد العبد وجه الله عز وجل والدار الآخرة »[٢].

فهذه جملة من التعريفات الجامعة المانعة المتوافقة، والمبينة لتعريف الإخلاص، وكلها محققة للغرض ،و لله الحمد.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

من الواضح أن هناك توافقاً بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي، وأنَّ الدلالتين متوافقتان ومن خلالهما يتضح أن المراد من الإخلاص أمران وهما:

١- إصلاح النية وخلوصها في العمل بأن يكون المقصود هو الله وحده سبحانه وتعالى.

٢- الاستقامة على ذلك الإصلاح فيهذب عمله من كل ما يشوبه من بدايته حتى نهايته وبهذا يتحقق الإخلاص، والله أعلم.

---

(١) تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الله عبد الوهاب،٥٣٣، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، السادسة، ١٤٠٥هـ.

(٢) معارج القبول، ٢/٤٣٩.

المطلب الثالث

إشـــارة الإخـلاص

قد ورد مرفوعا أن للإخلاص إشارة فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **الإخلاص هكذا ورفع إصبعا واحدة من اليد اليمنى، والابتهال هكذا ومد يديه وجعل بطن الكف مما يلي الأرض، والدعاء هكذا وجعل يديه بطونهما مما يلي السماء**»[١].

وورد موقوفا على ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال: «الإخلاص هكذا وأشار بأصبعه»[٢].

قال النووي -رحمه الله-: « ... الثانية: ينوي بالإشارة الإخلاص والتوحيد ذكره المزني في مختصره وسائر الأصحاب، واستدل له البيهقي بحديث فيه رجل مجهول عن الصحابي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: (كان يشير بها للتوحيد) عن ابن

(١) أخرجه الطبراني في كتاب الدعاء، ١٧٧٢/٣، حديث رقم (٢١٧٨) تحقيق: د/ محمد سعيد بن محمد حسن البخاري، دار البشائر الإسلامية، الأولى، ١٤٠٧هـ، وله شاهد عند البيهقي في السنن الكبرى، ١٩١/٢-١٩٢، حديث رقم (٢٧٩٦)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٤هـ، وله شاهد عند الحاكم في المستدرك، ٣٥٦/٤، برقم (٧٩٠٢) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١١هـ، وشاهد في كتاب الدعاء، لمحمد بن فضيل الضبي، ١٧٨،حديث برقم (١٦)، تحقيق: د/ عبد العزيز سليمان البعيمي، الرشد، الرياض، الأولى، ١٤١٩هـ، وحسن محقق كتاب الدعاء للطبري سنده، ١٧٧٢/٣.

(٢) ينظر مصنف ابن أبي شيبة، ٢٢٩/٢ برقم (٨٤٦٨) و ٥٣/٦ برقم (٢٩٤٠٨) و ٨٧/٦ برقم (٢٩٦٨٣) تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة دار التاج، بيروت، وينظر المصنف لعبد الرازق بن همام الصنعاني، ٢٤٩/٢ برقم (٣٢٤٤)، وينظر منه ٢٥٠/٢ برقم (٣٢٤٧)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الثانية، ١٤٠٢هـ.

عباس رضي الله عنهما قال: (هو الإخلاص)»[١].

وقال الصنعاني –رحمه الله–: «وينوي بالإشارة التوحيد والإخلاص فيه فيكون جامعا في التوحيد بين الفعل والقول والاعتقاد ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الإشارة بالأصبعين وقال: "أحد أحد"[٢] لمن رآه يشير بأصبعيه »[٣].

وقال الشوكاني –رحمه الله–: «قال ابن رسلان: والحكمة في الإشارة بها إلى أن المعبود سبحانه وتعالى واحد ليجمع في توحيده بين القول والفعل والاعتقاد»[٤].

---

(١) المجموع شرح المهذب، لمحي الدين بن شرف النووي، ٣/٤١٧، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، الأولى،١٤١٧هـ.

(٢) أخرجه النسائي، ٣/٤٥ برقم [١٢٧٢]، في باب النهي عن الإشارة بأصبعين، تحقيق: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة، بيروت، الثالثة، ١٤١٤هـ، وأخرجه الترمذي مع تحفة الأحوذي، ٩/٣٨٢، برقم [٣٧٩٢] وأخرجه أبو داود في السنن مع عون المعبود، ٤/٢٥٦، برقم [١٤٩٦] في أبواب الوتر، وصححه محقق سبل السلام صبحي حسن حلاق، ينظر: ٢/٣٠٩، وصححه الألباني –رحمه الله– في صحيح الترمذي، برقم [٢٨٢٠].

(٣) سبل السلام، ٢/٣٠٩، تحقيق/ صبحي حسن حلاق، دار ابن الجوزي، الدمام، الأولى، ١٤١٨هـ .

(٤) نيل الأوطار، ٢/٢٩٣، أنصار السنة المحمدية، لاهور، باكستان، وينظر: عون المعبود، ٢/٣٠٥، وتحفة الأحوذي، ٢/١٦٠.

المبحث الثاني

حكم الإخلاص

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حكم الإخلاص.

المطلب الثاني: هل يجب استحضار الإخلاص دائماً وفي كل وقت؟ وما حكم مَن غفل عنه؟ هل يعد مخلصاً وهل يؤاخذ على غفلته هذه؟

المطلب الأول

حكم الإخلاص

الإخلاص فرض على كل مسلم ومسلمة، وقام الإجماع على فرضيته [١].

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- بعد أن تكلم عن جملة من أعمال القلوب منها الإخلاص: « ... فأقول: هذه الأعمال جميعها واجبة على جميع الخلق المأمورين في الأصل باتفاق أئمة الدين ...»[٢].

وتنوعت عبارات أهل العلم في بيان حكم هذه العبادة هل هي فرض واجب؟ أم هي شرط؟

فمنهم من قال إنها فرض واجب.

قال القرطبي -رحمه الله تعالى-: «...وفي هذا دليل على وجوب النية في العبادات فإنَّ الإخلاص من عمل القلب وهو الذي يراد به وجه الله تعالى لا غيره...»[٣].

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-: « ... والمأمور به أمران عمل باطن، وهو: إخلاص الدين لله، وعمل ظاهر، وهو: ما شرعه الله لنا من واجب ومستحب... »[٤].

وقيل: « ... وإنما قلنا ذلك؛ لأن أصل الإخلاص واجب ...»[٥].

وقال الشوكاني: « ... وفي الآية دليل على وجوب النية وإخلاصها ... »[٦].

---

(١) ينظر الفواكه الدواني، لأحمد غانم النفراوي، ١/١٤٣، دار الفكر، بيروت، لبنان.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٠/٥-٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٢٠/١٤٣.

(٤) تلخيص كتاب الاستغاثة "الرد على البكري"، ١/١٧٦.

(٥) حاشية العدوي، لعلي الصعيدي العدوي المالكي، ١/٦٦١، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت ١٤١٢هـ .

(٦) فتح القدير، ٤/٤٤٨.

والذي يبدو أن قصد من قال إنه فرض، أو قال إنه واجب أنَّ الإخلاص شرط وعبروا بالوجوب والفرضية لبيان وجوب تحصيله وتحقيقه وفرضية ذلك، كالإيمان شرط لصحة الأعمال، وتحصيله واجب، وكذلك الطهارة وغيرهما، وقد وردت عبارات عن البعض منهم تفيد أن الإخلاص شرط فقد قال القرطبي -رحمه الله-: « ... ليس لله إلاّ العمل الخالص ... »[١].

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-: « ... والله لا يقبل من العمل إلاّ ما أريد به وجهه ... فلا بد من إخلاص الدين لله ... »[٢].

وواضح أنَّ الإمامين يريان الإخلاص شرطاً، وإلاَّ لما نفوا صحة العمل بدون تحقيق الإخلاص، وهذا يظهر من تعريف الشرط فإنه: « ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم »[٣].

ويتحصل مما سبق أنَّ الإخلاص شرط في جميع الأعمال، وقد ذكر ذلك أهل العلم، ومن ذلك :

قال العز بن عبد السلام -رحمه الله-: « ... إخلاص العبادة شرط ... »[٤].

وقال الزبيدي -رحمه الله- : « واعلم وفقك الله أنَّ الإخلاص شرط في سائر العبادات »[٥].

ولكن هل هو شرط صحة أم هو شرط لحصول الثواب ؟

للعلماء قولان في هذه المسألة:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ١٨٥/٥.

(٢) الفتاوى الكبرى، ٣٢٥/٢، دار المعرفة، بيروت.

(٣) ينظر معجم لغة الفقهاء، د/ محمد رواس قلعه جي ود/ حامد صادق، ٢٦٠، وينظر المهذب في أصول الفقه،د/ عبد الكريم علي النملة، ٤٣٣/١، مكتبة الرشد، الرياض، الأولى، ١٤٢٠هـ.

(٤) قواعد الأحكام، ١٥٠/١.

(٥) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، للعلامة محمد محمد الحسيني الزبيدي، ٤٩/١٠، دار الفكر، بيروت.

القول الأول: أن الإخلاص شرط لقبول العمل والاعتداد به، فلا يصح عمل ولا يقبل من صاحبه بدونه فهو شرط صحة، وهذا قول جمهور أهل العلم، وهذه بعض النقولات عنهم:

قال الربيع -رحمه الله تعالى-: « ... الإيمان الإخلاص لله وحده، فبين أنه لا يقبل عملاً إلاَّ بالإخلاص له »[١].

وقال الفضيل بن عياض -رحمه الله تعالى-: في قوله تعالى:﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٢] قال: « ... أخلصه وأصوبه قال: إن العمل إذا كان خالصاً و لم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً و لم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص إذا كان لله والصواب إذا كان على السنة »[٣].

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ -رحمه الله- : « ولا خلاف أنَّ الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله »[٤].

وقال صديق حسن خان[٥] -رحمه الله- : « ولا خلاف في أنَّ الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله »[٦].

القول الثاني: أنَّ الإخلاص شرط لحصول الثواب وليس شرطاً للصحة، فالعمل

---

(١) جامع البيان، للطبري، ١٧٢/١٤.

(٢) (الملك ٠٠٢)

(٣) الإخلاص والنية، لابن أبي الدنيا، ٥٠-٥١، برقم [٢٢] تحقيق: إياد خالد الطباع، دار البشائر، دمشق، الأولى، وينظر شعب الإيمان، للبيهقي، ٣٤٥/٥ برقم (٦٨٦٩)، وينظر السنن الصغرى، للبيهقي، ٢٢/١، تحقيق: الأعظمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة الأولى، ١٤١٠هـ.

(٤) فتح المجيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ٦٢٢/٢، تحقيق: د/ الوليد بن عبد الرحمن آل فريان، دار الصميعي، الرياض، الثانية، ١٤١٧هـ.

(٥) ستأتي ترجمته بحول الله.

(٦) الدين الخالص، لصديق حسن خان، ٣٨٥/٢، مطبعة المدني،نشر المؤسسة السعودية بمصر.

الذي يفقد الإخلاص يجزي صاحبه عندهم، لكن لا ثواب له، وذهب إلى هذا بعض فقهاء الأحناف، قال ابن عابدين[(١)] -رحمه الله تعالى-: « الإخلاص شرط للثواب لا للصحة -كما سيأتي في الفروع- أنه لو قيل لشخص صل الظهر ولك دينار فصلى بهذه النية ينبغي أن يجزيه وأنه لا رياء في الفرائض في حق سقوط الواجب، فهذا يقتضي صحة الشروع مع عدم الإخلاص »[(٢)].

وقال الحموي[(٣)]: « إذا صلى رياءً وسمعةً تصح صلاته في الحكم يعني لوجود شرائطها وأركانها، و لم يستحق الثواب لفقد الإخلاص »[(٤)].

فهم يصححون العبادة بدون الإخلاص، ويعدونها مجزية لصاحبها كما يظهر من عباراتهم، لكن لايستحق الثواب عليها ، وهذا ليس موضع اتفاق عند فقهاء الأحناف فهناك من عدَّ منهم الإخلاص شرطاً للصحة لا للثواب.

يقول أبو الليث السمرقندي[(٥)]: « ... ففي هذا الخبر دليل على أنّ الله تعالى لا

---

(١) هو: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي (١١٩٨-١٢٥٢هـ) فقيه الديار الشامية، وإمام الأحناف في عصره، ولد وتوفي في دمشق، من مصنفاته: رد المحتار على الدر المختار المعروف بحاشية ابن عابدين، ونسمات الأسحار على شرح المنار، وحواشي على تفسير البيضاوي، وغيرها.

ينظر: الأعلام، للزركلي، ٤٢/٦، ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة، ٧٧/٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) حاشية ابن عابدين، ٤١٥/١، وينظر أيضاً منه: ٤٢٥/٦.

(٣) هو: أحمد بن محمد مكي، أبو العباس، شهاب الدين الحسيني الحموي (ت ١٠٩٨هـ)، مدرس من علماء الحنفية، حموي الأصل، مصري، تولى إفتاء الحنفية، وصنف كتبًا كثيرة منها: غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، ونفحات القرب والاتصال، وكشف الرمز عن خبايا الكنز، وغيرها.

ينظر: الأعلام، للزركلي، ٢٣٩/١، ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة، ٩٣/٢.

(٤) غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر، لأحمد محمد الحموي، ٦٨/١، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٠٥هـ، توزيع عباس الباز.

(٥) هو: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، أبو الليث (ت ٣٧٣ أو ٣٧٥هـ) لقب بإمام الهدى، من أئمة الحنفية، ومن الزهاد المتصوفين، له مصنفات عدَّة منها: تفسير القرآن، وتنبيه الغافلين،
=

يقبل من العمل شيئاً إلاّ ما كان خالصاً لوجهه فإذا لم يكن خالصاً فلا يقبل منـــه، ولا ثواب له في الآخرة، ومصيره إلى جهنم...»[١].

مسألة؟

قد يقال أليست النتيجة واحدة للقولين وهي عدم ترتب الثواب، فلماذا فرق بـــين القولين ؟

والجواب :

فرق بين القولين؛ لأنه ترتب على كلا القولين مسائل من ذلك :

١- يرى الجمهور أنَّ من لم يحقق الإخلاص في العمل الذي أداه فكأنه لم يعمله فينبغـي له أن يعيده ويأتي به كما أمر به [٢] ، أما بعض فقهاء الأحناف فيرون أنَّ عملــه مجزي وقد سبق نقل كلام ابن عابدين والحموي رحمهما الله آنفاً .

٢- يرى بعض فقهاء الأحناف أنه لا رياء في الفرائض، وستأتي مناقشة هذا القـــول في مبحث الأمور التي قد يراءى بها في فصل الرياء بحول الله .

أدلة القول الأول:

١- قال تعـــالى:﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[٣] فمـــن لم يخلص العبادة التي طُلب منه أداؤها كان عمله غير مقبول؛ لأنه لم يحقق ما طلـــب منه كما طلب منه.

=

وبستان العارفين، وشرح الجامع الصغير.

ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٦/٣٢٢-٣٢٣، والأعلام، للزركلي، ٨/٢٧.

(١) تنبيه الغافلين، ١٤، تحقيق: حسين عبد الحميد نيل، دار الأرقم، بيروت، لبنان، وينظر بدائـــع الصنـــائع، للكاساني، ١/١٢٧، دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، ١٤٠٦هـــ.

(٢). ينظر إعلام الموقعين، لابن القيم، ٢/١٧٠،تحقيق/عبدالرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، وسيأتي مزيـــد إيضاح له بحول الله في مبحث أقسام الرياء وأثر كل قسم على العمل وعلى الإخلاص فيه .

(٣) (البينة ٠٠٥)

٢- وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾[1] فأمره بإخلاص جميع الدين له وحده، ومن لم يأت بالإخلاص لم يكن محققاً لهذا الدين فلا يصح له دين وإخلاص .

٣- وقال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[2] وهي تفيد ما أفادته الآية السابقة، والآيات في هذا المعنى كثيرة [3].

ومن الأحاديث التي استدلوا بها:

١- قال صلى الله عليه وسلم: (قال الله تبارك وتعالى: أنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)[4]. فقد نفى قبول العمل إن لم يكن خالصاً لوجهه، مما يبين كون الإخلاص شرط صحة.

٢- قال صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الله لا يقبل من العمل إلاّ ما كان له خالصا وابتغى به وجهه)[5]. وهذا الحديث صريح في عدم قبول العمل إن لم يكن خالصا مما يبين كون الإخلاص شرط صحة لجميع الأعمال التي يتقرب بها إلى الله.

٣- و قال صلى الله عليه وسلم : (إنما الأعمال بالنيات)[6].

---

(١) (الزمر ٠٠٢)

(٢) (الزمر ٠٠٣)

(٣) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، ٣٠٢، فقد أورد الآيات التي بعضها يدل على الأمر بالإخلاص ووجوبه، وكونه أساس العمل.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، ٣٤٢/٩، حديث برقم [٢٩٨٥].

(٥) أخرجه النسائي، كتاب الجهاد، باب من غزا يلتمس الأجر والذكر، ٣٣٣/٦، برقم (٣١٤٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ٣٧٩/١، برقم [١٨٥٦]، المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة، ١٤٠٨هـ.

(٦) سبق تخريجه صـ ١٢ .

قال الشوكاني -رحمه الله-: « قوله "وإنما لامرئ ما نوى"[١] فيه تحقيق لاشتراط النية والإخلاص في الأعمال قاله القرطبي »[٢].

أدلة القول الثاني:

صرفوا دلالة الأحاديث عن الإخلاص وجعلوها متوجهة للنية، وفرقوا بين النية والإخلاص من حيث الحكم حيث جعلوا النية شرطًا للصحة أمّا الإخلاص فجعلوه شرطًا للثواب.

يقول ابن عابدين عن الإخلاص: « وهذه النية لتحصيل الثواب لا لصحة العمل لأنَّ الصحة تتعلق بالشرائط والأركان والنية التي هي شرط لصحة الصلاة مثلاً: أن يعلم بقلبه أي صلاة يصلي، قال في مختارات النوازل: وأما الثواب فيتعلق بصحة عزيمته وهو الإخلاص فإنَّ من توضأ بماءٍ نجس و لم يعلم به حتى صلى لم تجز صلاته في الحكم لفقد شرطه، ولكن يستحق الثواب لصحة عزيمته وعدم تقصيره اهـ، فعلم أنه لا تلازم بين الثواب بدون الصحة كما ذكر وبالعكس كما في الوضوء بلا نية فإنه صحيح ولا ثواب فيه ... »[٣].

الترجيح:

من الواضح جدًا ظهور القول الأول، وصحة أدلته، ودلالتها على ما استدلوا به، والقول الثاني لا ينتهض لمقاومة تلك الأدلة وصرْفِ دلالتها المحكمة على المراد منها، وقد قالوا في حديث "إنما الأعمال بالنيات" إن المحذوف فيه هو الكمال والجمهور قالوا الصحة، وقد رُدَّ على هذا الحمل بما نقله الشوكاني حيث قال: « وقد اختلف الفقهاء ههنا فمن جعل النية شرطًا قدَّر صحة الأعمال، ومن لم يشترط قدَّر كمال الأعمال،

---

(١) سبق الحديث بغير هذا اللفظ ويبدو أنَّ الشوكاني رواه بالمعنى.

(٢) نيل الأوطار، ١٤٨/١.

(٣) حاشية ابن عابدين، ٤٢٥/٦.

قال ابن دقيق العيد: وقد رُجح الأول بأنَّ الصحة أكثر لزومًا للحقيقة فالحمل عليها أولى؛ لأنَّ ما كان ألزم للشيء كان أقرب إلى خطوره بالبال ا.هـ »[1] ، وما أورده أصحاب القول الثاني بأنه قد يؤجر العبد على صحة عزمه مع كونه توضأ بماء نجس، وأنَّ هذا دليل على كون الإخلاص شرط للثواب، فيجاب بأنه لما وجد الإخلاص استحق الأجر عليه، و لم يقبل عمله لفقد أ حد شروط الصلاة وهي الطهارة، كذلك لو توضأ بماء طهور من غير عزيمة صحيحة فإن عمله لا يقبل لفقد شرط الإخلاص ـ كما بينته النصوص التي استدل بها أصحاب القول الأول ـ فعلم أنَّ الإخلاص شرط لصحة العمل كذلك، والله أعلم.

(١) نيل الأوطار، ١/١٤٨.

المطلب الثاني

هل يجب استحضار الإخلاص دائمًا وفي كل وقت؟ وما حكم من غفل عنه، هل يعد مخلصًا وهل يؤاخذ على غفلته هذه ؟

من المسلّم أن الإنسان في حالة الاختيار والقدرة يجب عليه استحضار الإخلاص في كل وقت وزمن لمن كان مستطيعًا لذلك، أما في حالة غفلته وسهوه دون اختيار منه، وإنما اعتراه ما يعتري البشر من سهو وغفلة فهل يؤاخذ في هذه الحالة ؟

لأهل العلم في هذه المسألة قولان:

القول الأول: أنه في حالة غفلته وسهوه لا يؤاخذ وإنما له حكم المستحضر له إذا كان حاله قبل الغفلة هو الإخلاص، وجعلوا الإخلاص منقسمًا لقسمين:

١- القسم الأول: «إخلاص حقيقي »:

وهو الإخلاص الفعلي لمن كان مستحضرًا له غير غافل عنه.

٢- القسم الثاني: «إخلاص حكمي»:

وهو إخلاص الغافل والساهي إذا غفل عن إخلاصه وسها عنه، فله حكم القسم الأول، ويسمى الإخلاص الحكمي، ولا يؤاخذ على هذه الغفلة ما دامت حاله قبل الغفلة هي الإخلاص فكذلك مع الغفلة.

يقول العز بن عبد السلام -رحمه الله تعالى-: « واعلم أن الإيمان، والنيات، والإخلاص ينقسم إلى حقيقي وحكمي، فالإيمان الحكمي شرط في العبادات من أولها إلى آخرها، والنية الحقيقية مشروطة في أول العبادات دون استمرارها، والحكمية كافية في استمرارها، وكذلك إخلاص العبادة شرط في أولها والحكمي كافٍ في دوامها »[1].

---

(١) قواعد الإحكام، ١/١٥٠، وينظر منه، ٢/٢٧٠.

وقال القرافي[1] -رحمه الله تعالى-: « الباب السابع في أقسام النية: النية قسمان: فعلية موجودة وحكمية معدومة، فإذا نوى المكلف أول العبادة فهذه نية فعلية ثم إذا ذهل عن النية حكم صاحب الشرع بأنه ناوٍ، ومتقرب ، فهذه النية الحكمية، أي: حكم الشرع لصاحبها ببقاء حكمها، لا أنها موجودة، وكذلك الإخلاص، والإيمان، والكفر، والنفاق، والرياء، وجميع هذا النوع من أحوال القلوب إذا شرع فيها واتصف القلب بها كانت فعلية، وإذا ذهل عنها حكم صاحب الشرع ببقاء أحكامها لمن كان اتصف بها قبل ذلك حتى لو مات الإنسان مغموراً بالمرض حكم صاحب الشرع له بالإسلام المتقدم »[2].

وقال الحطاب[3] -رحمه الله-: « النية حقيقة واحدة لكنها تنقسم بحسب ما يعرض لها إلى قسمين: فعلية موجودة، وحكمية معدومة، فإذا كان في أول العبادة فهذه نية فعلية، ثمَّ إذا ذهل عنها فهي نية حكمية، بمعنى أنَّ الشرع حكم باستصحابها، وكذلك الإخلاص ... »[4].

---

(١) هو: أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس، شهاب الدين الصنهاجي القرافي (ت ٦٨٤هـ) من فقهاء المالكية وعلمائهم، نسبته إلى قبيلة صنهاجة من برابرة المغرب، وقيل له القرافي نسبة لمحلة مجاورة لقبر الشافعي، مصري المولد والوفاة، له مصنفات جليلة منها: أنوار البروق في أنواء الفروق، والإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرف القاضي والإمام، والذخيرة.

ينظر: الديباج المذهب، لابن فرحون المالكي، ١/٢٣٦، والأعلام، للزركلي، ١/٩٤.

(٢) الأمنية في إدراك النية، ٤٢، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٠٤هـ، وينظر منتهى الآمال، للسيوطي، ١٢١.

(٣) هو: محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرعيني، أبو عبد الله، الشهير بالحطاب (٩٠٢-٩٥٤هـ)، فقيه مالكي من العلماء المتصوفين، أصله مغربي، ولد واشتهر بمكة، مات في طرابلس في المغرب، من مصنفاته: مواهب الجليل شرح مختصر خليل، وهداية السالك المحتاج، وقرة العين بشرح ورقات إمام الحرمين، وغيرها.

ينظر: الأعلام، للزركلي، ٧/٥٨، معجم المؤلفين، لعمر كحالة، ١١/٢٣٠.

(٤) مواهب الجليل، ١/٢٣٣، مكتبة النجاح، طرابلس، ليبيا.

ولهذا القول أدلة تشهد له منها:

١- قال تعال: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[١].

وورد في الخبر أن الله استجاب لعباده[٢].

٢- وقال صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)[٣].

٣- ومن الأدلة:

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى النداء أقبل حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر ،حتى إذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر حتى يظلَّ الرجل لا يدري كم صلى)[٤].

والحديث يثبت أن الشيطان قد يغفل الإنسان بالوسوسة فينقص أو يزيد بالصلاة، ومع هذا فلم يؤاخذه الشرع على الغفلة والنسيان والسهو لأنها حال لا يخلو البشر منها

---

١ (البقرة ٢٨٦)

(٢) ينظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق، ٤٢١/١-٤٢٢، برقم[١٢٥]، [١٢٦].

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، ٥١٣/٢، برقم [٢٠٤٣] تحقيق/ خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، الأولى، ١٤١٦هـ، وابن حبان في صحيحه، ٢٠٢/١٦ برقم [٧٢١٩]، بتحقيق/ شعيب الأرنؤوط، الرسالة، بيروت، الثالثة، ١٤١٨هـ، وله شاهد عند الدارقطني في سننه، ١٧١/٤، برقم [٣٤] طبع وزارة المعارف مع التعليق المغني، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٥٨٤/٧-٥٨٥، برقم [١٥٠٩٤، ١٥٠٩٥، ١٥٠٩٦]، وأخرجه الحاكم في مستدركه، ٢١٦/٢، برقم [٢٨٠١] وصححه الشيخ الألباني –رحمه الله- في إرواء الغليل، ١٢٣/١، برقم [٨٢]، المكتب الإسلامي، الثانية، ١٤٠٥هـ.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب فضل التأذين، ١١٢/٢، برقم [٦٠٨]، وأخرجه في مواطن أخر بأرقام هي [١٢٢٢، ١٢٣١، ١٢٣٢، ٣٢٨٥]، ومسلم، كتاب الصلاة، باب فضل الآذان وهرب الشيطان، ٣٢٦/٢، برقم [٣٨٩].

وشرع ما يسدُّ النقص الحاصل و يجبر الخلل الحادث.

٤- أنه لو وجب استحضار الإخلاص الحقيقي في جميع الأوقات لحصلت المشقة يقول العز بن عبد السلام -رحمه الله-: «ولو وجب الإيمان الحقيقي في جميع الأوقات والنية الحقيقية في استمرار العبادات لحصلت مشقة في استحضار الإيمان والنيات»[١].

القول الثاني: أنه يؤاخذ على سهوه وغفلته، قال ابن القيم-رحمه الله-: « ...ولأن عبودية من غلبت عليه الغفلة والسهو في الغالب، لا تكون مصاحبة للإخلاص فإنَّ الإخلاص قصد المعبود وحده بالتعبد، والفاعل لا قصد له فلا عبودية له قالوا: وقد قال الله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ﴾[٢] وليس السهو عنها تركها وإلا لم يكونوا مصلين وإنما السهو عن واجبها: إما عن الوقت كما قال ابن مسعود وغيره، وإما عن الحضور والخضوع، والصواب أنه يعم النوعين فإنه سبحانه أثبت لهم الصلاة ووصفهم بالسهو عنها، فهو السهو عن وقتها الواجب أو عن إخلاصها وحضورها الواجب؛ ولذلك وصفهم بالرياء، ولو كان السهو سهو ترك لما كان هناك رياءٌ قالوا: ولو قدرنا أنه السهو عن الواجب فقط فهو تنبيه على التوعد على سهو الإخلاص »[٣].

حجة أصحاب القول الثاني:

١- قوله تعالى:﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ﴾[٤]

---

(١) قواعد الأحكام، ١/١٥٠.

٢ (الماعون ٠٠٤-٠٠٥)

(٣) مدارج السالكين، ١/٥٨١، ويفهم هذا من كلام شيخ الإسلام، ينظر: مجموع الفتاوى، ١٤/٤٧٦.

٤ (الماعون ٠٠٤-٠٠٥)

حملوها على الوقت، وعلى الحضور والخضوع كما قرره ابن القيم آنفاً[١].

٢- أنه لو كان النهي عن الوقت -في الآية السابقة- فهو تنبيه على التوعد بالويل على السهو في الإخلاص بطريق الأولى لوجوه:

١- سقوط الوقت في حال العذر، وحضور القلب والإخلاص لا يسقطان بحال.

٢- الوقت يسقط لتحقيق مصلحة حضور القلب فيجوز الجمع بين الصلاتين لعذرٍ مانعٍ مشغلٍ، ولا يسقط الإخلاص بحال[٢].

الترجيح:

الناظر في القولين يجد أنَّ الناس على قسمين:

١- قليل الغفلة و لم تغلب عليه:

فهذا الاتفاق على عدم مؤاخذاته ولذا قال ابن القيم: « من غلبت عليه الغفلة » فهو قد فرقَّ هنا.

٢- من غلبت عليه الغفلة:

فابن القيم يرى مؤاخذته، ودليل عدم إخلاصه غلبة الغفلة عليه، والجمهور لم يفرق، لكن الناظر في أدلتهم يرى من جملتها أنَّ استصحاب الإخلاص دائماً متعذر؛ لكون ذلك فيه مشقة، لكن من غلبت عليه الغفلة فهل يكون له العذر بحصول المشقة ؟ التقييد في كلامهم بالمشقة مخرج لهذه الحالة -والله أعلم- مما يدل على مؤاخذته لأنَّ الاستحضار الدائم تحصل به المشقة وغيره لا تحصل به مشقة، فالذي لم تغلب عليه الغفلة لا يعد مفرطاً، وأمَّا من غلبت عليه الغفلة فعنده تفريط ولذا فإنه يؤاخذ لتفريطه وبهذا يجتمع القولان، والله أعلم.

---

(١) ينظر تفسير ابن كثير، ٤/٥٩٠.

(٢) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ١/٥٨٢.

المبحث الثالث

شروط الإخلاص وأركانه

وفيه مطلبان:

المطلب الأولى: شروط الإخلاص.

المطلب الثاني: أركان الإخـــلاص.

المطلب الأولى

شروط الإخلاص

من المعلوم أنَّ لكل عبادة شروطاً تخصها، وشروطاً تشترك فيها مع غيرها تعد شروطاً جامعة، وهي ثلاثة: شرط في الوجود، وشرطان في القبول، ولما كان الإخلاص من جملة العبادات المأمور بها، ففرض على كل مسلم ومسلمة تحقيقه والإتيان به، ولابد أن تتحقق الشروط فيه كغيره من العبادات، وبيان هذه الشروط كما يلي:

١- عزيمة صادقة:

وهذا شرط في وجود العمل، والمقصود بهذا الشرط هو:ترك التكاسل والتواني وبذل الجهد في تحقيق هذا العمل(١)، والقيام به حتى يصدق القول الفعل، ويصدقان كلاهما النية وإلا كان كمن قال فيهم تبارك وتعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾(٢).

٢- إخلاص النية:

وهذا شرط في قبول العمل، والمقصود به: أن يكون مراد العبد بجميع أقواله وأفعاله الظاهرة والباطنة وجه الله سبحانه وتعالى والدار الآخرة ، قال تبارك وتعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾(٣)، وقال تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا

(١) ينظرالفوائد، لابن القيم، ١٨٦.

(٢) (الصف ٠٠٢-٠٠٣)

(٣) (البينة ٠٠٥)

نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾[١].

وغير ذلك من الآيات العظيمات الدالة على هذا الشرط، وإخلاص النية شرط في جميع العبادات ومنها الإخلاص كما سبق بيانه، ولكن من نظر إلى دخوله في ماهية الإخلاص عدّه ركنا؛ لأنّ الركن هو: ما لا يقوم الشيء إلاّ به وهو داخل فيه[٢]، بخلاف الشرط فهو خارج عنه فهو بهذه الحيثية قد يدخل في أركان الإخلاص؛ ولذا فقد عدَّه بعض العلماء: ركناً، ويأتي بيانه في الأركان.

٣- المتابعة:

فالعزيمة الصادقة، وإخلاص النية، لا يثمران إلاّ بالمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال تبارك وتعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[٣] وقال صلى الله عليه وسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[٤].

وفي رواية أنه قال صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) [٥].

ولّما فقدت المتابعة نتجت تصورات خاطئة لحقيقة الإخلاص، وأُتيت أعمالٌ ظنَّ أصحابها أنها محض الإخلاص وهي منه خالية، وتركت أعمال هي عين الإخلاص ظنَّ

---

(١) (الإنسان ٩٠٠)

(٢) التعريفات، للجرجاني، ١٤٩، وينظر معجم لغة الفقهاء، د/ محمد رواس قلعه جي، ود/ حامد صادق، ٢٢٦، دار النفائس، بيروت، الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٣) (الحشر ٧٠٠)

(٤) أخرجه مسلم ، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، ٢٥٧/٦ حديث رقم (١٧١٨).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ٣٧٠/٥، حديث رقم (٢٦٩٧)، وأخرجه مسلم ، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، ٢٥٧/٦، حديث رقم (١٧١٨).

أصحابها إن عملوها أنهم غير مخلصين[١].

قال ابن القيم-رحمه الله-: «والمخلصون هم الذين أخلصوا العبادة، والمحبة والإجلال، والطاعة لله، والمتابعة، والانقياد لنصوص الأنبياء، فيجرد عبادة الله عن عبادة ما سواه، ويجرد متابعة رسوله، وترك ما خالفه لقوله دون متابعة غيره، فيزن العاقل نفسه بهذا الميزان قبل أن يوزن يوم القدوم على الله »[٢].

---

(١) ينظر في بيان هذه الشروط : أعلام السنة المنشورة، لحافظ أحمد الحكمي، ٣١-٣٢، تحقيق: أحمد علي علوش مدخلي، مكتبة الرشد، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ، وينظر معارج القبول، للحكمي، ٤٤٢/٢، وينظر الحق الواضح المبين، للشيخ عبد الرحمن السعدي، ٥٧-٥٨، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٦هـ.

(٢) بدائع الفوائد، ٩٥٢/٤، تحقيق هشام عبد العزيز وعادل العدوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الأولى، ١٤١٦هـ.

المطلب الثاني

أركان الإخلاص

للإخلاص أركان لا يقوم إلاّ بها وهي:

١- النية:

وهي قصد الشيء مقترنا بفعله[(١)]، فالإخلاص عبادة مفتقرة إلى نية يتجه العبد لفعلها.

٢- إخلاص النية:

وعدّ بعض العلماء هذا الركن شرطاً في جميع العبادات، لكن لمّا كان الحديث عن الإخلاص نفسه أصبح داخلاً في ماهية الإخلاص؛ ولذا فقد عدّه بعض العلماء ركناً[(٢)] والبعض عدّه شرطاً[(٣)] وسبق ذكره في الشروط .

٣- الصدق في النية والإرادة:

وهو ألاّ يكون له باعث على العمل إلاّ الله عز وجل، ولا يمازج هذه الإرادة حظوظ النفس، وإلاّ لم يكن صادقاً في نيته، وانقسام نيته وطلبه دليل على عدم صدقه، بل هو كاذب، وإنما عُدَّ كاذباً؛ لأنه أظهر في عمله الإخلاص مع أن نيته وإرادته لم يكن

---

(١) سبق بيانه في صـ ١٥.

(٢) ينظر آداب الصحبة والمعاشرة، للغزالي، ١١٧-١١٨، تحقيق: د/ محمد سعود المعيني، مطبعة العاني، بغداد، وينظر إحياء علوم الدين، للغزالي، ٤٧٧/٤، وينظر مدارج السالكين، ١٠٩/٢ و١٩٠، وينظر الإخلاص والدقة في العمل، د/ عابد توفيق زين العابدين، ١٢، دار النشر للثقافة والعلوم، طنطا، ١٤١٧هـ.

(٣) سبق بيانه في شروط الإخلاص آنفاً .

مقصودها وجه الله والدار الآخرة[١]، وهذا الكذب في النية والإرادة صفة لأهـــل الريـــاء والنفاق، وقد نهينا عن فعلهم وسيأتي بيان أحكام ذلك في فصل الرياء بحول الله وقوته[٢].

---

(١) ينظر المصادر السابقة وينظر إحياء علوم الدين، للغزالي، ٤/٥١٣.

(٢) ينظر صـ ٢٩١-٢٩٢ .

المبحث الرابع

أهمية الإخلاص

الإخلاص من أعمال القلوب الهامة، وتظهر أهمية الإخلاص من:

١- حكمه .

٢- أهمية أعمال القلوب عامة — والإخلاص منها- .

٣- أهمية الإخلاص بصفة خاصة .

٤- المجالات التي يكون فيها .

٥- اهتمام السلف به .

٦- ثماره .

٧- آثار الإخلاص على الأعمال.

٨- مفاسد فقده وعدم تحقيقه.

٩- خطورة نواقضه وأثرها على إخلاص المرء وإيمانه.

ومن هذه المباحث ما سبق بيانه، ومنها ما سيأتي في مباحث أُخر بحول الله، لذا سيقتصر الحديث على أمرين وهما:

المطلب الأول: أهمية أعمال القلوب عامة.

المطلب الثاني: أهمية الإخلاص بصفة خاصة.

المطلب الأول

أهمية أعمال القلوب عامة

لأعمال القلوب عمومًا أهميةٌ لعل الجوانب التالية تبرز بعضها ، وهذه الجوانب هي:

١- أعمال القلوب هي الأساس وغيرها تبع لها وبصلاحها يصلح العمل، وبفسادها يفسد:

لقد جعل الله سبحانه وتعالى علامة الإيمان الكامل أنَّ القلوب تكون واجلة إذا ذُكر الله سبحانه وتعالى، قال تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[1].

وقال صلى الله عليه وسلم: (ألا وإنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)[2].

قال ابن القيم -رحمه الله-: « فأما النية فهي رأس الأمر وعموده وأساسه وأصله الذي عليه يبنى، فإنها روح العمل وقائده وسائقه والعمل تابع لها يُبنى عليها، ويصح بصحتها ويفسد بفسادها، وبها يستجلب التوفيق، وبعدمها يحصل الخذلان، وبحسبها تتفاوت الدرجات في الدنيا والآخرة ... »[3].

٢- أعمال القلوب الاشتغال بها أولى من غيرها -إن لم يكن غيرها أوجب- لأنَّ من طابت سريرته طابت علانيته:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: « ... والأعمال الظاهرة لا تكون صالحة

---

(١) (الأنفال ٢٠٠)

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ١/١٦٧، برقم [٥٢]، ومسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ٦/٣١، برقم [١٥٩٩].

(٣) إعلام الموقعين، ٤/٢٥٠، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

إلاَّ بتوسط عمل القلب؛ فإنَّ القلب ملك والأعضاء جنوده، فإذا خبث الملك خبث جنوده ... وكذلك أعمال القلب لابد أن تؤثر في عمل الجسد، وإذا كان المقدم هو الأوجب سواءً سمي باطنًا أو ظاهرًا، فقد يكون ما يسمى باطنًا أوجب مثل: ترك الحسد والكبر فإنه أوجب من نوافل الصيام، وقد يكون ما سمي ظاهرًا أفضل مثل: قيام الليل فإنَّه أفضل من مجرد ترك بعض الخواطر التي تخطر في القلب من جنس الغبطة ونحوها، وكل واحدٍ من عمل الباطن والظاهر يعين الآخر، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وتورث الخشوع ونحو ذلك من الآثار العظيمة هي أفضل الأعمال والصدقة، والله أعلم »[١].

وقال المناوي[٢] -رحمه الله تعالى-: « ... الظاهر عنوان الباطن، ومن طابت سريرته طابت علانيته، فإذا اقترن العمل بالإخلاص القلبي الذي هو شرط القبول أشرق ضياءً على الجوارح الظاهرة، وإذا اقترن برياءٍ أو نحوه اكتسب ظلمة يدركها أهل البصائر وأرباب السرائر »[٣].

٣- فساد الباطن يفسد الظاهر، لأن للباطن أثرًا على الظاهر، وهذا يبين أهمية أعمال القلوب ووجوب تحصيلها:

فقد قال صلى الله عليه وسلم: (التقوى ها هنا -يشير إلى صدره ثلاث مرات-)[٤] فمن لم تكن تقواه في قلبه لن تكون في جوارحه، قال المناوي -رحمه الله تعالى- عن القلب ودوره في العمل: « لأنّ الرعية بحكم الراعي وقد جعل الله بين الأجساد

---

(١) مجموع الفتاوى، ١١/٣٨١.

(٢) هو: محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين (٩٥٢-١٠٣١هـ) كان من كبار علماء عصره انزوى للبحث والتصنيف، له مصنفات كثيرة منها: فيض القدير، وشرح الشمائل للترمذي ، واليواقيت الدرر، وغيرها.
ينظر: الأعلام، للزركلي، ٦/٢٠٤، ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة، ٥/٢٢٠.

(٣) فيض القدير، ٢/٥٥٨، دار الفكر، بيروت.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب البر، باب تحريم الظلم، ٨/٣٦٣، برقم (٢٥٦٤).

والأرواح رابطة ربانية وعلاقة روحانية فلكل منها ارتباط بصاحبه»[١].

٤- التفاضل في أعمال القلوب الباطنة سبب للتفاضل حتى مع تساوي الأعمال الظاهرة:

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: «والأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والمحبة والتعظيم والإجلال وقصد وجه المعبود وحده دون شيء من الحظوظ سواه، حتى لتكون صورة العملين واحدة وبينهما في الفضل ما لا يحصيه إلاّ الله تعالى، وتتفاضل أيضاً بتجريد المتابعة فبين العملين من الفضل بحسب ما يتفاضلان به في المتابعة، فتتفاضل الأعمال بحسب تجريد الإخلاص والمتابعة تفاضلاً لا يحصيه إلاّ الله تعالى وينضاف هذا إلى كون أحد العملين أحب إلى الله في نفسه ...»[٢].

وقال ابن رجب -رحمه الله تعالى-: « قال بعض العارفين: إنما تفاضلوا بالإرادات و لم يتفاضلوا بالصوم والصلاة »[٣].

٥- العلم بأعمال القلوب ثلث العلم وهو أرجح من غيره:

قال البيهقي -رحمه الله تعالى-: « وكان الشافعي -رحمه الله- يقول: يدخل في حديث "إنما الأعمال بالنيات " ثلث العلم. قلنا: وهذا لأنّ كسب العبد إنما يكون بقلبه، ولسانه، وبنانه، والنية واحدة من ثلاثة أقسام اكتسابه، ثم لقسم النية ترجيح على القسمين الآخرين فإنّ النية تكون عبادة بانفرادها، والقول العاري عن النية، والعمل الخالي عن النية لا يكونان عبادة بأنفسهما، ولذلك قيل: «نية المؤمن خير من عمله» لأنّ القول والعمل يدخلهما الفساد والرياء و،النية لا يدخلها وبالله التوفيق»[٤].

---

(١) فيض القدير، ٣١٩/٥.

(٢) المنار المنيف، ٢٤-٢٥، تحقيق: منصور السماري، دار العاصمة، الرياض، الثانية، ١٤١٩هـ.

(٣) جامع العلوم والحكم، ٣٦/١.

(٤) السنن الصغرى، ٢٠/١، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الأولى، ١٤١٠هـ.

٦- عمل القلب مع العزم عليه ينال العبد به الثواب:

قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: قال: (إنّ الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة)[١].

قال أبو سهل[٢]: « وقد قيل النية دون العمل قد تكون طاعة »[٣].

٧- عدم الاهتمام بعمل القلب قد يجلب للعبد الهلاك:

لقد أبان الله سبحانه وتعالى لعباده حال المنافقين وأنهم يظهرون الإيمان بأقوالهم وقلوبهم خاليةٌ منه، وحذر عباده من طريقهم، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ ﴾[٤].

قال ابن القيم -رحمه الله-: «... إنَّ لله على العبد عبوديتين عبودية باطنة، وعبودية ظاهرة فله على قلبه عبودية وعلى لسانه وجوارحه عبودية، فقيامه [بصورة][٥] العبودية الظاهرة مع تعريه عن حقيقة العبودية الباطنة مما لا يقربه إلى ربه ولا يوجب له الثواب وقبول عمله فإنَّ المقصود امتحان القلوب وابتلاء السرائر فعمل القلب هو روح العبودية ولبها فإذا خلا عمل الجوارح منه كان كالجسد الموات بلا روح»[٦]

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقائق، باب من هم بحسنة أو سيئة، ٣٩٢/١١، برقم (٦٤٩١)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب إذا همَّ العبد بحسنة وإذا همَّ، ٤٢٥/١ حديث برقم (١٣٠).

(٢) هو: محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان الحنفي (من بني حنيفة) العجلي الصعلوكي (٢٩٦-٣٦٩هـ) النيسابوري، الفقيه الشافعي، المتكلم، النحوي، المفسر اللغوي، الصوفي، شيخ خراسان، أثنى عليه جمع من أهل العلم منهم الحاكم.

ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٢٣٥/١٦-٢٣٩.

(٣) شعب الإيمان، للبيهقي ، ٣٤٣/٥، برقم (٦٨٦٠).

(٤) (المائدة ٤١).

(٥) في المطبوع بسورة ولعل الصواب ماذكرته

(٦) بدائع الفوائد، ٧١٠/٣

وقال صديق حسن خان[1] -رحمه الله- في معرض حديثه عن أعمال القلوب: «... وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة، فالمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة، كما أنَّ المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهائها، ولو سئل فقيه عن معنى هذه المعاني حتى عن الإخلاص مثلاً، أو التوكل، أو وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عينه الذي في إهماله هلاكه في الآخرة، ولو سألته عن اللعان، والظهار، والسبق، والرمي، لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج إلى شيء منها[2]، وإن احتيج لم يخل بلد عمن يقوم بها »[3].

٨- اهتمام الإسلام بأعمال القلوب، وحثه عليها وعلى استكمالها دالٌّ على أهميتها، ولو لم يكن إلا هذا لكان كافيًا:

قال ابن مسعود رضي الله عنه : « ما بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿ أَلَمْ يَأْنِ

---

(١) هو: صديق خان بن حسن بن علي الحسيني، البخاري، القنوجي، أبو الطيب (١٢٤٨-١٣٠٧هـ) من علماء الهند المشهورين المجددين، سافر إلى بهوبال لطلب المعيشة ففاز بثروة طيبة، وتزوج بملكة بهوبال، ولقب بنواب عالي الجاه أمير الملك بهادر، له عدة مصنفات منها: أبجد العلوم، وفتح البيان في مقاصد القرآن، وعون الباري، وغيرها.
ينظر: أبجد العلوم، للمترجم، ٣/٢٧١-٢٨٢، والأعلام، للزركلي، ٦/١٦٧-١٦٨، والسيد محمد صديق حسن القنوجي، د/ أختر جمال لقمان، ٢٧-٥٣، دار الهجرة، الأولى ١٤١٧هـ.

(٢) لا يعني هذا عدم طلب العلم الشرعي للأحكام العملية، إذ لو كان كذلك لانحرف الناس في جانب العبادة، فكيف يعبد الله دون علم بما شرع، ولم يقع الناس في البدع العملية إلا بهذا، لكن المقصود عدم الإنصراف للمسائل النادرة، وترك الأوجب، وجرى التنبيه؛ لأن للصوفية مسلكًا في اهتمامهم بأعمال القلوب دون الجوارح، ولم يفرقوا بين الأوجب -كما سبق بيانه في كلام شيخ الإسلام فقرة/٢- بل أخذوا يعيبون على أهل الحديث انشغالهم فيه، وتركهم لمسالك الصوفية. ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، د/ عبد الرحمن المحمود ،١/٤٥٩-٤٦٠، الرشد، الرياض، الأولى، ١٤١٥هـ.

(٣) أبجد العلوم، ٢/٤٨٨، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.

لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾[١] إلا أربع سنوات »[٢].

والنصوص كثيرة في هذا المعنى ولعل ما سبق ذكره يكون كافيًا في بيان المراد، والله أعلم.

---

(١) (الحديد ١٦).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب التفسير، باب قوله {ألم يأن ... }، ٦/٣٨٤ برقم [٣٠٢٧].

المطلب الثاني

أهمية الإخلاص بصفة خاصة

للإخلاص أهمية خاصة تبرز في عدَّة جوانب وفي إيراد بعض منها إبراز لتلك الأهمية:

١- لا يقبل عملٌ إلاَّ إن كان خالصًا:

وقد بوب ابن حبان في صحيحه بابًا فقال: « ذكر الأخبار بأنَّ يوم القيامة لا يقبل فيه الأعمال إلاَّ ممن كان مخلصًا في إتيانها في الدنيا »[١].

قال سهل بن عبد الله[٢] -رحمه الله- : « الدنيا جهل وموات إلا العلم، والعلم كله حجة إلا العمل به، والعمل كله هباء إلا الإخلاص، والإخلاص على خطر عظيم حتى يختم به »[٣].

قال الذهبي -رحمه الله-: « ... فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلاَّ بترو من العلم والاتباع، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله »[٤].

قال ابن القيم -رحمه الله-: « وحق الله في الطاعة ستة أمور تقدمت وهي:

---

(١) صحيح ابن حبان، ٣٤٠/١٦.

(٢) هو: سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أبو محمد (٢٠٠-٢٨٣هـ) الصوفي الزاهد، له كلمات نافعة، ومواعظ حسنة، شاهد ذا النون المصري، كان أحد أئمة الصوفية وعلمائهم المتكلمين في علوم الإخلاص، والرياضات وعيوب الأفعال له: كتاب في تفسير القرآن، ورقائق المحبين.

ينظر: طبقات الصوفية، للسلمي، ٢٠٦-٢١١، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ٣٣٠/١٣-٣٣٣، والأعلام، للزركلي، ١٤٣/٣.

(٣) اقتضاء العلم العمل، للبغدادي، ٢٩، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الرابعة، ١٣٩٧هـ، وينظر: شعب الإيمان، للبيهقي، ٣٤٥/٥، برقم [٦٨٦٧].

(٤) سير أعلام النبلاء، ٦٠١/٤، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، الرسالة، بيروت، الحادية عشر، ١٤١٧هـ.

الإخلاص في العمل، والنصيحة لله فيه، ومتابعة الرسول فيه، وشهود الإحسان فيه، وشهود منة الله عليه، وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله »[١].

وتقدم ذكر الأدلة على شرطية الإخلاص، وكون العمل لا يقبل إلا به في مبحث حكم الإخلاص.

٢- جماع صلاح المرء في إخلاصه وهو السبيل إلى خلاصه:

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « فإنَّ الإخلاص والتوكل جماع صلاح الخاصة والعامة كما أمرنا أن نقول في صلاتنا ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ ﴾[٢] فهاتان الكلمتان قد قيل إنهما تجمعان معاني الكتب المنزلة من السماء »[٣].

ويقول ابن القيم -رحمه الله-: « فالإخلاص هو سبيل الخلاص والإسلام هو مركب السلامة، والإيمان ختم الأمان »[٤].

٣- الإخلاص أساس الدين والعمل:

قال أبو العالية[٥] -رحمه الله- في قوله تعالى ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ٩١/١، تحقيق: مجدي السيد، دار الحديث، القاهرة.

(٢) (الفاتحة ٠٠٥)

(٣) دقائق التفسير، ٢١٢/١، جمع وتحقيق د/ محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الثانية، ١٤٠٤هـ.

(٤) مفتاح دار السعادة، ٧٢/١، دار الفكر، بيروت.

(٥) هو: رُفيع بن مهران الرياحيُّ البصري، (ت ٩٠ وقيل ٩٣ وقيل ١٠٦هـ) الإمام المقرئ، الحافظ، المفسر، كان مولى لامرأة من بني رياح من يربوع ثم من بني تميم، أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه، سمع من جمع من الصحابة، قرأ القرآن على أبي بن كعب كما قيل إنه قد قرأه على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثلاث مرات، تصدر لإفادة العلم وبعد صيته، وكان ثقة لكنه يرسل روى له الجماعة.

ينظر: تهذيب الكمال، للمزي، ٢٢٠/٦-٢٢٣، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ٢٠٧/٤-٢١٣، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ٣٢٨.

﴿إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾[١] قال: « أسس الدين على الإخلاص لله وحده لا شريك له »[٢].

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « وقد فسر إسلام الوجه لله بما يتضمن إخلاص قصده لله وهو محسن بالعمل الصالح المأمور به، وهذان الأصلان جماع الدين: أن لا نعبد إلاَّ الله، وأن نعبده بما شرع لا نعبده بالبدع »[٣].

وقال المباركفوري[٤] -رحمه الله-: « ... وأنَّ مبنى الأعمال على الإخلاص »[٥].

وقال سليمان بن عبد الله -رحمه الله- في قول تعالى ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[٦].

قال: « ... وفيها أنَّ أصل دين النبي صلى الله عليه وسلم الذي بعث به هو الإخلاص كما في هذه الآية »[٧].

---

(١) (يوسف ٠٤٠)

(٢) جامع البيان، للطبري، ٢٢٠/١٢.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢/٣٧٢-٣٧٣.

(٤) هو: محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، أبو العلا (١٢٨٣-١٣٥٣هـ) ولد بقرية مباركفور بالهند، نشأ في موطنه وتربى في حجر والده وأخذ عنه العلم وعن بعض علماء بلده ثم ارتحل في طلب العلم في البلاد المجاورة، ودرس على القاضي حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي اليمني وغيره، وعاد لموطنه، وشرع في تعليم الناس والتصنيف، وبنى مدرسة سماها ((دار التعلم)) لخدمة السنة النبوية، وأسس مدارس أخرى في قرى مجاورة لإحياء السنة، وأصبح ضريرًا آخر عمره ثم عولج فشقي بإذن الله، وتوفي في بلدة مباركفور، من مصنفاته: تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، وأبكار السنن، وتحقيق الكلام في وجوب القراءة خلف الإمام، وغيرها.

ينظر: ترجمته في آخر مقدمة شرح سنن الترمذي ((تحفة الأحوذي))، ٢/٥٣٠-٥٥٠، بقلم عبد السميع المباركفوري ترجمه سنة وفاته ١٣٥٢هـ.

(٥) تحفة الأحوذي، ٢٢٦/٥.

(٦) (الكهف ١١٠)

(٧) تيسير العزيز الحميد، ٥٢٦.

قال ابن رجب -رحمه الله-: « وقال أبو عبد الله النباجي [(١)] الزاهد -رحمه الله- خمس خصال بها تمام العمل: الإيمان بمعرفة الله عز وجل، ومعرفة الحق، وإخلاص العمل لله، والعمل على السنة، وأكل الحلال، فإنَّ فقدت واحدة لم يرتفع العمل، وذلك أنك إذا عرفت الله عز وجل و لم تعرف الحق لم تنتفع، وإذا عرفت الحق و لم تعرف الله لم تنتفع، وإن عرفت الله وعرفت الحق و لم تخلص العمل لم تنتفع، وإن عرفت الله وعرفت الحق وأخلصت العمل و لم يكن على السنة لم تنتفع، وإن تمت الأربع و لم يكن الأكل من حلال لم تنتفع »[(٢)].

٤- الإخلاص ذروة الإيمان وعلامته كما أنه علامة التقوى والدين:

وسبق بيان أنَّ أوثق عرى الإيمان الإخلاص، وقد ورد عن السلف أن الإخلاص ذروة الإيمان، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: «ذروة الإيمان أربع خلال: الصبر للحكم، والرضا بالقدر، والإخلاص للتوكل، والاستسلام للرب عز وجل »[(٣)].

وسبق الكلام عن الإيمان والإخلاص في مبحث تعريف الإخلاص فيمن عرف الإخلاص بالإيمان[(٤)].

وأما أنه علامة التقوى والدين، فقد قيل: « التقوى ظاهر وباطن، فظاهره: محافظة

(١) هو أبو عبدالله سعيد بن يزيد النباجي أحد العباد، ينظر طبقات الصوفية ، ٢٠٠ .

(٢) جامع العلوم والحكم، ١/٢٥٧-٢٥٨، وينظر: الإخلاص والنية، لابن أبي الدنيا، ٣٢.

(٣) ينظر:الرضا عن الله بقضائه ، لعبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، ٥٨، برقم [٥٨]، تحقيق/ ضياء الحسن السلفي، الدار السلفية، بومباي، الأولى، ١٤١٠هـ، وينظر: الزهد، لابن المبارك، ١/٣١، برقم [١٢٣]، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مجلس إحياء المعارف، الهند، ١٣٨٥هـ، [زيادات ابن نعيم في الزهد]، وينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، ٤/٧٤٨، برقم [١٢٣٨]، تحقيق: د/ أحمد سعد حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض، الخامسة، ١٤١٨هـ وضعفه المحقق ٤/٧٤٨، وينظر: شعب الإيمان، للبيهقي، ١/٢١٩، برقم [٢٠٢].

(٤) ينظر: صـ ٢٠.

الحدود، وباطنه: النية والإخلاص »[١].

وقيل أيضًا: « علامة حب الله كثرة ذكره، وعلامة الدين الإخلاص لله ... »[٢].

٥- نية الإخلاص يؤجر بها المرء:

وسبق بيان أنَّ النية في أعمال القلوب عامة تكسب الأجر، وكذا الإخلاص.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « ... أنَّ النية المجردة من العمل يثاب عليها، والعمل المجرد عن النية لا يثاب عليه، فإنَّه قد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الأئمة أنَّ من عمل الأعمال الصالحة بغير إخلاص لله لم يقبل منه ذلك ... »[٣].

ومن الأدلة على أنَّ نية الإخلاص يؤجر بها صاحبها -غير ما سبق من أدلة في أعمال القلوب عامة- قال صلى الله عليه وسلم: « إنَّ بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلاَّ كانوا معكم قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة؛ حبسهم العذر »[٤].

٦- فرض قبل الصلاة :

قال محمد بن نصر المروزي[٥] -رحمه الله-: « أول فريضة بعد الإخلاص بالعبادة لله

---

(١) الزهد الكبير، للبيهقي، ٣٤٠، برقم [٩٢٤]، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت،الثالثة، ١٩٩٦م.

(٢) تعظيم قدر الصلاة، ٦٧٨/٢، برقم [٧٤٤].

(٣) الفتاوى الكبرى، ٤/١.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب رقم [٨١]، ١٥٨/٨، برقم [٤٤٢٣]، وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو أمر آخر، ٦٥/٧، برقم [١٨١١].

(٥) هو: محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، أبو عبد الله (٢٠٢-٢٩٤هـ) إمام في الفقه والحديث، والمسائل الخلافية، ولد ببغداد ونشأ بنيسابور، ثم استوطن سمرقند وبها توفي. من مصنفاته: تعظيم قدر الصلاة، وقيام الليل، والقسامة وغير ذلك.

ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٣٢/٤-٤٠، والبداية والنهاية، لابن كثير، ١٠٩/١١-١١٠، تحقيق: د/أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الثالثة ١٤٠٧هـ، والأعلام، للزركلي، ١٢٥/٧.

الصلاة »[١].

٧- الإخلاص خلاصة دعوة الأنبياء، وسنة تركها رسول صلى الله عليه وسلم لأمته بعده، واتفق على وجوب تحصيلها أهل السنة والجماعة:

قال البربهاري[٢] -رحمه الله- في السنن التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة: « وإخلاص العمل لله، والرضا بقضاء الله، والصبر على حكم الله ... »[٣].

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « ... بل إخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه فهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب، واتفق عليه أئمة أهل الإيمان، وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية، وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه ... »[٤].

وقال الدهلوي[٥]: « وقد تلخص كلام الأنبياء الذين يبلغ عددهم إلى مائة ألف

---

(١) تعظيم قدر الصلاة، ١/٨٦.

(٢) هو: الحسن بن علي بن خلف البربهاري، أبو محمد (٢٣٣-٣٢٩هـ) شيخ الحنابلة في وقته، من أهل بغداد كان شديدًا على أهل البدع، آذاه بعض الولاة في عصره. ونسبت البربهاري تعني: أدوية تجلب من الهند يقال لجالبها البربهاري ولعلها ما يسمى اليوم بالبهارات.

ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٥/٩٠-٩٣، والأعلام، للزركلي، ٢/٢٠١.

(٣) شرح السنة للبربهاري، ٧٨، تحقيق: خالد قاسم الردادي، دار السلف، الثالثة، ١٤٢١هـ، وينظر: العقيدة للإمام أحمد رواية أبي بكر الخلال، ٧٢، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، دار قتيبة، دمشق، الأولى، ١٤٠٨هـ، وينظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطي، ٢٥، تحقيق: يمان بن سعد الدين، رمادي للنشر، الدمام، الأولى، ١٤٠٤، وينظر شعار أصحاب الحديث، محمد بن محمد الحاكم، ٤٠، تحقيق: عبد العزيز محمد السدحان، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٤) مجموع الفتاوى، ١٠/٤٩.

(٥) هو: أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي، أبو عبد العزيز (١١١٠-١١٧٦هـ)، لقب: شاه ولي الله، فقيه حنفي من المحدثين، من أهل دهلى بالهند، أحيا الله به وبأبنائه وطلابه علم الحديث والسنة بالهند، له عدَّة مصنفات منها: حجة الله البالغة، والفوز الكبير بأصول التفسير، والإنصاف في أسباب الخلاف وغيرها.

=

وأربعة وعشرين ألفًا، وعلم الصحف السماوية التي يبلغ عددها إلى مائة وأربعة كتب في هذه النكتة، وهو: الاعتصام بالتوحيد وإخلاص الدين لله ... »(١).

٨- الإخلاص أصل كل خير:

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله-: « ... وذلك أنَّ الشيطان جعل لكل شيء من الخلق نظيرًا في الباطل فإنَّ أصل الشر هو الإشراك بالله كما أنَّ أصل الخير هو الإخلاص لله فإنَّ الله سبحانه خلق الخلق ليعبدوه وحده لا يشركوا به شيئًا وبذلك أرسل الرسل وبه أنزل الكتب كما قال تعالى﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾(٢)»(٣).

٩- الإخلاص أصل العدل:

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله-: « ... ما قررته في غير هذا الموضع بأنَّ توحيد الله الذي هو إخلاص الدين له، والعدل الذي نفعله نحن هو جماع الدين يرجع إلى ذلك؛ فإنَّ إخلاص الدين لله أصل العدل كما أنَّ الشرك بالله ظلم عظيم »(٤).

يشير شيخ الإسلام -رحمه الله- إلى وصية لقمان عليه السلام لابنه والتي ذكرها لنا ربنا -سبحانه وتعالى- حيث قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾(٥).

والشرك والإخلاص ضدان، فمن حقق الإخلاص نفى الشرك، ومن نفى الشرك

=

ينظر: أبجد العلوم، لصديق حسن خان، ٢٤٣/٣، والأعلام، للزركلي، ١٤٩/١.

(١) رسالة التوحيد،للدهلوي، ٥٣، تعليق أبو الحسن الندوي، المكتبة اليحيوية، سهارنفور، الهند، ١٣٩٤هـ.

(٢) (الأنبياء ٢٥).

(٣) قاعدة في المحبة، ٩٨/١، تحقيق د/ محمد رشاد سالم، نشر مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

(٤) مجموع الفتاوى، ٨٧/١.

(٥) (لقمان ١٣).

نفى الظلم، ومن نفى الظلم أقام العدل، فالإخلاص أصل العدل.

١٠- لا يتحقق التوحيد إلا بتحقيق الإخلاص:

قال قتادة[١] -رحمه الله-: « ... ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره التوحيد والإخلاص لله الذي جاءت به الرسل ... »[٢].

ويقول شيخ الإسلام -رحمه الله-: « ... والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه وتعليق النجاة والفلاح واقتضاء السعادة في الآخرة به، ومعلوم أنَّ الناس متفاضلون في تحقيقه، وحقيقته: إخلاص الدين كله لله ... »[٣].

وسبق بيان أنَّ الإخلاص ركنٌ من أركان التوحيد، ولا يتحقق عمل دون ركنه.

١١- تحقيق الإخلاص علامة محبة الله لعبده:

فالمخلص له علامات تميزه عن غيره منها عدم حرصه على الدنيا وزخرفها، فهو محميٌّ عنها بحماية الله له؛ ولذا فإخلاصه دليل محبة الله له، قال صلى الله عليه وسلم: «إذا أحبَّ الله عبدًا حماه الدنيا كما يظلُّ أحدكم يحمي سقيمه الماء »[٤].

---

(١) هو: قتادة بن دعامة بن عبد العزيز السدوسي، أبو الخطاب البصري (٦١-١١٨هـ) كان أكمه -رحمه الله-، روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه، والحسن البصري وغيرهما، وروى عنه جرير بن حازم، وأيوب السختياني، وغيرهما، كان ثقة ثبتا.

ينظر: تهذيب الكمال، للمزي، ١٥/٢٢٤-٢٣٢، تحقيق: أحمد عبيد وآخرون، المكتبة التجارية لمصطفى الباز، ١٤١٤هـ، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ٧٩٨، تحقيق أبو الأشبال صغير أحمد، دار العاصمة، الأولى، ١٤١٦هـ.

(٢) جامع البيان، للطبري، ٦/٢٦٩.

(٣) منهاج السنة النبوية، ٥/٣٤٧.

(٤) أخرجه الترمذي، أبواب الطب، ٦/١٥٩، برقم [٢١٠٧]، وأحمد في مسنده، ١٧/٥٧، برقم [٢٣٥١٣]، وابن حبان في صحيحه، ذكر البيان بأن الله إذا أحب عبده حماه الدنيا، ٢/٤٤٤، برقم [٦٦٩]، والطبراني في الكبير، ٤/٢٥٢، برقم [٤٢٩٦]، والحاكم في المستدرك، ٤/٢٣٠، ٣٤٤، ٤٥٢، برقم [٧٤٦٢]، [٧٨٥٧]، [٨٢٥٠]، و البيهقي في شعب الإيمان، ٧/٣٢١، برقم [١٠٤٤٩]، وحسن إسناد الطبراني الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/٥٠٨، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، =

١٢- كان السلف إذا أصبحوا يذكرون الإخلاص:

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي أصحابه إذا أصبحوا وأمسوا أن يقولون «أصبحنا على فطرة الإسلام، وعلى كلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين»[(١)].

١٣- بالإخلاص يفضل العمل:

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « ... فهذه سقت الكلب بإيمان خالص كان في قلبها فغفرلها[(٢)]، وإلا فليس كل بغيٍّ سقت كلبًا يغفر لها، وكذلك هذا الذي نحى غصن الشوك عن الطريق[(٣)]، فعله إذ ذاك بإيمان خالص، وإخلاص قائم بقلبه، فغفر له

=

٢٣٨/٣، برقم [٣١٧٩] و[٣١٨٠].

(١) أخرجه أحمد في المسند، ١٤٤/١٢، برقم [١٥٢٩٦، ١٥٢٩٩، ١٥٣٠٠، ١٥٣٠٣، ٢١٠٤٣]، وأخرجه الدارمي في السنن، باب ما يقول إذا أصبح، ٣٧٨/٢، برقم [٢٦٨٨]، بتحقيق: فواز زمرلي وآخر، دار الريان، القاهرة، الأولى، ١٤٠٧هـ، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، باب عمل اليوم والليلة، ٤/٦، برقم [٩٨٣٠] و[٩٨٣١]، بتحقيق: د/ عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى، ١٤١١هـ، وأخرجه ابن أبي شيبة ، ٣٢٤/٥، برقم [٢٦٥٤٠]، طبعة الدار السلفية، تحقيق: مختار أحمد الندوي، الأولى، ١٤١١هـ، وأخرجه البزار في مسنده ٢٩١/٥، برقم [١٩١١]، تحقيق: د/ محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، الأولى، ١٤١٤هـ، قال الهيثمي: « رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجل الصحيح »، ينظر: مجمع الزوائد للهيثمي ،١٥٦/١٠، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ، وقال محققا زاد المعاد: « إسناده صحيح» ينظر: زاد المعاد، ٣٧٤/٢، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، الرسالة، بيروت، الرابعة عشر، ١٤١٠هـ.

(٢) يشير لما أخرجه البخاري، في كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم، ٤٣٣/٦، برقم [٣٣٢١]، وأخرجه مسلم، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، ٥٠٢/٧، برقم [٢٢٤٥]، وقد أورد الحديث شيخ الإسلام قبل هذا الموطن، ٢٢٠/٦.

(٣) يشير لما أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب فضل التهجير إلى الظهر، ١٨٠/٢، برقم [٦٥٢]، ومسلم، كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء، ٧٠/٧، برقم [١٩١٤]، وساق الشيخ الحديث في ٢٢١/٦.

بذلك، فإنَّ الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص، وإنَّ الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحدًا، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض، وليس كل من نحى غصن شوك عن الطريق يغفر له، قال تعالى ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾[1] فالناس يشتركون في الهدايا والضحايا، والله لا يناله الدم المهراق ولا اللحم المأكول، والتصدق به، لكن يناله تقوى القلوب، وفي الأثر: أن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحدًا وبين صلاتيهما كما بين المشرق والمغرب، فإذا عرف أن الأعمال الظاهرة يعظم قدرها ويصغر قدرها بما في القلوب، وما في القلوب يتفاضل، لا يعرف مقادير ما في القلوب من الإيمان إلا الله ...»[2].

قال ابن حجر –رحمه الله–: « ... قال البيضاوي: معنى الحديث لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهبًا من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصيفه وسبب التفاوت: ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص، وصدق النية »[3].

ولهذا وقع نظر الصالحين على الإخلاص و لم يهتموا بكثرة العمل، وقالوا الشأن في الصفوة لا في الكثرة، وجوهرة واحدة خير من ألف خرزة، وأما الجاهل فأهمل ما في القلوب وأتعب النفس بكثرة العمل، و لم ينظر إلى ما فيها من المنح والصفوة، وما يغني عدد الجوز ولا لب فيه، وما ينفع رفع السقوف و لم تحكم مبانيها، والله أعلم.

١٤- بالإخلاص قوام الأمة وفيه النجاة:

وقد مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمعاذ بن جبل رضي الله عنه فقال له: « ما قوام هذه الأمة؟ قال معاذ: ثلاث وهنَّ المنجيات: الإخلاص، وهو الفطرة فطرة الله التي فطر الناس

---

(١) (الحج ٠٣٧)

(٢) منهاج السنة النبوية، ٦/٢٢١-٢٢٢.

(٣) فتح الباري، ٧/٤٤.

عليها، والصلاة وهي الملة، والطاعة وهي العصمة، فقال عمر: صدقت »[١].

١٥- الإخلاص شرط للتوبة:

قال ابن القيم -رحمه الله-: « وشرط في توبة المنافق: الإخلاص؛ لأنَّ ذنبه الرياء»[٢].

وقال القرطبي[٣] -رحمه الله-: « ولا تصح التوبة الشرعية إلا بالنية، والإخلاص فإنها من أعظم العبادات الواجبات، ولذلك قال تعالى :﴿ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا ﴾[٤]»[٥].

وقال تعالى في شأن المنافقين:﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٤٦ ﴾[٦].

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: « ﴿ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ ﴾[٧] فيه قولان: أحدهما: الإسلام، وإخلاصه: رفع الشرك عنه، قاله مقاتل، والثاني: أنه العمل، وإخلاصه: رفع

---

(١) جامع البيان، للطبري، ٤٠/٢١، وينظر: شعب الإيمان، للبيهقي، ٣٤٤/٥، برقم [٦٨٦٣].

(٢) مدارج السالكين، ٤٠٥/١.

(٣) هو: أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس، الأنصاري، القرطبي، (٥٧٨-٦٥٦هـ) فقيه مالكي، ومن أهل العلم بالحديث، يعرف بابن المزين، ولد في قرطبة، ودرس بالأسكندرية وبها توفي، من مصنفاته: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، واختصر الصحيحين، وهو غير القرطبي المفسر.

ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير، ٢٢٦/١٣، والأعلام، للزركلي، ١٨٦/١.

(٤) (التحريم ٠٠٨)

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأحمد بن عمر القرطبي، ٧٠/٧، تحقيق: محي الدين ديب مستو وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، الثانية، ١٤٢٠هـ.

(٦) (النساء ١٤٥-١٤٦)

(٧) (النساء ١٤٦)

شوائب النفاق والرياء منه، قاله أبو سليمان الدمشقي »[1].

وليس الإخلاص شرطاً في توبة المنافق فحسب بل كل توبة؛ لأنها عبادة وكل عبادة فالإخلاص شرطٌ لصحتها كما سبق بيانه في حكم الإخلاص.

(١) زاد المسير، لابن الجوزي، ٢٣٥/٢، المكتب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٣٨٤هـ.

المبحث الخامس

محل الإخلاص

الإخلاص عملٌ باطني، معلوم عند الله تعالى لا يعلمه الناس، يقول السندي[(١)] -رحمه الله-: « ... أنَّ المدار على الإخلاص الباطني المعلوم عند الله لا على ما يظهر للناس ... »[(٢)].

والإخلاص من أعمال القلب، ومحله ومعدنه هو القلب، ذكر ذلك عدَّةٌ من أهل العلم، وهذه بعض الأقوال لهم:

قال ابن منده[(٣)] -رحمه الله-: « ... فمن أفعال القلوب: النيات والإرادات ... والنصيحة لله ولرسوله ولكتابه، وإخلاص الأعمال كلها مع سائر أعمال القلوب»[(٤)].

يقول ابن حزم -رحمه الله-: « ... والإخلاص فعل النفس ... »[(٥)].

وقال النووي -رحمه الله-: « والإخلاص عمل القلب وهو النية ... »[(٦)].

---

(١) هو: محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (ت ١١٣٨هـ) أصله من السند وبها ولد، وتوطن المدينة حتى توفي بها، كان فقيها حنفيًا، عالمًا بالحديث والتفسير والعربية، له عدَّة مصنفات منها: حواشي على الكتب الستة، وحاشية على مسند أحمد.

ينظر: الأعلام، للزركلي، ٢٥٣/٦، ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة، ٢٦٢/١٠.

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي، ٣٣٦/٦، تحقيق: مكتب التراث الإسلامي، دار المعرفة، بيروت، الثالثة، ١٤١٤هـ، وينظر تلخيص الإستغاثة، لابن تيمية، ١٧٦/١.

(٣) هو: محمد بن إسحاق بن محمد بن يحي بن منده، أبو عبد الله العبدي، الأصبهاني (٣١٠-٣٩٥هـ) من كبار حفاظ الحديث، وإمام من الأئمة الرحالين المكثرين من التصنيف، فمن مصنفاته: الرد على الجهمية، وفتح الباب في الكنى والألقاب، والتوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته، وغيرها.

ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٢٨/١٧-٤٣، والأعلام، للزركلي، ٢٩/٦.

(٤) الإيمان،لابن منده،٣٦٢/١، تحقيق:د/علي محمد ناصر فقيهي، طبع الجامعة الإسلامية، الأولى،١٤٠١هـ.

(٥) المحلى، ٣/١.

(٦) المجموع، ٣٧٥/١.

وقال ابن قدامة -رحمه الله-: « وإخلاص القلب ... »[١].

وقال القرطبي: « فإنَّ الإخلاص من عمل القلب وهو الذي يراد به وجه الله تعالى لا غيره »[٢].

وعدد ابن حجر -رحمه الله- أعمال القلوب وذكر منها الإخلاص فقال: « فأعمال القلب فيه المعتقدات والنيات وتشتمل على أربع وعشرين خصلة: الإيمان بالله ... الإخلاص ... »[٣].

قال إبراهيم بن محمد بن مفلح-رحمه الله-:«والنية لغة: القصد، يقال:نواك الله بخير أي قصدك به ومحلها القلب، فلابد أن يقصد بقلبه، وأن يخلصها لله تعالى لأنه عمل القلب»[٤].

وقال المناوي -رحمه الله-: « ... إذ الإخلاص معدنه القلب ... »[٥].

وقال الشوكاني -رحمه الله-: « ... وفي الآية دليل على وجوب النية وإخلاصها عن الشوائب لأنَّ الإخلاص من الأمور القلبية التي لا تكون إلاَّ بأعمال القلب ...»[٦].

ومن الأدلة التي تدلُّ على أنَّ الإخلاص من عمل القلب وأنَّ محله هو القلب ما يلي:

١ـ قال صلى الله عليه وسلم: « أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قبل نفسه »[٧].

---

(١) لمعة الاعتقاد، ٩٢، تحقيق: أشرف عبد المقصود، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الأولى، ١٤١٣هـ، وينظر المغني لابن قدامة، ١٣٢/٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ١٤٣/٢٠.

(٣) فتح الباري، ٧٣/١.

(٤) المبدع، ١١٦/١، وينظر الفروع، لمحمد بن مفلح، ١١١/١، تحقيق: أبي الزهراء حازم القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٦هـ، وينظر كشاف القناع، للبهوتي، ٣١٣/١.

(٥) فيض القدير، ٥٠٧/١، وينظر تحفة الأحوذي، للمباركفوري، ٢٣٢/٥.

(٦) فتح القدير، ٤٤٨/٤.

(٧) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ٥٠٩/١١، برقم [٦٥٧٠].

قال ابن حجر في شرحه للحديث: « ... مع أنَّ الإخلاص محله القلب، لكن إسناد الفعل إلى الجارحة أبلغ في التأكيد ... »[١].

٢ـ وقال صلى الله عليه وسلم: « ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإنَّ دعوتهم تحيط من ورائهم»[٢].

ففي هذا الحديث إثبات أنَّ الإخلاص من عمل القلب وعلى هذا فمحله القلب.

تنبيه:

ليس معنى أنَّ الإخلاص مقره القلب أنه لا يؤثر أو يتأثر بأعمال الجوارح، بل على عكس ذلك كما تقدم في مبحث أهمية أعمال القلوب وأهمية الإخلاص، والإخلاص من شعب الإيمان والإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية كما اتفق أهل السنة على ذلك[٣].

---

(١) فتح الباري، ٥٣٩/١١.

(٢) أخرجه الترمذي، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، ٣٩٥/٤، برقم [٢٦٥٨]، بتحقيق/ د. بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت، الثانية، ١٩٩٨م –ولم أجده عند الترمذي في الطبعة السابقة– وأخرجه ابن ماجة في كتاب السنة، باب من بلغ علمًا، ١٥١/١، برقم [٢٣٠]، وأخرجه أحمد في مسنده، ٣٢/١٦، برقم [٢١٤٨٢]، وأخرجه ابن حبان في صحيحه في ذكر رحمة الله جل وعلا من بلغ أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم حديثًا صحيحًا عنه، ٢٧٠/١، برقم [٦٧]، وأخرجه الدارمي في سننه، باب الاقتداء بالعلماء، ٨٢/١-٨٣، برقم [٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩]، وأخرجه ابن أبي عاصم في كتابه السنة، ٤٥، برقم [٩٤]، و٥٠٢ برقم [١٠٨٥]، تحقيق: الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة، ١٤١٣هـ وأخرجه البيهقي في الاعتقاد، ٣٢٧، تحقيق: أحمد أبو العينين، دار الفضيلة، الرياض، الأولى، ١٤٢٠هـ، وأخرجه الطبراني في الكبير، ١٤٣/٥، برقم [٤٨٩٠]، وصححه الألباني في تحقيقه لكتاب السنة لابن أبي عاصم، ٤٥، وصححه محقق كتاب الاعتقاد للبيهقي أحمد أبو العينين، ٣٢٧.

(٣) ينظر: الإيمان،لأبي عبيد القاسم بن سلام، ١٠،تحقيق: الألباني–رحمه الله–،المكتب الإسلامي،بيروت، الثانية، ١٤٠٣هـ، وينظر: الإيمان، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، ٥٠، تحقيق/ الألباني –رحمه الله–، المكتب الإسلامي، بيروت، الثانية، ١٤٠٣هـ، وينظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين –رحمه الله– ٢٢٩/٢، تحقيق: سعد الصميل، دار ابن الجوزي، الدمام، الثانية، ١٤١٥هـ، وينظر: زيادة الإيمان ونقصانه، لعبد الرزاق بن عبد المحسن العباد، ٢١، ذار القلم والكتاب، الرياض، الأولى،١٤١٦هـ.

المبحث السادس

درجات الإخلاص

وفيه تمهيد ومطلبان:

التمهيد.

المطلب الأول : درجات الإخلاص.

المطلب الثاني: مراتب الإخلاص.

التمهيد:

تباينت عبارات أهل العلم في بيان درجات الإخلاص، والناظر في كلامهم يجد أنَّ هذا الاختلاف اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ذلك أنَّ اختلافهم إنما هو راجع إلى الاختلاف في النظر إلى متعلق هذه الدرجات، وهم نظروا إلى متعلقين وهما:

١- المتعلق الأول:

درجات الإخلاص بالنسبة للشوائب التي تطرأ عليه -وهذا المتعلق الأول- وغالباً ما يطلقون على هذا النوع : درجات.

٢- المتعلق الثاني:

درجات الإخلاص بالنسبة للتفاضل في قصد المتعبد بعبادته وما هو مطلوبه من عبادته -وهذا المتعلق الثاني- وغالبًا ما يطلق العلماء على هذا النوع: مراتب. و لم أجد من أطلق عليه درجات إلا البهوتي -رحمه الله- و لم يكن تحريره دقيقًا في هذه الدرجات حيث إنه مزج بين الشوائب وبين رتب الإخلاص، وعدَّ العمل للإكرام في الدنيا والسلامة من آفاتها الدرجة الثالثة، ثم قال: « وما عدا الثلاث من الرياء » فكأنه -والله أعلم- عدَّ الدرجة الثالثة من الإخلاص، وليس هذا بصحيح وسيأتي بيانه في أقسام الرياء وفي أنواع إرادة الدنيا بحول الله وقوته[1].

ولعل في بيان درجات الإخلاص ومراتبه ما يوضح المقصود، وستكون دراستها في مطلبين حسب كل متعلق.

---

(١) ينظر: كشاف القناع، للبهوتي، ٣١٣/١، ووافقه السيد البكري، ينظر إعانة الطالبين، ١٢٩/١ لبيان هذه الدرجات لكنه سماها مراتب وتقسيمهما غير صحيح كما سبق بيانه آنفًا.

المطلب الأول

درجات الإخلاص

والمقصود بها حالة الإخلاص من جهة ما قد يعلق به من شوائب تجعله على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: التخلص من رؤية العمل، وطلب العوض عليه:

يعرض للعامل في عمله ثلاث آفات:

رؤية العمل وملاحظته، وطلب العوض عليه، والسكون إليه والرضا به، ففي هذه الدرجة يتخلص من تلك الآفات، فيتخلص من رؤية عمله بمشاهدة منّة الله عليه وأنه بتوفيقه وفضل منه سبحانه كما قال تعالى ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢٩﴾[1].

فهنا ينفعه شهود الجبر [2] ، وأنه آلة محضة، وفعله كحركة الشجرة وهبوب الريح، وأنَّ المحرك والفاعل غيره، وأنَّه لو خلي ونفسه لم يفعل شيئًا كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾[3]. وقوله سبحانه وتعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا﴾[4]. وقوله سبحانه

---

(١) (التكوير ٠٢٩)

(٢) هذا ما قرره ابن القيم ولا يعني هذا الكلام أن ابن القيم يرى الجبر وهذا معلوم عنه بالضرورة ، لكنه يريد أن ينفي العجب عن العمل بأن يتذكر المرء أن عمله من توفيق الله له .

(٣) (النور ٠٢١)

(٤) (الأعراف ٠٤٣)

وتعالى﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾[1]. وغيرها من الآيـــات فمعرفة العبد لربه ومعرفة العبد لنفسه تخلصه من رؤية العمل.

ويتخلص من طلب العوض على العمل: بأن يعلم أنه عبد محض، والعبد لا يستحق على خدمته لسيده عوضًا ولا أجرة، وما يناله من أجر وثواب فمحض تفضل وإحسان من الله إليه.

ويتخلص من رضاه بعمله وسكونه إليه بأمرين:

١- مطالعة العبد لعيوب نفسه، وتقصيره، وما في عمله من حظ لنفسه.

٢- أن يعلم أنَّ الربَّ جل جلاله مستحق لهذه العبودية، وأنَّ العبد أقل من أن يوفي هذه العبودية حقها.

الدرجة الثانية: الخجل من العمل مع بذل الجهد في العمل:

فالعبد يخجل من عمله ويستحي من الله ويرى تقصيره في العمل مع بذل جـهده في عمله كما قال تعـــالى :﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[2].

وعن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسـلم عن هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ ﴾[3] قالت عائشة: أهم الذيـن يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: « لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلـون ويتصدقون وهم يخافون أن لا تقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات وهم لهـا

---

(١) (الحجرات ٠٠٧)

(٢) (المؤمنون ٠٦٠)

(٣) (المؤمنون ٠٦٠)

سابقون »[1].

فهذا حال المؤمن يعمل بجهد ويخجل من عمله ويخاف عدم قبوله، وذلك لأنه ينظر إلى تقصيره ولا يغترُّ بعمله.

الدرجة الثالثة:

العمل وفق العلم: فيكون عمله تابعًا لعلمه لا العكس -وبهذا يتخلص من هـــواه- فلا يعمل إلاَّ بعلم مشروع لتحقيق عبودية قوله سبحانه وتعـــالى ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[2].

- فالعمل بعلم: تحقيق لقوله سبحانه ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

- والعمل بعلم مشروع: تحقيق لقوله سبحانه ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[3].

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب التفسير، باب من سورة المؤمنون، ١٥/٩، حديث رقم [٣٣٨٩]، وأخرجه ابـن ماجة، كتاب الزهد، باب التوقي على العمل، ٤٦٧/٤، برقم [٤١٩٨]، وأخرجه أحمـــد في مسنده، ٥٥٥/١٧، برقم [٢٥١٣٩]، وأخرجه أيضا في المسند، ٣٤/١٨، برقم [٢٥٥٨١]، وأخرجه ابن جرير في تفسيره، ٣٣/١٨، وأخرجه البغوي في تفسيره، ٢٥/٦، و٤٢١/٥، وأخرجه الطبراني في الأوســط، ١٩٨/٤، برقم [٣٩٦٥]، تحقيق: طارق عوض الله محمد وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين ، القــاهرة، ١٤١٥هــ، وأخرجه الحميدي في مسنده، ١٣٢/١، برقم [٢٧٥]، تحقيق/ حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، وأخرجه الحاكم في المستدرك، ٤٢٧/٢، برقم [٣٤٨٦]، وصححه الألبـــاني -رحمه الله- في صحيح الترمذي، برقم [٢٥٣٧]، وصححه محقق مسند أحمـــد، حمـزة الزيـن ينظـر :٥٥٥/١٧.

(٢) (التكوير ٢٨٠-٢٩٠).

(٣) ينظر: في بيان هذه الدرجات: مدارج السالكين، لابن القيم، ١٠٤/٢-١٠٩ بتصرف، والإخـــلاص في مجالات العمل الإسلامي، د/ علي عبد الحليم محمود،٢٩-٣٢ دار التوزيع، مصر، الأولى، ١٤١٥هــ.

المطلب الثاني

مراتب الإخلاص[1]

والمقصود بها مراتب الإخلاص بالنسبة للتفاضل في قصد المتعبد من عبادته، ومراتب الإخلاص ثلاثة وهي:

١- المرتبة الأولى "العليا" وهي:

أن تعبد الله لذاته لا طمعاً في جنته ولا هربًا من ناره بل لكونه إلهاً وأنت عبده.

٢- المرتبة الثانية "الوسطى" وهي:

أن تعبد الله لتشرف بعبادته، والنسبة إليه، ولكونك عبدًا له، يستحق عليك مولاك كل شيء. وسميت المرتبة الأولى والثانية: « إخلاص عمل »[٢].

٣ المرتبة الثالثة "الدنيا" وهي:

أن تعبد الله طلبًا لثوابه وخوفًا من عقابه[٣].

وسميت هذه المرتبة: « إخلاص طلب أجر »[٤].

و لم ينص أحد ممن قسم الإخلاص إلى مراتب على دليل لهذا التقسيم ولعل وضوح

(١) كنت أظنُّ أنَّ هذا تصور خاطئ وبعد التحري والبحث ظهر لي ألاَّ حرج في هذا التصور وأن هذا قد يتسامح فيه بشرط: **ألاَّ يعتقد تحريم طلب أي مرتبة من هذه المراتب** وإلاَّ كان من التصورات الخاطئة، وأوضحت قول من قال بتحريم طلب غير المرتبة الأولى في التصورات الخاطئة صـ ١٦٠، وينظر كلام ابن القيم وكلام الشاطبي اللاحقين، وممن رأى أن هذه المراتب مما قد يتسامح فيها بالشرط المذكور: ابن دقيق العيد -رحمه الله- ونقلت قوله صـ ١٦٤ .

(٢) ينظر: فيض القدير، ٢٧٤/٤.

(٣) ينظر: آداب النفوس للمحاسبي، ١١٨، تحقيق: عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، الأولى، ١٤٠٨هـ، و قواعد الأحكام، للعز بن عبد السلام، ١٠٦/١، وإعانة الطالبين، للسيد البكري، ٣٣٨/٤، وحاشية العدوي، ٢٥٦/١، والفواكه الدواني، لأحمد غنيم النفراوي، ١٤٣/١، وفيض القدير، للمناوي، ٥٥٢/١، وينظر الثمر الداني، لصالح الأزهري، ٦٧٨.

(٤) ينظر فيض القدير، ٢٧٤/٤.

الأمر لم يحملهم على طلب الدليل؛ لأنَّ المتعبد له مطلوب من عبادته، والمطلوب إمَّا أن يكون وجه الله سبحانه وتعالى وحده، وعُبد لكونه إلهاً يستحق العبادة لعظمته وربوبيته وإلهيته، وطمعاً في رضاه وحذراً من مساخطه، وإمَّا أن يكون مطلوبه التشرف بتحقيق العبودية لله والنسبة إليه، وإما أن يكون المطلوب هو ثواب الله والحذر من عقابه، ومعلوم أنَّ كلَّ طلبٍ يشرف بشرف المطلوب فمن كان مطلوبه وجه الله سبحانه وتعالى ومرضاته فإنَّ طلبه أشرف طلب لشرف مطلوبه؛ ولذا كانت مرتبته أعظم المراتب.

قال ابن القيم –رحمه الله-: « ... ولهذا كان من كمال الإخلاص أن لا يجعل العبد عليه منَّة لأحد من الناس لتكون معاملته كلها لله ابتغاء وجهه، وطلب مرضاته فكما أنَّ هذه الغاية أعلى الغايات، وهذا المطلوب أشرف المطالب فهذا الطريق أقصد الطريق إليه وأقربها، وأقومها، وبالله التوفيق »[1].

وقال الشاطبي –رحمه الله-: « ... ولكن هؤلاء على ضربين:

أحدهما: من يسبق له امتثال أمر الله الحظَّ، فإذا أُمر أو نُهي لبَّى قبل حضور الحظ، فهم عاملون بالامتثال لا بالحظ، وأصحاب هذا الضرب على درجات، ولكنَّ الحظ لا يرتفع خطوره على قلوبهم إلاَّ نادرًا، ولا مقال في صحة إخلاص هؤلاء.

والثاني: من يسبق له الحظُّ الامتثال، بمعنى: أنَّه لَمَّا سمع الأمر أو النهي خطر له الجزاء، وسبق له الخوف أو الرجاء، فلبَّى داعي الله، فهو دون الأول، ولكن هؤلاء مخلصون أيضًا؛ إذ طلبوا ما أُذن لهم في طلبه، وهربوا عما أذن لهم في الهرب عنه، من حيث لا يقدح في الإخلاص كما تقدم »[2].

وفي كلام الإمامين إشارة لمراتب الإخلاص، وإن لم يصرحا بها، والله أعلم.

---

(١) التبيان في أقسام القرآن، ١/١٥٧، تحقيق: محمد النجار، المؤسسة السعيدية، الرياض، وينظر مدارج السالكين، ١/٥٢٢-٥٢٣.

(٢) الموافقات، ٢/٣٥٩-٣٦٠، وينظر منه: ١/٣٤٦-٣٤٧، بتحقيق: مشهور حسن، دار ابن عفان، الخبر، الأولى، ١٤١٧هـ.

تنبيه:

لا يقصد من كون الإخلاص على مراتب أنَّ طلب مرتبة منها تنافي الإخـلاص، أو أنه لا يجوز طلب سوى العليا، بل المقصود بيان التفاضل في مراتب الإخلاص، ومن ظنَّ أنه لا يجوز طلب سوى المرتبة العليا فقد أخطأ، بل ذهب البعض إلى أنَّ طلب غير العليا ينافي الإخلاص،وهذا تصور خاطئ لحقيقة الإخلاص، سيأتي بيانـه ضمـن مبحـث التصورات الخاطئة لحقيقة الإخلاص بإذن الله.

مسألة:

قد يسأل سائل ما الفائدة من هذه المراتب ما دام أنَّ طلب الكل جائز، وأنَّ مـن طلب واحدة لم ينتف إخلاصه ؟

والجواب:

قد وردت أحاديث تبين تفاضل العباد في الثواب والأجر مع أنَّ الأعمال واحـدة، والكل محقق للإخلاص، لكن إذا عُرف أن للإخلاص مراتب متفاضلة عُرف أنَّ السبب في تفاضل الثواب هو التفاضل في مراتب الإخلاص.

قال ابن حجر –رحمه الله-: « ... وبهذا التقرير يظهر موقع قوله "أسعد"[١] وأنهـا على بابها من التفضيل ولا حاجة إلى قول بعض الشراح "الأسعد" هنا بمعـنى السـعيد لكون الكل يشتركون في شرطية الإخلاص لأنّا نقول يشتركون فيه لكن مراتبهم فيـه متفاوتة... »[٢].

---

(١)يشير إلى حديث : «أسعد الناس بشفاعتي...» وقد سبق نقله في مبحث محل الإخلاص .

(٢) فتح الباري، ١١/٥٣٩.

المبحث السابع

مجالات الإخلاص

الإخلاص من العبادات الهامة والتي لها مجالات كثيرة تدخل فيها، ففي مجال العبادات هو شرط فيها كلها سواءً ما كان منها عبادات قولية أو فعلية أو اعتقادية وسبق بيان حكمه، وقد بوب البيهقي -رحمه الله- بابًا فقال: ((باب استعمال العبد الصدق في النية والإخلاص فيما يقول ويعمل لله عز وجل على موافقة السنة))[١].

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله-: ((... فإنَّ إخلاص الدين لله واجب في جميع العبادات: البدنية، والمالية كالصلاة والصدقة ...))[٢].

وقال أيضًا -رحمه الله-: ((والعبادات التي شرعها الله كلها تتضمن: إخلاص الدين كله لله تحقيقًا لقوله تعالى﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝ ﴾[٣]))[٤].

وقال النووي -رحمه الله-: ((... والإخلاص في جميع الأمور...))[٥].

ولكن هل الإخلاص يدخل في مجالات العبادة دون غيرها من المعاملات ؟

إنَّ الإخلاص مجال واسع للحياة مصداقًا لقوله تعالى ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي

---

(١) السنن الصغرى، ١/١٨.

(٢) مجموع الفتاوى، ٢٧/١٤٨، وينظر الفتاوى الكبرى، ٤/٣٧٩.

(٣) (البينة ٥)

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢/٣٧٠.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١/٣١٤، وينظر الديباج، للسيوطي، ١/٧٣ تحقيق: أبي إسحاق الحويني الأثري، دار ابن عفان، الخبر، ١٤١٦هـ، وينظر: الفواكه الدواني، لأحمد غنيم النفراوي، ٢/٣٢٨.

وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾[١].

ومن ثمار الإخلاص -كما سيأتي بيانه ضمن ثمار الإخلاص بإذن الله- أنَّ المباحات يُنال بها الأجر إذا احتسب الأجر فيها المسلم كما قال صلى الله عليه وسلم: (كل معروف صدقة)[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم أيضًا: (... وفي بُضع أحدكم صدقة)[٣].

فانظر كيف جعل الإسلام إتيان الشهوة المباحة صدقة ومعروفاً إذا احتسبها المسلم.

وأسوق بعض كلام أهل العلم لزيادة الأمر بيانًا والحق جلاءً.

قال النووي -رحمه الله-: ((وقد كره جماعة من السلف التكلف للضيف وهو محمول على ما يشق على صاحب البيت مشقة ظاهرة؛ لأنَّ ذلك يمنعه من الإخلاص وكمال السرور بالضيف))[٤].

وأنت ترى أنَّ النووي -رحمه الله- عدَّ الإخلاص مطلوبًا في إكرام الضيف، لأنَّ المسلم إذا احتسب أجر إكرام ضيفه أصبح عبادة، ومن المجالات التي يدخلها الإخلاص:

١- التعامل مع العباد ونصحهم وإرشادهم كما قال صلى الله عليه وسلم: (ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإنَّ دعوتهم تحيط من ورائهم)[٥].

وقيل: ((... أنَّ خير زاد يتزوده العامل هو الإخلاص لله في العبادة والإخلاص

---

(١) (الأنعام ١٦٢)

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة، ١٠/٥٥٠، برقم [٦٠٢١]، وأخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ٤/٩٨، برقم [١٠٠٥].

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أنَّ اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ٤/٩٩، برقم [١٠٠٦].

(٤) شرح مسلم، للنووي، ٧/٢٣٨، وينظر تحفة الأحوذي، للمباركفوري، ٧/٣٠.

(٥) سبق تخريجه في مبحث محل الإخلاص صـ ٦٨ .

للعباد في العدل، والنصيحة، والإرشاد ...))[١].

٢- الإخلاص في النفع المتعدي علماً أنَّ الإخلاص في النفع المتعدي أقلّ من الإخـــلاص في العبادات البدنية؛ ولذا كان الأجر في النفع المتعدي أعظم لأنَّ الإخلاص عزيــزٌ فيه، قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: ((والإخلاص في النفع المتعدي أقل منـــــه في العبادات البدنية؛ ولهذا قال في الحديث المتفق على صحته "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله"[٢]))[٣].

وبما سبق يتضح أنَّ للإخلاص مجال واسع في الحياة حيث يدخل في مختلف مجالاتها، والله أعلم.

(١) رسالة التوحيد، لمحمد عبده، ١٤١، دار إحياء الكتب العربية، مصر، الحادية عشر، ١٣٦٥هـ.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، ١٨٥/٢، برقم [٦٦٠]، وأخرجه في عدة مواطن وهذه أرقامها [١٤٢٣، ٦٤٧٩، ٦٨٠٦]، وأخرجه مسلم ، كتـــاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، ١٣٠/٤، برقم [١٠٣١].

(٣) مجموع الفتاوى، ٢٦١/١٨.

المبحث الثامن
طرق تحصيل الإخلاص

الإخلاص من الواجبات المطلوب تحصيلها، فهو أوثق عرى الإيمان وقاعدته وأسه، وهناك طرق لتحصيل الإخلاص، واجب على المسلم أن يتعرف عليها ويتعلم منها ما يحصّل به إخلاصه، فما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب ، وهناك طرق كثيرة لتحصيل الإخلاص سأورد البعض منها بما يحصل به المقصود بحول الله وقوته.

وطرق تحصيل الإخلاص تنقسم لقسمين:

أ- عملية.

ب- نظرية.

المطلب الأول

أولاً- بعض الطرق العملية لتحصيل الإخلاص

١- الدعاء:

فالدعاء عبادة مطلوبة من المسلم دائماً لأنَّ فيها تذللاً لله، وإشعاراً بافتقار العبد إليه، وأمر الله بها عباده فقال سبحانه وتعالى:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[(١)] وقال صلى الله عليه وسلم: ((الدعاء هو العبادة))[(٢)].

قال المباركفوري-رحمه الله- عن الدعاء: ((والمعنى أنَّ الدعاء لب العبادة وخالصها؛ لأن الداعي إنما يدعو الله عند انقطاع أمله مما سواه وذلك حقيقة التوحيد والإخلاص ولا عبادة فوقهما))[(٣)].

وفي الدعاء فائدتان عظيمتان:

١- طلب العون من ربنا جلا جلاله على تحقيق الإخلاص فهو المعين سبحانه على كل

---

(١) (غافر ٦٠).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، ٢٤٧/٤،برقم (١٤٧٦) وأخرجه الترمذي، كتاب الدعاء، باب منه ((الباب الثاني))، ٢٢٠/٩، برقم (٣٥٩٦) وأخرجه ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، ٢٦٢/٤، برقم (٣٨٢٨) وأخرجه أحمد في مسنده، ١٤٧/١٤، برقم (١٨٢٦٨) وأخرجه ابن حبان في صحيحه، ١٧٢/٣، برقم (٨٩٠)، وصححه الألباني -رحمه الله- في صحيح الترغيب والترهيب، ٢٧٥/٢، برقم (١٦٢٧).

(٣) تحفة الأحوذي، ٢١٩/٩.

مطلوب وهذا تحقيق عبودية قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[(١)].

٢- وفي الدعاء تحقيق للإخلاص وتطبيق عملي لأنّ الداعي يستشعر أنّ أمله مـــولاه ولا يطلب العون من سواه وهذا حقيقة الإخلاص والتوحيد.

٢- المتابعة:

يقول ابن القيم -رحمه الله-: ((وصحة الإقتداء بالرسول لقاح الإخـــلاص فـــإذا اجتمعا أثمرا قبول العمل والاعتداد به))[(٢)]. فالمتابعة العملية لرسول الله صلى الله عليـــه وسلم ترشد إلى تحقيق الإخلاص دون خلل أو ميل وقد سبق بيانـــه ضمـــن شـــروط الإخلاص.

٣- طلب العلم الشرعي ليتعرف على الإخلاص وما يضاده، فيطلب تحقيق الإخلاص على بصيرة من أمره، ويحذر كل ما يضاد الإخلاص ولذا فقد بـــوب البخـــاري -رحمه الله- باباً في صحيحه فقال: ((باب العلم قبل العمل لقول الله تعـــالى﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[(٣)] فبدء بالعلم))[(٤)].

وفي الأثر: ((لا يعرف الرياء إلاّ المخلص ولا يعرف النفاق إلاّ مؤمـــن ولا يعـــرف الجهل إلاّ عالم...))[(٥)].

وقيل أيضاً: ((لا يزال العبد بخير ما علم الذي يفسد عمله))[(٦)].

والعلم مطلوب في كل العبادات وهوآكد في التوحيد والإخلاص ونحوهما.

---

(١) (الفاتحة ٠٠٥)

(٢) الفوائد، ١٩٩، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الثانية، ١٣٩٣هـ.

(٣) (محمد ٠١٩)

(٤) صحيح البخاري، كتاب العلم، ٢١٠/١.

(٥) شعب الإيمان، للبيهقي، ٣٤٩/٥، برقم (٦٨٨٨)، وينظر الرسالة القشيرية، ٢٠٩.

(٦) شعب الإيمان، للبيهقي، ٣٤٩/٥، برقم (٦٨٨٩).

٤- مجالسة الصالحين:

لأنّ مجالستهم تذكر الناسي وتعلم الجاهل وتقوم المعوج، ويحصل بها التشبه بهم، ومحاكاتهم، ومحبتهم، فينتفع بذلك، وقال صلى الله عليه وسلم: ((الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل))[1].

٥- مجاهدة النفس:

لأنّ مجاهدة النفس تورث الإخلاص مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[2].

قال أحد العلماء حاكياً عن نفسه: ((اثنتان أنا أعالجهما منذ ثلاثين سنة ترك الطمع فيما بيني وبين الناس وإخلاص العمل لله عز وجل))[3].

٦- إخفاء العمل الذي لا حاجة في إظهاره أو ما كانت المصلحة في إخفائه:

ولأهل العلم في هذه المسألة عدّة أقوال وهي:

١- إسرار العمل أفضل إلاّ ما لا يمكن إسراره[4].

---

(١) أخرجه الترمذي، في أبواب الزهد، ٤٢/٧، برقم (٢٤٨٤)، وأخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، ١٢٣/١٣، برقم (٤٨٢٣) وأخرجه أحمد في مسنده، ١٣٠/٨، برقم (٨٠١٥)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ٥٥/٧، برقم (٩٤٣٨)، وصححه المناوي في فيض القدير، ٥٢/٤، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥٩٧/٢-٥٩٨، برقم (٩٢٧)، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ ،وصححه النووي في رياض الصالحين،١٧٧، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت الثانية، ١٤٠٤هـ.

(٢) (العنكبوت ٠٦٩)

(٣) حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني، ٢٧١/٧، دار الكتب العربي، بيروت، الرابعة ١٤٠٥هـ.

(٤) ينظر المحلى، لابن حزم، ١٥٦/٦، وينظر المجموع،للنووي، ١٩٤/٣، وينظر مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٦/١٥ وينظر عون المعبود، للعظيم أبادي، ١٢٩/٤، وينظر المغني، لابن قدامة، ٥٦٥/٢، وينظر شرح الزرقاني على موطأ مالك، ٣٨٣/١، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤١١هـ، وينظر الشرح الكبير، لأحمد الدردير أبو البركات، ٣٨١/١، مطبعة عيسى البابي، مصر ،تحقيق/ محمد عليش، وينظر =

٢- الجهر أفضل إلاّ مع خوف الرياء[١].

٣- التفصيل بين النفل والفرض، فالفرض الأفضل الجهر به، والنفل الأفضل الإسرار به[٢].

٤- التفضيل يكون تبعاً للمصلحة فمتى ما كانت المصلحة في أحدهما فهو الأفضل[٣].

ولعلّ التفصيل الذي اختاره العز بن عبد السلام -رحمه الله- هو المختار وأسوقه لأهميته قال -رحمه الله-: ((إن قيل هل الإخفاء أفضل من الإعلان لما فيه من اجتناب الرياء أم لا ؟ فالجواب: إنّ الطاعة ثلاثة أضرب:

أحدها: ما شرع مجهوراً به: كالآذان والإقامة والتكبير، والجهر بالقراءة في الصلاة ... فهذا لا يمكن إخفاؤه، فإن خاف فاعله الرياء جاهد نفسه في دفعه إلى أن تحضره نية إخلاصه، فيأتي به مخلصاً كما شرع فيحصل على أجر ذلك الفعل وعلى أجر المجاهد، لما فيه من المصلحة المتعدية.

الثاني: ما يكون إسراره خيراً من إعلانه كإسرار القراءة في الصلاة وإسرار أذكارها فهذا إسراره خير من إعلانه .

الثالث: ما يخفى تارة ويظهرأخرى كالصدقات، فإن خاف على نفسه الرياء أو عرف ذلك من عادته، كان الإخفاء أفضل من الإبداء، لقوله تعالى:﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[٤] ومن أمن الرياء، فله حالان: إحداهما:

=

أبجد العلوم، لصديق حسن، ٢/٥٧.

(١) ينظر التاج والإكليل، لمحمد يوسف العبدري، ٢/٦٨، دار الفكر، بيروت الثانية، ١٣٩٨هـ.

(٢) ينظر شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/١٣٢، وينظر مواهب الجليل للحطاب، ٢/٣٥٣.

(٣) ينظر المجموع، للنووي، ٢/١٨٩، وينظر تفسير القرطبي، ٣/٣٣٣-٣٣٥،و ينظر تفسير ابن كثير، ١/٣٤٦، وينظر فتح الباري، ٣/٣٦٤-٣٦٦.

(٤) (البقرة ٢٧١)

ألاَّ يكون ممن يقتدي به فإخفاؤها أفضل، إذا لا يأمن من الرياء عند الإظـــهار، وإن كان ممن يقتدي به: كان الإبداء أولى لما فيه من سد خلة الفقراء مع مصلحة الإقتداء، فيكون قد نفع الفقراء بصدقته وتسببه إلى تصدق الأغنياء عليهم، وقــد نفع الأغنياء بتسببه إلى اقتدائهم به في نفع الفقراء))[1].

٧- الزهد في الدنيا:

لأنَّ الزهد في الدنيا مقوٍ للرغبة في الآخرة، ومن كانت همته الآخرة كان حريصــاً على تحقيق الإخلاص، وليس معنى الزهد ترك الدنيا كلية والإعراض عن طلب الرزق ثم يحتاج لصنائع الناس بل الزهد فيها أن تكون في يدك وليست في قلبك -سيأتي بيان هذا المفهوم في فصل تصورات خاطئة عن حقيقة الإخلاص بحول الله -فتعينك على فعــل الخير.

قال صلى الله عليه وسلم: (إذا أحب الله عبداً حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمــي سقيمه الماء)[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: (من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع لــه شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله و لم يأته من الدنيا إلاَّ ما قدر له)[3].

وفي قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق: "أتته الدنيا وهي راغمة" إشــارة إلى أنَّ الدنيا ستأتيه راغمة وتكون في يده، وفي قوله " من كانت الآخرة همه" إشارة إلى أن الدنيا ليست في قلبه وإنما الآخرة هي التي تشغل قلبه.

---

(١) قواعد الأحكام ، ١/١١٠-١١١

(٢) سبق تخريجه في أهمية الإخلاص صـــ ٦١.

(٣) أخرجه الترمذي، أبواب صفة يوم القيامة، باب ١٤، ٧/١٣٩-١٤٠ برقم (٢٥٨٣) وأخرجه الطبراني في الأوسط، ٦/١٢٣، برقم (٥٩٩٠) وأخرجه أيضاً في ٨/٣٦٣-٣٦٤، برقم (٨٨٨٢) ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٠٠٥).

٨- عدم الحاجة للناس وسؤالهم:

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: «...فإن سؤال المخلوقين فيه ثلاث مفاسد: مفسدة الافتقار إلى غير الله وهي من نوع الشرك، ومفسدة إيذاء المسئول وهي من نوع الظلم للنفس...» (١)

ولربما حملته الحاجة إلى الناس لتصنع المعروف طمعاً في نوالهم، فالبعد عن طلب الناس فيه بعد عن الافتقار لغير الله.

٩- الخلوة التي لا تفريط فيها بواجب:

فالخلوة التي لا تفريط فيها بواجب باعثة على إخلاص العمل لله فهو لا يرقب أحداً ولا ينظر إلى أحد.

قال الثوري -رحمه الله-: ((ما رأينا للإنسان خيراً له من أن يدخل في جحر))(٢).

وقال ذو النون -رحمه الله-: ((و لم أر شيئاً أبعث لطلب الإخلاص من الوحدة لأنه إذا خلا لم ير غير الله، وإذا لم ير غير الله لم يحركه إلاَّ حكم الله ومن أحب الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص واستمسك بركن كبير من أركان الصدق))(٣).

١٠- الجهاد في سبيل الله:

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: ((وفي الجهاد حقيقة الزهد في الحياة الدنيا، وفي الدار الدنيا، وفيه أيضاً حقيقة الإخلاص فإنَّ الكلام فيمن جاهد في سبيل الله لا في سبيل الرياسة ولا في سبيل المال ولا في سبيل الحمية وهذا لا يكون إلاَّ لمن قاتل ليكون الدين كله لله ولتكون كلمة الله هي العليا وأعظم مراتب الإخلاص تسليم النفس والمال

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١/١٩٠-١٩١.

(٢) الزهد الكبير، للبيهقي، ٢/٩٨، برقم (١٤٣).

(٣) شعب الإيمان، للبيهقي، ٥/٣٥٣، برقم (٦٩٠٩)، وينظر الزهد الكبير، للبيهقي، ٢/٩٨، برقم (١٤٠،١٤١)، وينظر صفة الصفوة، لابن الجوزي، ٤/٣١٩-٣٢٠، وينظر طبقات الصوفية،لأبي عبد الرحمن السلمي، ٢٠-٢١، تحقيق/ نور الدين شربية مكتبة الخانجي،مصر، الثالثة، ١٤١٨هـ.

للمعبود)) [(١)].

والمجاهد عندما يرى أهوال الموت أمامه ويتوقع قرب أجله، عندها لا يتعلق قلبه إلاَّ بمولاه وتصغر الدنيا في عينيه، ولا يوفق لذلك إلاَّ من كان مريداً الله والدار الآخرة في جهاده، فالجهاد تمحيص عملي لنية المرء واختبار فعلي لصدق النية.

ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (من مات و لم يغز و لم يحدث به نفسه، مات على شعبة من نفاق)[(٢)].

ففي الحديث دلالة على أنَّ الجهاد في سبيل الله ضد للنفاق، والنفاق ضد للإخلاص، وفي طرد النفاق بالجهاد إقامة للإخلاص وتحصيل له، والله أعلم.

---

(١) مجموع الفتاوى، ٢٨/٤٤٢.

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الإمارة، باب ذم من مات و لم يغز و لم يحدث نفسه بالغزو، ٦٤/٧، برقم (١٩١٠).

المطلب الثاني

بعض الطرق النظرية لتحصيل الإخلاص

١- التدبر لكتاب الله: إنَّ أعظم المواعظ مواعظ القرآن، لأنه كـــلام الله، وحـــث الله عباده على تدبر كتابه لأخذ العبرة والعظة منه في كل الأمور-ومنها الإخــــلاص- فقال ســـبحانه وتعـــالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[1]. وغير ذلك من الآيات الحاثة على تدبـــر كتاب الله.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: ((وكل أمة مشركة أصل شركها عدم كتاب مترل من السماء، وكل أمة مخلصة أصل إخلاصها كتاب مترل من السماء))[2].

٢- القراءة والنظر في أحاديث الترغيب والترهيب ففيها موعظة للمؤمن تبين له ثـــواب المخلص وعقوبة من فقد الإخلاص، والمسلم إذا نظر في هذه النصوص صبر علـــى تحقيق الإخلاص فجاني العسل لا يبالي بلسع النحل لما يتذكر من حلاوة العســـل، والأجير لا يعبأ بارتقاء السلم الطويل مع الحمل الثقيل طول النهار لما يتذكر مــــن أخذ الأجرة بالعشي، وكذا المؤمن المخلص إذا تذكر الجنة في طيب مقيلها وأنـــواع نعيمها هان عليه ما يحتمله من مشقة.

٣- القراءة في سيرة الرسول صلى اله عليه وسلم ففيها تطبيق عملي للإخلاص، وفيـــها بيان للطريق الأمثل التي يسلكها المتعبد لله، فيأمن من الزلل في العمل والانحراف في

---

(١) (النساء ٠٨٢)

(٢) مجموع الفتاوى، ١٠٥/٢٠.

الفكر، والرسول الله صلى الله عليه سلم كان خلقه القرآن وامتدحه ربنا سبحانه وتعالى فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾(١).

وسألت عائشة –رضي الله عنها- عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: «فإنَّ خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن »(٢).

٤- القراءة في سيرة السلف الصالح –رضوان الله عليهم- من الصحابة والتابعين لهم ومن سار عل نهجهم بإحسان إلى يوم الدين:

وهي زاد عملي لتطبيق الإخلاص فيعرف الناظر في سِيرهم كيف كان سَيرهم، قال سعيد بن جبير –رحمه الله-: ((ما لم يعرفه البدريون فليس من الدين))(٣).

وقال ابن قدامة –رحمه الله-: ((قد ثبت وجوب اتباع السلف –رحمة الله عليهم- بالكتاب والسنة والإجماع والعبرة دلت عليه...))(٤).

٥- أن ينظر في ثمار الإخلاص وآثاره على العمل فإنَّ ذلك يدفعه لتحصيل الإخلاص، ويأتي بحثه بإذن الله (٥).

٦- أن يعرف حكم الإخلاص وسبق بيانه حتى يتم تحصيله (٦) .

٧- أن ينظر في مجالات الإخلاص لتحقيق ذلك (٧) .

---

(١) (القلم ٤٠٠)

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه، ٢٨٠/٣، برقم (٧٤٦).

(٣) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ٧٧١/١، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام، الثانية ١٤١٦هـ.

(٤) ذم التأويل، لابن قدامة، ٣٣، تحقيق / بدر عبد الله البدر دار الفتح الشارقة، الأولى ١٤١٤هـ وكلامه نفيس نقلت بعضه فلينظر.

(٥) ينظر ثمار الإخلاص وينظر آثار الإخلاص صـ ٩٦-١١٩، ١٢٠-١٣٣ .

(٦) ينظر صـ ٢٧ .

(٧) ينظر صـ ٧٧ .

٨- أن يتعرف على طرق تحصيل الإخلاص ليحصلها وهي التي تبحث.

٩- أن ينظر في مفاسد فقد الإخلاص فيحذر من فقده وسيأتي بحثه بحول الله[١].

١٠- أن يعرف عظمة الله وأن يعرف أن الله مطلع عليه، فيدفعه ذلك لتحقيق الإخلاص، فإنَّ النظر إلى العظماء يوجب الأدب معهم إلى أقصى الغايات فما الظن برب الأرض والسماوات، ولو قدر إنسان في نفسه أنَّ عظيماً مطلع عليه لم يتصور أن يأتي برذيلة بل سيطلب كل فضيلة، فما الظن بمن استشعر أن رب السماوات والأرض مطلع عليه وناظر إليه، قال ابن رجب -رحمه الله-: ((قالت بعض العارفات من السلف من عمل لله على المشاهدة فهو عارف ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص))[٢]. وهذا هو الإحسان بمقاميه.

١١-أن يعلم أن إرضاء الناس غاية لا تدرك فيحرص على رضا مولاه ولايبالي بمخلوق.

قال الشافعي -رحمه الله-: ((لو جهدت كل الجهد على أن ترضي الناس كلهم فلا سبيل له، فإذا كان كذلك فأخلص عملك ونيتك لله عز وجل))[٣]

١٢- أن يتذكر الموت، فكفى به واعظاً وعن الذنوب زاجراً، وللآخرة داعياً، وأن يعلم أنَّ مصيره إليه وأن ما جرى على غيره سيجري عليه، وسيجزي بما عمل إنَّ خيراً فخير وإنْ شراً فشر، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[٤]. إنَّ ذكر الموت حافز للمرء على التزود من الصالحات ومنها الإخلاص، فذكره من أبلغ المواعظ، وأقوى الحوافز، فينبغي للمسلم أن يتذكره دائماً.

---

(١) ينظر صـ ١٣٤ وما بعدها.

(٢) جامع علوم والحكم ١/١٠٨.

(٣) شعب الإيمان، للبيهقي، ٥/٣٥٥، برقم (٦٩٢٢).

(٤) (الزلزلة ٠٠٧-٠٠٨)

المبحث التاسع

اهتمام السلف بالإخلاص ونماذج من ذلك

حرص السلف -رضوان الله عليهم- على تحقيق الإخلاص، لمّا عرفوا حكمه، وفضله، وأهميته، وكم جاهدوا أنفسهم في تحصيله، وتحقيقه؛ حتى تسلم أعمالهم ويفوزوا برضى مليكهم، وسئل أحدهم عن أي شيءٍ أشد على النفس؟ فقال: «الإخلاص لأنه [ليس](١) لها فيه نصيب»(٢).

لقد جاهد السلف أنفسهم لتحقيق الإخلاص، لتستقيم أعمالهم، فرزقهم الله القبول في الأرض، وبقيت سيرهم يتناقلها المسلمون يأخذون العبرة منها، وأعظم دروس عن الإخلاص هي دروس السيرة النبوية، ثم سيرة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم سلف الأمة ممن سار على نهج النبوة، وفي إيراد بعض ذلك حفز للنفوس لتنهل من معينهم وترتسم طريقهم فمن ذلك:

١- سأل سعيد بن جبير -رضي الله عنه- أصحابه فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ قال حصين بن عبد الرحمن: « أنا، ثم قال: أما إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت ... »(٣).

فانظر إلى حرصه -رحمه الله- بين أنه لم يكن في صلاة مخافة الرياء.

---

(١) وجدها في نسخة أخرى لصفة الصفوة، لابن الجوزي، ينظر ٤٦/٤، بمراقبة محمد عبد المعين خان، مطبعة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الثانية، ١٣٩٢هـ.

(٢) صفة الصفوة، لابن الجوزي، ٦٥/٤، وفي هذه الطبعة لا توجد كلمة ليس التي بين معكوفتين.

(٣) أخرجه مسلم، ٩٢/٢، برقم [٢٢٠].

٢- وقال ابن أبي مليكة[١]: « أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحدٌ يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل»[٢].

٣- وقال إبراهيم التيمي[٣]: « ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذباً»[٤].

٤- وكان أحدهم إذا جاءه إنسان في المسجد فجلس إليه أوسع إليه، فإذا اضطره المكان إلى أسطوانة المسجد قام عنها إلى عرض الحلقة كراهية الشهرة[٥].

٥- وكانوا يكرهون إذا اجتمعوا أن يخرج الرجل أحسن حديثه أو أحسن ما عنده[٦].

٦- وعن الحسن -رضي الله عنه- أنه قال: ((كانوا إذا اجتمعوا فتذاكروا، تحضر أحدهم الدمعة فيحبسها، ثم تحضر فيحبسها، فإذا خاف أن تغلبه قام وتركهم))[٧].

---

(١) هو: عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، (ت ١١٧هـ) أدرك ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، كان فقيهاً ثقة، ولي القضاء لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وكان مؤذناً له، وقد روى له الجماعة.

ينظر: تهذيب الكمال، للمزي، ١٠/٣١٠-٣١١، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ٥٢٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ١/١٤٦.

(٣) هو: إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، أبو أسماء (ت ٩٢هـ) الكوفي العابد الزاهد الفقيه، كان ثقة لكنه يرسل ويدلس، روى له الجماعة، قيل إن الحجاج قتله، وقيل غير ذلك.

ينظر: تهذيب الكمال، للمزي، ١/٤٤٧-٤٤٨، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ٥/٦٠-٦٢، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ١١٨.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ١/١٤٦.

(٥) الزهد، لهناد ،٢/ ٤٤٢، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، دار الخلفاء، الكويت، الأولى، ١٤٠٦هـ، وينظر مسند الدارمي، باب من كره الشهرة والمعرفة، ١/١٤٢، برقم [٥١٨ و٥١٩].

(٦) الزهد، لابن المبارك، ١/٤٥، برقم [١٣٩]، وينظر الإخلاص والنية، لابن أبي الدنيا، ٧٠، برقم [٥٣].

(٧) الزهد، لأحمد بن حنبل، ٣٧٣، برقم [١٤٨٢]، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتاب العربي، بيروت، الأولى، ١٤٠٧هـ، وينظر ذم الرياء، لأبي محمد الحسن الضراب، ١٦٩، برقم [٨٤]، تحقيق: د/ محمد با كريم، دار البخاري، المدينة المنورة، الأولى، ١٤١٦هـ.

٧- وحكي عن أيوب السختياني[١] أنه بكى مرة فأخذ بأنفه وقال: « إنَّ هذه الزكمة ربما عرضت، وبكى مرة أخرى، فاستبانوا بكاءه، فقال: إن الشيخ إذا كبر مجَّ[٢]»[٣].

٨- وتنفس رجل عند عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كأنه يتحازن فلكزه عمر بن الخطاب[٤].

٩- وبكى حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- في صلاته فلما فرغ التفت فإذا رجل خلفه فقال: « لا تعلمنَّ بهذا أحداً »[٥].

١٠- ونظر عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى شاب قد نكَّس رأسه فقال له: « يا هذا ارفع رأسك، فإنَّ الخشوع لا يزيد على ما في القلب فمن أظهر للناس خشوعاً فوق ما في القلب فإنما أظهر نفاقاً على نفاق »[٦].

١١- وقيل عن السلف: ((إن كان الرجل ليبكي عشرين سنة ومعه امرأته ما تعلم به))[٧].

---

(١) هو: أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني، العنزي مولاهم، وقيل مولى لجهينة، أبو بكر (٦٦، أو ٦٨-١٣١هـ) سيد فقهاء عصره، تابعي من النساك الزهاد، ومن حفاظ الحديث، كان ثقة ثبتاً روى نحو ٨٠٠ حديث، روى له الجماعة.

ينظر: تهذيب الكمال، للمزي، ٢/٤٠٤-٤٠٨، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ٦/١٥-٢٦، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ١٥٨.

(٢) لَفَظَ الشيء من فيه، والماجُّ: من يسيل لعابه كبراً وهرماً، ينظر القاموس المحيط باب الجيم فصل الميم، تحت مادة « مجَّ »، ١/٢١٤، مكتبة الحلبي، مصر، الثانية، ١٣٧١هـ.

(٣) ينظر الرقة والبكاء، لابن أبي الدنيا، ١٣١، برقم [١٥٣]، تحقيق: محمد خير رمضان، دار الصميعي، الرياض، الأولى، ١٤١٦هـ، وينظر الإخلاص والنية، لابن أبي الدنيا، ٦٣، برقم [٤١]، وينظر ذم الرياء، للضراب، ١٧١، برقم [٨٧].

(٤) ينظر الرقة والبكاء، لابن أبي الدنيا، ١٣٢، برقم [١٥٤]، وذم الرياء، للضراب، ١٧٢، برقم [٨٨].

(٥) ينظر الرقة والبكاء، لابن أبي الدنيا، ١٣٤، برقم [١٦٣]، وينظر ذم الرياء، للضراب، ١٧٥، برقم [٩٢].

(٦) ذم الرياء للضراب، ١٨٥، برقم[١٠٨].

(٧) الرقة والبكاء، لابن أبي الدنيا، ١٣٦، برقم [١٦٧]، وينظر ذم الرياء، للضراب، ١٧٦، برقم [٩٤].

١٢- وبكى أيوب مرة فلم يملك عبرته فقام[١].

١٣- وخرج المسلمون لبلاد الروم فصادفوا عدوهم فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله ثمّ آخر فقتله ثمّ آخر فطعنه ثمّ آخر فقتله ثمّ دعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه الرجل فقتله فازدحم الناس عليه وهو ملثم وجهه بكمه، فأخذ أحد المسلمين بطرف كمه فإذا هو عبد الله بن المبارك.

وكان مستتراً خوفاً على إخلاصه أن يراه أحد[٢].

١٤- وكان عمل الربيع بن خثيم[٣] كله سراً فربما دخل عليه الداخل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه، وكان أحمد بن حنبل يقرأ القرآن كثيراً ولا يدري متى يختم[٤].

هذه بعض النماذج التي تدل على حرص السلف الصالح على تحقيق الإخلاص، ومن أراد التوسع فلينظر سيرهم يجد الكثير والله الموفق.

---

(١) الرقة والبكاء، لابن أبي الدنيا، ١٣٤، برقم [١٦٠]، وينظر ذم الرياء، للضراب، ١٨٥، برقم [١٠٨].

(٢) ينظر تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ١٦٩، دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، ١٤٠٧هـ.

(٣) هو: الربيع بن عائذ الثوري الكوفي، أبو يزيد (ت قبل ٦٥هـ في ولاية عبيد بن زياد) الإمام القدوة العابد، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم وأرسل عنه، روى عن بعض الصحابة كابن مسعود، وأبي أيوب وغيرهما رضوان الله عنهم، وكان قليل الرواية لكنه كبير الشأن، قال له ابن مسعود رضي الله عنه: «لو رآك النبي صلى الله عليه وسلم لأحبك، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين»، روى له الجماعة.

ينظر: تهذيب الكمال، للمزي، ٦/١٣٠-١٣٤، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ٤/٢٥٨-٢٦٢.

(٤) تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ١٦٥.

الفصل الثاني

ثمار الإخلاص وآثاره

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول : ثمار الإخلاص.

المبحث الثاني: من آثار الإخلاص على الأعمال كما ورد في النصوص.

المبحث الثالث : المفاسد الناتجة من فقد الإخلاص.

المبحث الأول

ثمار الإخلاص

للإخلاص ثمار كثيرة نظراً لأهميته وكونه يدخل في جميع المجالات، فكلما كان العمل هاماً كلما زادت ثماره، والإخلاص من أعظم أعمال القلوب وأهمها مما جعل له ثماراً كثيرة يصعب حصرها، وما لا يدرك كله لا يترك جله، وفي إيراد البعض من هذه الثمار تنبيه على غيرها، ومن هذه الثمار ما يلي:

١- قبول الأعمال متى كانت خالصة :

وسبق بيان ذلك في حكم الإخلاص وأهميته.

٢- الإخلاص من أعمال أهل الجنة وسبب دخولها، ومن مات عليه فاز برضى الله:

قال تعالى:﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[1].

قال قتادة -رحمه الله-: «والحسنة: الإخلاص، والسيئة: الشرك»[2].

وبوب ابن حبان -رحمه الله- باباً في صحيحه فقال: « ذكر البيان بأن الجنة إنما تجب لمن شهد لله جلّ وعلا بالوحدانية، وكان ذلك عن يقين من قلبه لا أنّ الإقرار بالشهادة يوجب الجنّة للمقر بها دون أن يقر بها بالإخلاص ».

ثم ساق أحاديث تشهد لذلك[3].

وقال صلى الله عليه وسلم: « أتاني آت من ربي فأخبرني -أو قال بشرني- أنه من

---

(١) (القصص ٨٤).

(٢) جامع البيان، لابن جرير الطبري، ١٢٣/٢٠.

(٣) ينظر صحيح ابن حبان، ٤٢٩/١.

مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ...»[١].

وتحقيق التوحيد والإخلاص -الذي هو أحد ركني التوحيد- يعني انتفاء الشرك، والمحقق لهما موعود بالجنة.

وقد عدد صديق حسن خان أعمال أهل الجنة فقال: «... ومن أعمالهم الإخلاص لله، والتوكل عليه والمحبة لله ورسوله»[٢].

كما أن المخلص لا يعمل إلا لرضى الله، وإن مات على ذلك فاز بمطلوبه، يشهد لذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ ﴾[٣].

فالمنفق لم ينفق إلا لنيل رضى الله، وما يعمله سوف يجده فإنّ الله عدل رحيم بعباده كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[٤].

قال ابن القيم في آية البقرة السابقة: « هذا مثل الذي مصدر نفقته عن الإخلاص والصدق، فإنّ ابتغاء مرضاته سبحانه هو: الإخلاص، والتثبيت من النفس هو: الصدق في البذل .. »[٥].

---

(١) البخاري، كتاب الجنائز، باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله، ٣/١٤٢-١٤٣، برقم [١٢٣٧].

(٢) يقظة أولي الاعتبار، لصديق حسن خان، ٢١٤، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار التراث الإسلامي بالأزهر.

(٣) (البقرة ٢٦٥)

(٤) (الزلزلة ٠٠٧-٠٠٨)

(٥) طريق الهجرتين، لابن القيم، ٥٤٦، تحقيق عمر أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الثانية، ١٤١٤هـ.

٣- الإخلاص ينفي عن المسلم أسباب دخول النار، وأسباب الشرك، والمخلص لا يخاف ولا يحزن يوم القيامة، ومن دخل النار من المخلصين فإنه لا يخلد فيها :

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله-: « فإن الإخلاص ينفي أسباب دخول النار فمن دخل النار من القائلين لا إله إلا الله لم يحقق إخلاصها المحرم له على النار بل كان في قلبه نوع من الشرك الذي أوقعه فيما أدخله النار »[1].

وهذا واضح في كون الإخلاص سبب دخول الجنة، فإنه سبب لعدم دخول النار.

وأما كونه سببا لنفي أسباب الشرك، فقد قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: «والغي: إتباع الأهواء والشهوات، وأصل ذلك أن الحب لغير الله كحب الأنداد، وذلك هو الشرك، قال الله تعالى فيه:﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[2]، فبين أن صاحب الإخلاص ما دام صادقا في إخلاصه، فإنه يعتصم من هذا الغي وهذا الشرك»[3].

وأما أنه لا يخاف ولا يحزن يوم القيامة فقد قال تعالى:﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[4].

وقاعدة الإيمان وأسه – كما سبق في أهمية الإخلاص – هو الإخلاص فأهله هم أحق الناس بالأمن.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[5]، والظلم هنا: هو الشرك

(١) مجموع الفتاوى، ١٠/٢٦١.

(٢) (النحل ١٠٠)

(٣) قاعدة في المحبة، ٧٩.

(٤) (يونس ٦٢-٦٣)

(٥) (الأنعام ٨٢)

كما في الصحيح من حديث ابن مسعود[١]، فتبين أنّ أهل الإخلاص أحق بالأمن من أهل الإشراك»[٢].

أما أن المخلص لا يخلد في النار فقد سبق بيان أنّ الإخلاص أحد ركني التوحيد والموحد لا يخلد في النار، قال ابن رجب -رحمه الله-: «فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض -وهو ملؤها أو ما يقارب ملأها- خطايا، لقيه الله بقرابها مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله ﷻ، فإن شاء غفر له، وإن شاء أخذه بذنوبه، ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار، بل يخرج منها، ثمّ يدخل الجنة »[٣].

٤- تحقيق الإخلاص ينفي الرياء والنفاق:

وفي الأثر: «لا يعرف الرياء إلا مخلص، ولا يعرف النفاق إلا مؤمن، ولا يعرف الجهل إلا عالم ...»[٤].

وهذا معلوم من كون الإخلاص ضداً للنفاق والرياء، وإذا تحقق الإخلاص انتفى النفاق والرياء .

٥- بالإخلاص يعصم العبد من الشيطان وكل الفتن، ويُدفع عنه العشق الشيطاني:

قال تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[٥]، قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: «ويوسف صلى الله عليه وسلم همَّ همّاً تركه لله ولذلك صرف الله عنه السوء والفحشاء؛ لإخلاصه ...»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب التفسير، باب { ولم يلبسوا إيمانهم بظلم }، ٨/٣٧١، برقم [٤٦٢٩].

(٢) الرد على البكري ((تلخيص الاستغاثة))، لابن تيمية، ١/٢٨٩.

(٣) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ٤٦٠.

(٤) سبق عزوه في طرق تحصيل الإخلاص العملية ((طلب العلم الشرعي)) صـ ٨٢ .

(٥) (يوسف ٢٤).

(٦) دقائق التفسير، لابن تيمية، ٢/٢٧٢.

قال ابن القيم -رحمه الله-: « فإذا امتلأ القلب من محبة الله والشوق إلى لقائه، دفع ذلك مرض عشق الصور، ولهذا قال تعالى في حق يوسف: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾[1]، فدلّ على أنّ الإخلاص سبب لدفع العشق وما يترتب عليه من السوء والفحشاء التي هي ثمرته ونتيجته »[2].

٦- الإخلاص يحبط السيئات ويكفِّر الكبائر والصغائر:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾[3].

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: «فإن الله تعالى يوم القيامة يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم لا يتعاظم عليه ذنب أن يغفره ولا يغفر شركاً»[4].

وقال سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: « وقال شيخ الإسلام: الشرك نوعان: أكبر، وأصغر، فمن خلص منهما وجبت له الجنة، ومن مات على الأكبر، وجبت له النار، ومن خلص من الأكبر، وحصل له بعض الأصغر مع حسنات راجحة على ذنوبه، دخل الجنة، فإنّ تلك الحسنات توحيد كثير مع يسير الشرك الأصغر، ومن خلص من الأكبر لكن كثر الأصغر حتى رجحت به سيئاته دخل النار، فالشرك يؤاخذ به العبد إذا كان أكبر أو كان كثيراً أصغر، والأصغر القليل في جانب الإخلاص الكثير لا يؤاخذ به»[5].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما ــ قال: « أن رجلين اختصما إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم الطالب البينة، فلم تكن له بينة،

---

(١) (يوسف ٢٤).

(٢) زاد المعاد، لابن القيم، ٤/٢٦٨.

(٣) (النساء ٤٨).

(٤) الفتاوى الكبرى، ٥/٦٧.

(٥) تيسير العزيز الحميد، ٩٧-٩٨.

فاستحلف المطلوب، فحلف بالله الذي لا إله إلا هو، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بلى قد فعلت ولكن قد غفر لك بإخلاص قول لا إله إلا الله »[١].

قال العظيم أبادي[٢] -رحمه الله-: «ففيه دليل على أنّ الكبائر تغفر بكلمة التوحيد قاله: في فتح الودود: "بإخلاص قول لا إله إلا الله"»[٣].

وليس معنى ذلك جواز الحلف كاذباً، أو أنّ كل من حلف وكذب وكان مخلصا أنه يغفر له بل هو تحت المشيئة، إن شاء الله غفر له وإلا عذب كسائر أصحاب الكبائر.

٧- بالإخلاص تضاعف الحسنات، ويبارك القليل من العمل :

قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: « إنّ الله كتب الحسنات والسيئات ثمّ بيّن ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة »[٤].

قال ابن حجر -رحمه الله- معلقاً على الحديث السابق: « .. وهذا يدل على أنّ تضعيف حسنة العمل إلى عشرة مجزوم به، وما زاد عليها جائز وقوعه بحسب الزيادة في

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأيمان والنذور، باب في الحلف كاذباً متعمداً، ٧٣/٩، برقم [٣٢٧٠]، وأحمد ابن حنبل في المسند، ٤٦/٣-٤٧، برقم [٢٢٨٠]، والبيهقي في السنن الكبرى، ٦٥/١٠، برقم [١٩٨٧٦] ،وصححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند ينظر: ٤٦/٣-٤٧.

(٢) هو: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، شرف الحق (ت ١٣١٠هـ) محدث، هندي، شرح سنن أبي داود بشرح نفيس مختصر سماه ((عون المعبود)) ومن مصنفاته: التعليق المغني على سنن الدارقطني، والمكتوب اللطيف إلى المحدث الشريف، والقول المحقق، وغير ذلك من مصنفاته رحمه الله.
ينظر: الأعلام، للزركلي، ٣٩/٦.

(٣) عون المعبود، للعظيم أبادي، ٧٣/٩.

(٤) البخاري، كتاب الرقاق، باب من همَّ بحسنة أو سيئة، ٣٩٢/١١، برقم [٦٤٩١].

الإخلاص، وصدق العزم، وحضور القلب، وتعدي النفع، كالصدقة الجارية...»[(١)].

كما أنَّ الإخلاص يبارك به القليل من العمل، فكلما قوي إخلاص المرء فإنه يفضل بعمله القليل صاحب العمل الكثير الذي ليس عنده من قوة الإخلاص ما عند الأول، ولهذا فضل الصحابة رضوان الله عليهم من بعدهم مع أن هناك من التابعين من كان أكثر عملاً من بعض الصحابة.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- في شأن الصحابة رضوان الله عليهم: «وهم الذين فتحوا الأمصار، وغلبوا فارس والروم، وكانوا أزهد الناس، كما قال عبد الله بن مسعود لأصحابه: « أنتم أكثر صلاة وصياما من أصحاب محمد وهم كانوا خيرا منكم، قالوا: ولم يا أبا عبد الرحمن؟ قال: لأنهم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة»»[(٢)].

ويشهد لذلك حديث صاحب البطاقة حيث رجحت كلمة: لا إله إلا الله، على سائر سيئاته وهذا لأنه قالها بإخلاص[(٣)].

وقال ابن المبارك -رحمه الله-: « ربّ عمل صغير تعظمه النية، وربّ عمل كبير تصغره النية»[(٤)].

٨- الإخلاص سبب من أسباب الفوز بالظلال:

قال صلى الله عليه وسلم:«سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله - وذكر منهم- رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه » الحديث[(٥)].

---

(١) فتح الباري، لابن حجر، ٣٩٥/١١-٣٩٦.

(٢) منهاج السنة النبوية، ٩٣/٢-٩٤.

(٣) ينظر الحديث في سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، ٣٣٠/٧، رقم [٢٧٧٦]، وأخرجه ابن ماجة ، كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله عز وجل يوم القيامة، ٥١٧/٤، برقم[٤٣٠٠]، وأخرجه أحمد في مسنده، ٤٣٦/٦،برقم [٦٩٩٤] وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه للمسند ينظر: ٤٣٦/٦، وينظر صحيح الترغيب، للألباني، ٢٢٣/٢-٢٢٤.

(٤) الإخلاص والنية، لابن أبي الدنيا، ص ٧٣، برقم [٧٠] في الزوائد من جامع العلوم.

(٥) سبق تخريجه في مبحث مجالات الإخلاص صـ ٧٩ .

فكلهم عملوا بإخلاص فاستحقوا الظل مع الأعمال التي عملوها.

قال النووي -رحمه الله-: « فيه فضيلة البكاء من خشية الله تعالى، وفضل طاعة السر لكمال الإخلاص فيها »[١].

٩- بالإخلاص تفرج الكربات:

ودليل ذلك الحديث المشهور في قصة أصحاب الغار، حيث سأل كل واحد منهم بعمله الصالح الذي أخلصه لله تعالى[٢].

قال ابن حجر -رحمه الله- معلقا على الحديث السابق: « وفيه فضل الإخلاص في العمل...»[٣].

وهنا سؤال هام وهو: هل يعد سؤال الله بصالح العمل من رؤية العمل؟!

قال ابن حجر -رحمه الله-: « واستشكله المحب الطبري لما فيه من رؤية العمل ... وأجاب عن قصة أصحاب الغار بأنهم لم يستشفعوا بأعمالهم، وإنما سألوا الله إذا كانت أعمالهم خالصة وقبلت أن يجعل جزاءها الفرج عنهم فتضمن جوابه تسليم السؤال لكن بهذا القيد وهو حسن »[٤].

وهل في سؤالهم ومن فعل كفعلهم استعجال الثواب في الدنيا؟

قال ابن حجر -رحمه الله-: « قال السبكي الكبير: ظهر لي أن الضرورة قد تلجئ إلى تعجيل جزاء بعض الأعمال في الدنيا، وأنّ هذا منه، ثمّ ظهر لي أنّه ليس في الحديث رؤية عمل بالكلية لقول كلٍ منهم « إن كنت تعلم أنّي فعلت ذلك ابتغاء وجهك » فلم

---

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي، ٤/١٣٢.

(٢) ستأتي القصة في المبحث الثاني بعده فقرة رقم/٣٢، وأخرجها البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ٦/٦١٨، برقم [٣٤٦٥]، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، ٩/٦٥، برقم [٢٧٤٣].

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ٦/٦٢٤.

(٤) المصدر السابق.

يعتقد أحد منهم الإخلاص بل أحال أمره إلى الله »[١].

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم ساق قصتهم على سبيل الثناء، ولو كان فيه استعجال ما امتدحهم؛ لأن العمل الصالح يطلب فيه ما عند الله لا ما في الدنيا ؛ ولهذا لا يمدح من طلب بعمله الصالح الدنيا[٢].

١٠- دعاء المخلص يستجاب:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٣].

وقال صلى الله عليه وسلم: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أنّ الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافلٍ لاه)[٤].

فالمخلص صاحب قلب غير غافل لاه، كما أنه لم يتيقن الإجابة إلا لما كان مخلصاً، ولهذا استجاب الله دعاء المضطر لأنه يدعو بإخلاص[٥].

١١- محبة الصالحين -بإخلاص- تجعل المؤمن في زمرهم:

قال صلى الله عليه وسلم: (المرء مع من أحب)[٦].

قال النووي -رحمه الله-: « ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ينظر: المصدر السابق.

(٣) (غافر ١٤).

(٤) الترمذي، أبواب الدعوات، باب رقم [٦٧]، ٩/٣١٦ برقم [٣٧٠٩]، وله شاهد عند أحمد في المسند ٦/٢١٣، برقم [٦٦٥٥]، وأخرجه الطبراني في الدعاء، ٢/٨١٢، وحسّن الحديث لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/٢٨٦، برقم [١٦٥٣]، وصحح الشاهد الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند ٦/٢١٣.

(٥) ينظر تفسير القرطبي، ١٣/٢٣١، وينظر فتح القدير، للشوكاني، ٤/١٤٧.

(٦) البخاري، كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله، ١٠/٦٨٣، برقم [٦١٦٨]، وأخرجه في عدة مواطن أخرى، ينظر رقم [٦١٦٩، ٦١٧٠]، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، ٨/٤٣٧، برقم [٢٦٤٠].

عملهم، إذ لو عمِله لكان مثلهم »[١].

قال المباركفوري -رحمه الله-: « يعني من أحب قوماً بالإخلاص يكون من زمرتهم...»[٢].

ومعلوم أنّ المحبة من أعمال القلوب، وهي عبادة يشترط لها الإخلاص كسائر العبادات، فإذا كانت مُخْلَصَة أثمرت تلك الثمرة.

١٢- الإخلاص يساعد المؤمن على الصدع بالحق:

قال الذهبي -رحمه الله-: « الصدع بالحق عظيم يحتاج إلى قوة وإخلاص، فالمخلص بلا قوة يعجز عن القيام به، والقوي بلا إخلاص يخذل، فمن قام بهما كاملاً فهو صديق، ومن ضعف فلا أقل من التألم والإنكار بالقلب، ليس وراء ذلك إيمان ولا قوة إلا بالله »[٣].

١٣- بالإخلاص تتفاضل الأعمال المتساوية في الظاهر :

وسبق بيانه في أهمية الإخلاص [٤] .

١٤- بالإخلاص يأجر العبد حتى على المباحات:

وقد سبق أن الإخلاص يدخل في جميع المجالات،ومن ثماره أن العبد يؤجر على فعل المباحات إذا كان ذلك بنية خالصة، قال تعالى:﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾[٥]

قال الحسن -رحمه الله- في الآية السابقة: «كان إذا قال قال لله، وإذا عمل عمل لله، وإذا نوى نوى لله»[٦].

---

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي، ٤٣٨/٨.

(٢) تحفة الأحوذي، للمباركفوري، ٥٣/٧.

(٣) سير أعلام النبلاء، ٢٣٤/١١.

(٤) ينظر صـ ٥٠ .

(٥) (هود ٠٧٥)

(٦) شعب الإيمان، للبيهقي، ٣٥٠/٥، برقم [٦٨٩١].

وقال أحد السلف -رضوان الله عليهم-: « إني أحب أن تكون لي نية في كل شيءٍ حتى في الطعام والشراب»[١].

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « .. فأمّا من استعان بالمباح الجميل على الحق فهذا من الأعمال الصالحة ولهذا جاء في الحديث الصحيح أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (في بضع أحدكم صدقة)[٢] ... والآثار في هذا كثيرة فالمؤمن إذا كانت له نية أتت على عامة أفعاله وكانت المباحات من صالح أعماله لصلاح قلبه، ونيته»[٣].

وهناك من العلماء من أبى أن يكون المباح عبادة، والخلاف صوري، لأنه سواء كان المباح وسيلة للعبادة وليس عبادة، أم أنه أصبح عبادة ففي كلا الحالتين يؤجر العبد على نيته في المباح وهذا أمر متفق عليه[٤].

قال المناوي -رحمه الله-: « قال السبكي: والعبادة أربعة أقسام، أحدها: ما وضعه الشرع عبادة كصلاة وصوم، وحج، وصدقة، فمتى صحّ؛ فقربة مطلقاً، وثانيها: ما طلب الشرع من مكارم الأخلاق كإفشاء سلام ونحوه مما فيه مصلحة فإن وجد بنية الامتثال فقربة وإلا فمباح، ثالثها: ما لا يستقل بتحصيل مصلحة فإنما يفعل للتوصل به إلى غيره كالمشي فهو وسيلة فيكون بحسب ما قصده، رابعها: ما وضع مباحاً مقصوداً لتحصيل مصلحة دنيوية فمباح أو نية دينية ففيه ثواب على النية فقط عند البعض، وعليها مع الفعل عند البعض وهو الحق ا.هـ»[٥].

١٥- بالإخلاص تنتصر الأمة:

قال صلى الله عليه وسلم: (إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم، وصلاتهم،

---

(١) الإخلاص والنية، لابن أبي الدنيا، ((المستدرك عليه))، ٧٣ برقم [٦٢]

(٢) سبق تخريجه صـ ٧٨ .

(٣) مجموع الفتاوى، ٢٨/٣٦٩، وينظر: الموافقات، للشاطبي، ٢/٣٣٧.

(٤) ينظر الخلاف في: مقاصد المكلفين، لعمر الأشقر، ص ٤٩١-٤٩٨.

(٥) فيض القدير، للمناوي، ٥/٢٨.

وإخلاصهم)[١].

١٦- بالإخلاص تنال شفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم، والمخلص أسعد الناس بهذه الشفاعة:

قال صلى الله عليه وسلم: « أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلاّ الله خالصاً من قبل نفسه »[٢].

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « ... فكل من كان أعظم إخلاصاً كان أحق بالشفاعة كما أنه أحق بسائر أنواع الرحمة »[٣].

١٧- الإخلاص يضع البركة في العلم، ويزيد فيه، ويساعد على معرفة الحق:

قال ابن القيم -رحمه الله-: « قال ابن عقيل: شهد شيخنا ومعلمنا المناظرة أنّ أبا إسحاق الفيروزأبادي لا يخرج شيئاً إلى فقير إلا أحضر النية، ولا يتكلم في مسألة إلا قدم الاستعانة بالله وإخلاص القصد في نصرة الحق دون التزين والتحسين للخلق، ولا صنف مسألة إلا بعد أن صلى ركعاتٍ فلا جرم شاع اسمه واشتهرت تصانيفه شرقاً وغرباً هذه بركات الإخلاص »[٤].

أما أنه يزيد في العلم، ويساعد في معرفة الحق فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ

---

(١) أخرجه النسائي، كتاب الجهاد، باب الاستنصار بالضعيف، ٣٥٢/٦، برقم [٣١٧٨]، و الشاشي في مسنده، ١٣٢/١، برقم [٧٠]، بتحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الأولى، ١٤١٠هـ، وأحمد بن إبراهيم الدورقي في مسند سعد ، ١٠٥، برقم [٥١]، تحقيق: عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الأولى، ١٤٠٧هـ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ٤١٨/٣، برقم [٦٣٨٩]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٠٥/١، برقم [٦].

(٢) سبق تخريجه في مبحث محل الإخلاص صـ٦٧ .

(٣) مجموع الفتاوى، ٤١٤/١٤.

(٤) بدائع الفوائد، لابن القيم، ٦٩٤/٣، وينظر: صفة الصفوة، لابن الجوزي، ٦٧/٤.

ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(١).

والإخلاص من التقوى وبتحقيقه يزيد علم المرء لتقواه.

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله-: «... وخص بمعرفة ربوبيته بني آدم كما كرمهم، وخص بمعرفة توحيده المؤمنين، وخص بمعرفة المزيد خواص المؤمنين، وفي هذه المعرفة يتفاوت الناس، فمن كان معه معرفتان كان كافرا ومن كان معه ثلاث فهو مسلم، فإذا كان أربع كان مؤمنا، فإذا كانت معه خمس كان مؤمنا عالما، ثم يتفاوتون في معرفة المزيد على قدر أحوالهم، وصدق الهمم، واتباع العلم، وقوة اليقين، وصفاء الإخلاص، وصحة المعتقد، ولزوم السنة»(٢).

ولذا قيل أيضا: «وإنما يعرف الحق من جمع خمسة أوصاف: أعظمها الإخلاص، والفهم، والإنصاف، ورابعها وهو أقلها وجودا وأكثرها فقدانا: الحرص على معرفة الحق، وشدة الدعوة إلى ذلك»(٣).

١٨- بالإخلاص تقبل توبة العبد:

سبق الكلام عليها في أهمية الإخلاص(٤).

١٩- الإخلاص مع اليقين يحدث للعبد الكرامات:

قال الطبري -رحمه الله-: « وذكر لنا أن عيسى كان يمشي على البحر كما يمشي على البر مما أعطاه الله تعالى من اليقين والإخلاص »(٥).

وقال ابن حبان -رحمه الله-: « ذكر البيان بأن المرء إذا دعا الله جل وعلا بنية

---

(١) (البقرة ٢٨٢)

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٥١٤/٨، تحقيق: محمد رشاد سالم.

(٣) قطف الثمر، لصديق حسن خان، ١٧٥، تحقيق: د/ عاصم عبد الله القريوتي، عالم الكتب، بيروت، الأولى، ١٩٨٤م.

(٤) ينظر: صـ ٦٤ .

(٥) جامع البيان، للطبري، ٢٤٠/٣.

صحيحة وعملٍ مخلص قد يستجاب له دعاؤه وإن كان الشيء المسؤول معجزة ».

ثم ساق قصة الغلام والساحر والراهب وقصة أصحاب الأخدود[١].

وليس شرطاً أن يحدث للمخلص كرامة لإخلاصه، أو أنها دليل إخلاصه لأنها قد تكون ابتلاءً.

٢٠- بالإخلاص يبارك الله في ذرية المرء ويُكرم من الله:

قال الطبري -رحمه الله-: « القول في تأويل قوله: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[٢]، يقول تعالى ذكره: فجزينا إبراهيم صلى الله عليه وسلم على طاعته إيانا، وإخلاصه توحيد ربه، ومفارقته دين قومه المشركين بالله بأن رفعنا درجته في عليين وآتيناه أجره في الدنيا ووهبنا له أولاداً خصصناهم بالنبوة، وذرية شرفناهم بالكرامة، وفضلناهم على العالمين»[٣].

٢١- دعوة المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب مستجابة للإخلاص بها:

قال صلى الله عليه وسلم: « دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل»[٤].

قال النووي -رحمه الله-: « بظهر الغيب »: فمعناه: في غيبة المدعو له، وفي سره، لأنه أبلغ في الإخلاص»[٥].

---

(١) ينظر: صحيح ابن حبان، ١٥٤/٣، وأخرج الحديث ((قصة أصحاب الأخدود)) مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، ٣٥٧/٩ برقم [٣٠٠٥].

(٢) (الأنعام ٨٤).

(٣) جامع البيان، الطبري، ٢٦٠/٧.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء للمسلمين، ٥٨/٩، برقم [٢٧٣٣].

(٥) شرح صحيح مسلم، للنووي، ٥٩/٩.

٢٢- أثنى الله على المخلص لإخلاصه، وامتدحه الله سبحانه:

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[1].

قال ابن كثير -رحمه الله-: « قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد، وغير واحد: هذه الآية ضربت مثلا للمشرك والمخلص »[2].

٢٣- من سأل الله الشهادة بإخلاص يبلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه:

قال صلى الله عليه وسلم: (من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه)[3].

قال المناوي -رحمه الله-: « ... أي: أن يموت شهيداً حال كونه صادقاً، أي: مخلصاً في طلبه إياها »[4].

وفي الحديث أن من نوى خيراً، وكان مخلصاً فله أجر ما نواه وإن عاقه عائق، تفضلاً من الله[5].

٢٤- المخلص في إيمانه من ساكني المدينة يبقى بها، وغير المخلص تنفيه [6] :

قال صلى الله عليه وسلم: (إنما المدينة كالكير، تنفي خبثها، وتنصع طيبها)[7].

---

(١) (الزمر ٢٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٥٦/٤.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب ذم من مات ولم يغز، ٦٤/٧، برقم [١٩٠٩].

(٤) فيض القدير، المناوي، ١٧٥/٦.

(٥) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض اليحصبي، ٣٣٤/٦، بتحقيق: د/ يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، الأولى، ١٤١٩هـ.

(٦) لا يعني هذا أن كل من في المدينة مخلص فقد كان المنافقون بها، لكنَّ الإخلاص من أسباب البقاء بالمدينة لكونه من الطيب، وعدمه من أسباب الخروج منها لأن من عدم الإخلاص ففيه خبث .

(٧) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب من بايع ثم استقال البيعة، ٢٤٨/١٣، برقم [٧٢١١]، ومسلم، كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها ١٦٦/٥، برقم [١٣٨٣].

قال النووي –رحمه الله–: « ومعنى الحديث أنه يخرج من المدينة من لم يخلص إيمانه، ويبقى فيها من خلص إيمانه »[١].

٢٥– رؤيا المخلص صادقة:

قال صلى الله عليه وسلم: (رؤيا المؤمن جزءٌ من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)[٢].

قال ابن عبد البر –رحمه الله–: «فعلى قدر اختلاف الناس فيما وصفنا تكون الرؤيا منهم على الأجزاء المختلفة العدد والله أعلم، فمن خلصت له نيته في عبادة ربه، ويقينه، وصدق حديثه كانت رؤياه أصدق وإلى النبوة أقرب»[٣].

٢٦– المخلص محقق للطهارة المعنوية إن جمع مع إخلاصه الأخلاق الحسنة:

قال القرطبي –رحمه الله–: « ... إلا أنَّ نظافة النجاسة الظاهرة بالماء، ونظافة النجاسة الباطنة بالاتصاف بالأخلاق المحمودة التي هي: التوبة من المعاصي ... والإخلاص...»[٤].

مصداق هذا المعنى قوله تعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ﴾[٥].

فسمى الله المشركين نجساً لإشراكهم؛ ولأنهم لم يتطهروا من الشرك بتحقيق الإخلاص والتوحيد، والله أعلم.

٢٧– الرؤية لله يوم القيامة لا تكون إلاّ للمخلصين:

---

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي، ١٦٨/٥.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الرؤيا، برقم [٢٢٦٤].

(٣) التمهيد، لابن عبد البر، ٢٨٣/١.

(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، للقرطبي، ٤٤٥، تحقيق: د/ أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة، ١٣٩٨هـ.

(٥) (التوبة ٢٨).

قال عبد العزيز بن أبي الماجشون[1] -رحمه الله-: «... فورب السماء والأرض ليجعلنَّ رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثواباً لينضِّر بها وجوههم»[2].

وذلك لأن المخلصين أولى الناس برؤية الله يوم القيامة لتحقيقهم الإيمان، كما قال سبحانه وتعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[3].

٢٨- المخلص تقبل موعظته فما خرج من القلب وقع في القلب:

لأنّ إخلاصه لا يكون إلا عن قناعة بما يقول، وقناعته تحمله على العمل، فيكون قدوة بفعله ومؤثراً في قوله لقناعته به؛ وبالتالي يتأثر السامع بموعظته، والله أعلم.

٢٩- شراب المخلصين في الجنة خالص لإخلاصهم:

قال تعالى:﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴿١٨﴾ ﴾[4].

قال ابن عيسى: « فأخبر سبحانه عن العين التي يشرب بها المقربون صرفاً أنّ شراب الأبرار يمزج منها، لأنّ أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله تعالى فأخلص شرابهم، وهؤلاء مزجوا فمزج شرابهم »[5].

٣٠- يورث القلب صفات محمودة:

---

(١) هو: عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة التيمي مولاهم، المدني، أبو عبد الله (ت ١٦٤هـ) فقيه من حفاظ الحديث الثقات أصله من أصبهان، نزل المدينة ثم قصد بغداد فتوفي بها، وصلى عليه الخليفة المهدي، يعد من فقهاء المدينة ومن أصحاب الإمام مالك، روى له الجماعة.

ينظر: تهذيب الكمال، للمزي، ١١/٥٠٤-٥٠٧، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ٧/٣٠٩-٣١٢، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ٦١٣.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، ٣/٥٥٧، برقم [٨٧٣].

(٣) (القيامة ٠٢٢-٠٢٣)

(٤) (الإنسان ٠١٧-٠١٨)

(٥) توضيح المقاصد، لابن عيسى، ٢/٥٣٣.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « فالعلم النافع مع العمل الصالح، والصلاة الحسنة، وصدق الحديث، وإخلاص العمل لله، وأمثال ذلك، تورث القلب صفات محمودة كما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إنّ للحسنة لنوراً في القلب وضياءً في الوجه وسعةً في الرزق، وقوةً في البدن، ومحبة في قلوب الخلق ... »[١].

مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[٢].

فعمل الحسنات يذهب السيئات، وبذهاب السيئات يورِّث المسلم صفات حميدة.

قال ابن القيم -رحمه الله-: « .. فإنَّ في القلب فاقة لا يسدها شيء سوى الله تعالى أبداً، وفيه شعث لا يلمه غير الإقبال عليه، وفيه مرض لا يشفيه غير الإخلاص له، وعبادته وحده، فهو دائماً يضرب على صاحبه حتى يسكن، ويطمئنّ إلى إلهه ومعبوده فحينئذٍ يباشر روح الحياة ويذوق طعمها، ويصير له حياة أخرى غير حياة الغافلين المعرضين عن هذا الأمر ... »[٣].

٣١- أعظم معين لولاة الأمر:

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « وأعظم عون لولي الأمر خاصة ولغيره عامة ثلاثة أمور، أحدها: الإخلاص لله ... »[٤].

٣٢- اتفاق كلمة الأمة:

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « فأهل الإشراك متفرقون، وأهل الإخلاص متفقون، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ

---

(١) منهاج السنة النبوية، ٢٧/٣.

(٢) (هود ١١٤)

(٣) إغاثة اللهفان، ٧٨/١.

(٤) الفتاوى، ٣٦١/٢٨.

﴿خَلَقَهُمْ﴾[١]، فأهل الرحمة متفقون مجتمعون، والمشركون فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، ولهذا تجد ما أحدث من الشرك والبدع، يفترق أهله، فكان لكل قوم من مشركي العرب طاغوت ... »[٢].

٣٣- بالإخلاص تكمل العبودية، ويستغني عن المخلوقات، ويبرأُ من الكبر :

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « فكلما قوي إخلاص دينه لله كملت عبوديته، واستغناؤه عن المخلوقات، وبكمال عبوديته لله تبريه من الكبر والشرك ... »[٣].

٣٤- المخلص متصف بصفة من أميز صفات خير الأمم:

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- متحدثاً عن هذه الأمة وصفاها: « .. وهم أهل صدق وعدل، وأعمالهم خالصة لله، صوابٌ موافقة لأمر الله ... »[٤].

٣٥- بالإخلاص يتذوق المسلم حلاوة العبودية:

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « ... فإنّ المخلص ذاق من حلاوة عبوديته ما يمنعه عن عبوديته لغيره، ومن حلاوة محبته ما يمنعه عن محبة غيره؛ إذ ليس عند القلب لا أحلى، ولا ألذ، ولا أطيب، ولا ألين، ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن: عبوديته لله، ومحبته له، وإخلاصه الدين له ... »[٥].

٣٦- يورث الإخلاص قوة البصيرة، والفراسة:

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « .. فكلما استعمل العبد عقله، وعمل بعلمه، وأخلص في عمله، وصفا ضميره ... زيد في معرفته، وقويت بصيرته، وكوشف بما غاب

---

(١) (هود ١١٨-١١٩)

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢/٣٨٠-٣٨١.

(٣) الفتاوى الكبرى، ٢/٣٨٩.

(٤) النبوات، ١/٤١٥.

(٥) الفتاوى الكبرى، ٢/٣٩٩.

عن الأعيان »[١].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: « فمن غرس الإيمان في أرض قلبه الطيبة الزاكية وسقى ذلك الغراس بماء الإخلاص والصدق، والمتابعة،: كان من بعض ثمره هذه الفراسة»[٢].

٣٧- خلق الله المخلصين لرحمته:

قال ابن القيم -رحمه الله-: « وخلق المؤمنين المتقين المخلصين لرحمته، وأعداءه الكافرين لنقمته، والمخلطين للأمرين، فهؤلاء أهل الرحمة، وهؤلاء أهل النقمة، وهؤلاء أهل النقمة والرحمة »[٣].

٣٨- المخلصون هم أهل التنزيه الذين أثنى الله عليهم لتنزيههم:

قال ابن القيم -رحمه الله-: « ... ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[٤]، فنزه نفسه عما يصفه به كل أحد إلاّ المخلصين من عباده، وهم: الرسل ومن تبعهم ... »[٥].

٣٩- من صحّ إخلاصه فهو من أصدق الناس وكمال الإخلاص هو الصديقية:

قال ابن القيم -رحمه الله-: « .. فأصدق الناس من صحّ إخلاصه وتوكله»[٦].

وهذا أمرٌ واضح فالمخلص صادق مع الله، متجرد عن حظوظ نفسه، مقدم رضا مولاه على رضا نفسه؛ فاستحق اسم المخلص، واستحق أن يكون صادقاً.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٥١٨/٨.

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم، ٥٥٧/٢.

(٣) طريق الهجرتين، لابن القيم، ٢٣٢.

(٤) (الصافات ١٥٩-١٦٠)

(٥) جلاء الأفهام، لابن القيم، ٢٧٥، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار ابن الجوزي، الدمام، الأولى، ١٤١٧هـ.

(٦) الفوائد، لابن القيم، ١٨٧.

وأمَّا كون الإخلاص كمال الصديقية فقد قال ابن القيم -رحمه الله-: « ... فلذلك كانت الصديقية: كمال الإخلاص، والانقياد والمتابعة للخبر والأمر ظاهراً وباطناً ... »[١].

٤٠- لإخلاص هذه الأمة أبيحت لهم الغنائم:

قال ابن القيم -رحمه الله-: « .. وكذلك إباحة الغنائم كان قبيحاً في حق من قبلنا لئلا تحملهم إباحتها على القتال لأجلها، والعمل لغير الله، فتفوت عليهم مصلحة الإخلاص التي هي أعظم المصالح ... ثم لما أوجد هذه الأمة التي هي أكمل الأمم عقولاً وأرسخهم إيماناً، وأعظمهم توحيداً، وإخلاصاً، وأرغبهم في الآخرة، وأزهدهم في الدنيا أباح لهم الغنائم ... »[٢].

٤١- إذا أخلص المسلم كفاه الله ما بينه وبين الناس:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « ... فمن خلصت نيته في الحق ولو كان على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين لهم بما ليس في قلبه شانه الله... »[٣].

٤٢- لا يعد شهيداً إلا المخلص في جهاده:

ولذا قسّم العلماء الشهداء إلى ثلاثة أقسام:

١ـ شهيد الدنيا والآخرة: وهو من قتل في المعركة مخلصاً.

٢ـ شهيد الدنيا فقط: وهو من قتل في معركة لكنه غير مخلص.

٣ـ شهيد الآخرة فقط: وهم من أثبت لهم الشارع الشهادة، و لم تجر عليهم

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم، ٢/٣٠٨-٣٠٩.

(٢) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، ٢/٢٩.

(٣) السنن الكبرى، للبيهقي، ١٠/٢٥٢-٢٥٣، برقم [٢٠٥٣٧]، وينظر: الزهد، لهناد ، ٢/٤٣٦، برقم [٨٥٩] ،وهذا قطعة من كتاب عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري، قال ابن القيم: ((تلقاه العلماء بالقبول)) ، ينظر: إعلام الموقعين، ١/١٢٧.

أحكامها في الدنيا كالغريق ونحوه(١).

٤٣- المخلص محبوب من الله ومحبوب من المؤمنين:

فالإخلاص من أعظم الأعمال التي تقرِّب العبد لمولاه، حتى يحبه الله فإذا أحبه وضع له القبول في الأرض.

قال صلى الله عليه وسلم: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إنّ الله يحبُّ فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء: إنّ الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثمّ يوضع له القبول في الأرض»(٢).

٤٤- الإخلاص يفتح مجالات واسعة للعمل:

فهو يدخل في جميع المجالات -كما سبق بيانه- فتفتح للمؤمن أبوابٌ كثيرة للعمل في مجال الخير لسعة مجالات الإخلاص(٣).

٤٥- يكفل الإخلاص ويضمن استمرارية المسلم في عمله مع الإتقان لعمله:

فالمخلص له رغبة في ثواب الله، فيقبل على فعل الخير ويستمر عليه ليحصل على الأجر من مولاه، ويعلم أنَّ العمل المتقن هو المقبول فيتقن عمله.

٤٦- يزيد من فاعلية المسلم في مجتمعه:

يحمل الإخلاص صاحبه على أن يكون عنصراً فعالاً في مجتمعه ليصلح ذلك المجتمع، ويحصل المخلص على الأجر.

٤٧- يمنع الإخلاص المسلم من الإعجاب بعمله:

فهو يعلم أنّ العجب مؤثرٌ على إخلاصه فيجتنب هذه الآفة حتى لا يضيع عمله.

---

(١) ينظر: المطلع، لمحمد بن أبي الفتح البعلي، ١١٦، تحقيق: محمد بشير الأدلبي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ.

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ٣٦٥/٦، برقم [٣٢٠٩]، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده، ٤٣٣/٨، برقم [٢٦٣٧].

(٣) ينظر: الإخلاص وأثره في قبول العمل، د/ عبد الله محمد الطيار، ٣٧-٤٣، دار المسير، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ.

٤٨- الإخلاص خير معين على تجاوز العقبات:

الإخلاص دافع للمسلم على العمل، ودافع على الصبر لإنجاز العمل، وما وقف من عقبات في وجهه فهو يجتهد حتى يتخطاها وينجز عمله.

٤٩- الإخلاص يحمل المسلم على الإنفاق في سبيل الله:

يقول سبحانه وتعالى في وصف عباده الصالحين: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[١].

٥٠- يحمل طالب العلم على الاجتهاد في طلب العلم ويحمل المعلم على الحرص في التعليم لطلابه:

فيعلم طالب العلم أن تحصيل العلم يؤجر عليه المسلم فيزداد في طلبه وكذا المعلم.

٥١- انشراح الصدر، وطمأنينة النفس، ووحدة الهدف:

كما قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[٢]، فانظر إلى حال المشرك وتبلبل فكره وتشتت ذهنه، واضطراب نفسه أما المخلص فخلافه.

٥٢- يحمل الإخلاص صاحبه على تنظيم وقته، وعمله:

فوقت المخلص غالٍ عنده يريد استثماره في مرضاة الله وألاّ يضيع وقته سدىً دون عمل نافع له وللمسلمين؛ لأنه سيسأل عن هذا الوقت.

قال صلى الله عليه وسلم: (لن يزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه)[٣].

---

(١) (الحشر ٠٠٩)

(٢) (الزمر ٠٢٩)

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، ٧٤/٥، برقم [٤٧١٠]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٤٢٣/٣، برقم [٣٥٩٣].

هذه بعض من ثمار الإخلاص الكثيرة، والناس مع هذه الثمار أقسام:

الأول: من علم ذلك سماعا واستدلالا.

الثاني: من شاهد وعاين ما يحصل من ذلك.

الثالث: من وجد حقيقة الإخلاص وثماره، وهو الأعرف بهذه الثمار[1].

فجدير بالمسلم أن يحرص على تحقيق الإخلاص، ويجاهد في تحصيله ليحصل على رضى مولاه، والفوز بأخراه، وينال من هذه الثمار، والله أعلم.

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام، ١٠/٦٥٠.

المبحث الثاني

آثار الإخلاص على الأعمال [١] كما ورد في النصوص

آثار الإخلاص هي بعض ثمار الإخلاص، وأفردت هنا لبيان قيمة الإخلاص، وأنه يدخل أعمالاً فيباركها الله لإخلاص عبده ويعطيه من الأجر الكبير والثواب الجزيل ما لا يخطر ببال أو يدور في خيال، وقد ورد البعض منها ضمن أهمية الإخلاص، والبعض ضمن ثمار الإخلاص -وألحقتها حسب الأليق بموطنه والارتباط بمبحثه- وسيأتي الكلام هنا على البعض من هذه الآثار، وما سيرد فليس على سبيل الحصر للنصوص التي بينت هذه الآثار.

وقد تمَّ التنبيه على مجالات هامة، لعلَّ في إبرازها تنبيه على غيرها، وحثٌّ للمسلم أن يستكمل الإخلاص في جميع عمله لينال الفضل، ويغنم الأجر، ومن تلك الآثار ما يلي:

١- أثره على من قال لا إله إلا الله:

قال صلى الله عليه وسلم:

(فإنَّ الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلاَّ الله يبتغي بذلك وجه الله)[٢].

٢- أثره على القلوب:

قال تعالى في إبراهيم عليه الصلاة والسلام:﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾[٣].

---

(١)المبحث السابق كان يبحث عن الفوائد التي يجنيها المخلص من إخلاصه، وهذا المبحث عن الفوائد التي تحدث للعمل إن حقق فيه الإخلاص .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، ٦٧٢/١، برقم [٤٢٥]، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أنَّ من مات على التوحيد...، ٢٥١/١، برقم [٢٩].

(٣) (الصافات ٨٤).

قال الشوكاني -رحمه الله- في الآية السابقة: « والقلب السليم: المخلص من الشرك، وقيل: هو الناصح لله في خلقه، وقيل:الذي يعلم أنّ الله حق »[1].

وعلى الأقوال الثلاثة فكلها إمَّا متضمنة للإخلاص، أو مستلزمة له، فالناصح لله لا يكون إلاّ مخلصا، والذي يعلم أنّ الله حق لابدَّ أن يخلص له.

٣- أثره على الخروج للصلاة، والانتظار في المسجد:

قال صلى الله عليه وسلم: (صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته، وصلاته في سوقه، بضعاً وعشرين درجة، وذلك أنّ أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة لا يريد إلا الصلاة، فلم يخطُ خطوة إلا رفع له بها درجة، وحُط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون: اللهمَّ ارحمه، اللهمَّ تب عليه، ما لم يؤذ فيه، ما لم يحدث فيه)[2].

٤- أثره على المشي للمسجد:

قال صلى الله عليه وسلم لبني سلِمة لما أرادوا القرب منه: (ألا تحتسبون آثاركم)[3].

٥- أثره لمن صلى:

قال صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه، ثمَّ يقوم فيصلي ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه إلاَّ وجبت له الجنة)[4].

٦- أثره على الصلاة في الفلاة:

---

(١) فتح القدير، ٤/٤٠١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، ٢/١٧١، برقم [٦٤٧]، ومسلم -واللفظ له- كتاب المساجد، باب صلاة الجماعة وانتظار الصلاة، ٣/١٧٨، برقم [٦٤٩].

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب احتساب الآثار، ٢/١٨١، برقم [٦٥٥].

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، ٢/١٢٠، برقم [٢٣٤].

قال صلى الله عليه وسلم: (الصلاة في جماعة تعدل خمساً وعشرين صلاة، فإذا صلاها في فلاة فأتمّ ركوعها وسجودها بلغت خمسين صلاة)(١).

قال الشوكاني -رحمه الله - في الحِكم التي ارتفع الأجر بها: « ... وأيضاً في مثل هذا الموطن تنقطع الوساوس التي تقود إلى الرياء، فإيقاع الصلاة فيها شأن أهل الإخلاص ... »(٢).

٧- أثره على التأمين في الصلاة:

قال صلى الله عليه وسلم: (إذا أمنَّ الإمام فأمنوا، فإنّه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه)(٣).

وقيل في الموافقة المراد بها: الإخلاص، وقيل في الزمان، وقيل في الإجابة(٤).

وأبى ابن حجر -رحمه الله- أن يكون المراد بالموافقة، الموافقة في الإخلاص بل المراد بها الزمان والقول فقط(٥)، والله أعلم.

٨- أثره على السجود:

قال صلى الله عليه وسلم: (ما من عبد يسجد لله سجدة إلاَّ كتب الله له بها حسنة، ومحا عنه بها سيئة، ورفع له بها درجة، فاستكثروا من السجود)(٦).

٩- أثره على صلاة الليل:

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل المشي إلى الصلاة، ١٨٧/٢-١٨٨، برقم [٥٥٦]، وله شاهد عند ابن حبان في صحيحه، ٤٤/٥، برقم [١٧٤٩]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢٩٤/١، برقم [٤١٣].

(٢) نيل الأوطار، ١٣٨/٣.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين، ٣٣٩/٢، برقم [٧٨٠]، وأخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين، ٣٦٥/٢، برقم [٤١٠].

(٤) ينظر: صحيح ابن حبان، ١٠٦/٥-١٠٨، وينظر: تفسير ابن كثير، ٣٤/١.

(٥) ينظر فتح الباري، ٣٤٣/٢.

(٦) أخرجه ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في كثرة السجود، ١٨٢/٢، برقم [١٤٢٤]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢٧٨/١، برقم [٣٨٦].

قال صلى الله عليه وسلم: (أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة في جوف الليل)(١).

قال ابن مفلح -رحمه الله- في شأن صلاة الليل: « .. ولأنها أبلغ في الإسرار وأقرب إلى الإخلاص، فالتطوع المطلق أفضله صلاة الليل ... »(٢).

١٠- أثره على صلاة النفل في البيت:

قال صلى الله عليه وسلم: (... فصلوا أيها الناس في بيوتكم، فإنَّ أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلاَّ المكتوبة)(٣).

قال ابن حجر -رحمه الله-: « قال النووي: إنما حث على النافلة في البيت لكونه أخفى وأبعد عن الرياء، وليتبرك البيت بذلك ... »(٤).

١١- أثره على الأذان لمن أذّن بإخلاص:

قال صلى الله عليه وسلم: (من أذَّن ثنتي عشرة سنة، وجبت له الجنة، وكتب له بتأذينه في كل يوم ستون حسنة، ولكل إقامة ثلاثون حسنة)(٥).

ومعلوم أن الإخلاص شرط في جميع العبادات ومنها الأذان.

١٢- أثره لمن اتبع جنازة:

قال صلى الله عليه وسلم: (من اتبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا، وكان معه حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها، فإنه يرجع من الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها ثمَّ رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط)(٦).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصيام، باب فضل صوم المحرم، ٣١١/٤، برقم [١١٦٣].

(٢) المبدع، ٢٠/٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب صلاة الليل، ٢٧٨/١، برقم [٧٣١].

(٤) فتح الباري، ٢٨٠/١.

(٥) أخرجه ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وثواب المؤذنين، ٤٠٢/١، برقم [٧٢٨]، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣٢٢/١، برقم [٧٣٦]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢١٨/١، برقم [٢٤٨].

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب اتباع الجنائز من الإيمان، ١٤٥/١، برقم [٤٧].

١٣- أثره على إطعام الطعام:

أثنى الله تبارك وتعالى على المؤمنين ، وبين أجرهم وما يلاقونه في جنة ربهم لأعمالٍ عملوها منها الإطعام لله، قال سبحانه: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ ﴾[1].

١٤- أثره على الإنفاق عل الأهل:

قال صلى الله عليه وسلم: (إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة)[2].

١٥- أثره على صوم الفرض:

قال صلى الله عليه وسلم: (من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه)[3].

١٦- أثره على صوم النفل:

قال صلى الله عليه وسلم: (ما من عبدٍ يصوم يوما في سبيل الله، إلاَّ باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا)[4].

١٧- أثره على قيام رمضان:

قال صلى الله عليه وسلم: (من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه)[5].

١٨- أثره على قيام ليلة القدر:

---

(١) (الإنسان ٠٠٨-٠٠٩)

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب ما جاء أنّ الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى، ١٨٠/١، برقم [٥٥].

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتسابًا من الإيمان، ١٢٥/١، برقم [٣٨].

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الصيام، باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه بلا ضرر ولا تفويت حق، ٢٨٩/٤، برقم [١١٥٣].

(٥) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، ٢٩٥/٣، برقم [٧٥٩].

قال صلى الله عليه وسلم: (... ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه)[١].

١٩- أثره على الحج:

أ - سئل النبي صلى الله عليه وسلم: (أي العمل أفضل ؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثمَّ ماذا ؟ قال: جهاد في سبيل الله، قيل: ثمَّ ماذا ؟ قال حجٌّ مبرور)[٢].

والحج المبرور: الذي لا يخالطه شيء من الإثم، ومن الإثم: الشرك والرياء[٣].

ب - وقال صلى الله عليه وسلم: (من حج فلم يرفث و لم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)[٤].

٢٠- أثره على يوم عرفة:

قال صلى الله عليه وسلم: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثمَّ يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء)[٥].

وهم لم يريدوا إلا وجه الله سبحانه وتعالى، فأعطاهم ما لم يخطر ببالهم وأعتق رقابهم وباهى بهم الملائكة.

٢١- أثره على الجهاد في سبيل الله:

قال صلى الله عليه وسلم: (من قاتل لتكون كلمة الله علي العليا فهو في سبيل الله)[٦].

٢٢- أثره على من جرح في سبيل الله:

قال صلى الله عليه وسلم: (ما من مكلوم يكلمُ في سبيل الله، إلا جاء يوم القيامة

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، ٣٢٣/٤، برقم [٢٠١٤].

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، ٤٨٠/٣، برقم [١٥١٩].

(٣) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٤٨١/٣.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، ٤٨١/٣، برقم [١٥٢١].

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، ١٢٧/٥، برقم [١٣٤٨].

(٦) سبق تخريجه في مبحث تعريف الإخلاص صـ ١٥.

وكلْمُه يدمى، اللون لون دم، والريح ريح مسك)[١].

٢٣- أثره على الرباط:

قال صلى الله عليه وسلم: (رباط يوم وليلة خيرٌ من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان)[٢].

وفي رواية: (رباط يوم في سبيل الله أفضل، وربما قال: خيرٌ من صيام شهر وقيامه، ومن مات فيه وقي فتنة القبر، ونُمي له عمله إلى يوم القيامة)[٣].

٢٤- أثره على من ربط فرسه في سبيل الله:

قال صلى الله عليه وسلم: (من احتبس فرسًا في سبيل الله، إيمانًا بالله، وتصديقًا بوعده، فإنَّ شبعه، وريَّه، وروثه، وبوله، في ميزانه يوم القيامة)[٤].

٢٥- أثره على من جهز الغزاة في سبيل الله:

قال صلى الله عليه وسلم: (من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيًا في سبيل الله بخير فقد غزا)[٥].

٢٦- أثره على المحبة في الله:

قال صلى الله عليه وسلم: (من سره أن يجد حلاوة الإيمان، فليحب المرء لا يحبه إلاَّ لله)[٦].

٢٧- أثره على التوبة:

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، ٨١٦/٩، برقم [٥٥٣٣].

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل، ٦٩/٧، برقم [١٩١٣].

(٣) أخرجه الترمذي، أبواب فضائل الجهاد، الباب رقم ٢٥، ٢٤٧/٥، برقم [١٧١٢].

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من احتبس فرسًا في سبيل الله، ٧١/٦، برقم [٢٨٥٣].

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازيًا أو خلفه بخير، ٦١/٦، برقم[٢٨٤٣].

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٨٦/٨، برقم [٧٩٥٤]، وبرقم [١٠٦٨٦]، وأخرجه الحاكم في مستدركه، ٤٤/١، برقم [٣]، وصححه أحمد شاكر -رحمه الله- في تحقيقه للمسند، ينظر: ٨٦/٨، وحسنه الألباني -رحمه الله- في صحيح الترغيب والترهيب، ١٥٨/٣، برقم [٣٠١٢].

قال صلى الله عليه وسلم: (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه)[(١)].

وسبق في أهمية الإخلاص أنَّ الإخلاص شرط للتوبة [(٢)].

٢٨- أثره على الصدق:

قال صلى الله عليه وسلم: (إن تصدق الله يصدقك)[(٣)].

٢٩- أثره على الصبر لمن مات له حبيبٌ وصبر على مصيبته:

قال صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضت صفيَّه من أهل الدنيا ثمَّ احتسبه إلاَّ الجنة)[(٤)].

٣٠- أثره على التوكل:

وفيه قصة الرجل من بني إسرائيل الذي استدان ورضي الدائن أن يكون الله كفيلاً فرد الله إليه ماله على خشبة في البحر، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: ((عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيداً، قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجَّله فلم يجد مركباً، فأخذ خشبةً فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار، ٢٩/٩، برقم [٢٧٠٣].

(٢) ينظر: صـ ٦٤ .

(٣) أخرجه النسائي، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهداء، ٣٦٢/٤، برقم [١٩٥٢]، وينظر القصة بطولها لما فيها من عبرة، وصحح الحديث الألباني -رحمه الله- في صحيح الترغيب والترهيب، ١١٧/٢-١١٨، برقم [١٣٣٦].

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب العمل الذي يبتغى به وجه الله فيه سعد، ٢٩١/١١، برقم [٦٤٢٤].

زجج[١] موضعها، ثم أتى بها إلى البحر فقال: اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلاناً ألف دينار فسألني كفيلاً فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضي بك، وسألني شهيداً فقلت: كفى بالله شهيداً، فرضي بذلك، وإني جهدت أن أجد مركباً أبعث أليه الذي له فلم أقدر وإني أستودعكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعلَّ مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطباً، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال: والله ما زلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه ، قال : فإنَّ الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرفْ بالألف الدينار راشداً))[٢].

٣١- أثره على الزيارة في الله:

فعنه صلى الله عليه وسلم: (أنَّ رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكًا، فلما أتى عليه قال أين تريد ؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجلَّ، قال: فإني رسول الله إليك، بأنَّ الله قد أحبك كما أحببته فيه)[٣].

٣٢- أثره على طاعة الوالدين، وأداء الأمانة، والعفة وترك المنكر:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه فقال واحد منهم اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق[٤] من أرز فذهب

---

(١) أي سوى موضع النقر وأصلحه، ينظر فتح الباري، لابن حجر، ٥٩٤/٤.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلاة والآداب، باب في فضل الحب في الله، ٣٦٦/٨، برقم [٢٥٦٧].

(٣) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلاة والآداب، باب في فضل الحب في الله، ٣٦٦/٨، برقم [٢٥٦٧].

(٤) مكيال من المكاييل تفتح راؤه وتسكن، قيل في مقداره أنه ستة عشر رطلاً، ينظر تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ١٣٩ .

وتركه وأني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أني اشتريت منه بقرا وأنه أتاني يطلب أجره فقلت له اعمد إلى تلك البقر فسقها فقال لي إنما لي عندك فرق من أرز فقلت له اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق فساقها فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساحت[١] عنهم الصخرة فقال الآخر اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي فأبطأت عليهما ليلة فجئت وقد رقدا وأهلي وعيالي يتضاغون[٢] من الجوع فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا[٣] لشربتهما فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء فقال الآخر اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلي وأني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها فلما قعدت بين رجليها فقالت اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقمت وتركت المائة دينار فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا)[٤]

٣٣- أثره على الزهد والتواضع لله:

قال ﷺ: « من ترك اللباس تواضعًا لله وهو يقدر عليه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أيِّ حلل الإيمان شاء يلبسها »[٥].

٣٤- أثره على التعلم والتعليم في مسجد رسول صلى الله عليه وسلم:

قال صلى الله عليه وسلم: (من جاء مسجدي هذا لم يأته إلاَّ لخير يتعلمه أو يعلمه

(١) أي انفسحت، ينظر المصدر السابق، ١٨٠ .

(٢) أي يصرخون ويبكون ، ينظر المصدر السابق، ١٧٩ .

(٣) أي يضعفا لأنه عشاؤهما، ويستكنا من الاستكانة وهي من السكون بمعنى الخضوع، وقصد منها في الحديث الضعف بسبب ترك العشاء ، ينظر المصدر السابق، ٢٥٣، وفتح الباري، لابن حجر، ٦٢٣/٦ .

(٤) سبق تخريج الحديث في ثمار الإخلاص، ثمرة رقم ١٠ .

(٥) أخرجه الترمذي، أبواب صفة يوم القيامة، الباب رقم ١٥، ١٥٤/٧، برقم [٢٥٩٨]، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ، ٢٥٣/١٢، برقم [١٥٥٦٨] وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ٣٧٨/٣، برقم [٦١٠١]، وصححه الألباني -رحمه الله- في صحيح الترغيب والترهيب، ٤٧٤/٢، برقم [٢٠٧٢].

فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك، فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره)[١].

٣٥- أثره على من ابتلى بعينيه فصبر:

قال صلى الله عليه وسلم: (من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب، لم أرض له بثواب دون الجنة)[٢].

٣٦- أثره على المصائب عمومًا:

قال صلى الله عليه وسلم: (ما من مؤمن يشاك بشوكة في الدنيا يحتسبها إلاَّ قُصِّر بها من خطاياه يوم القيامة)[٣].

٣٧- أثره على أعمالٍ عدَّة:

العدل في الإمامة، الصلاح في الشباب، التعلق بالمساجد، المحبة في الله، العفة، الصدقة سرًا، البكاء عند ذكر الله في الخلوة:

قال صلى الله عليه وسلم: (سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلاَّ ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجلٌ دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه)[٤].

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب السنة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ١/١٤٩، برقم [٢٢٧]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/١٤٦، برقم [٨٧].

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ٧/٣٥٠، برقم [٧٥٨٧]، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيق المسند، ينظر: ٧/٣٥٠، وصحح الحديث لغيره الألباني -رحمه الله- في صحيح الترغيب والترهيب، ٣/٣٤٦، برقم [٣٤٤٩].

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ٩/١٤١، برقم [٩١٩١]، وصححه الألباني -رحمه الله- في صحيح الترغيب والترهيب، ٣/٣٣٢، برقم [٣٤١١].

(٤) سبق تخريجه صـ ٧٩ .

٣٨- أثره على سيد الاستغفار:

قال صلى الله عليه وسلم: (سيد الاستغفار أن يقول: اللهمَّ أنت ربي لا إله إلاَّ أنت، خلقتني وأنا عبدك،وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء لك بذنبي، اغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلاَّ أنت، قال: ومن قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة)(١).

٣٩- دفع الصدقة مع الإخلاص بها مطفئ لغضب الرب سبحانه وتعالى:

قال صلى الله عليه وسلم: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والصدقة خفياً تطفئ غضب الرب)(٢).

قال المناوي -رحمه الله- معلقاً على الحديث السابق: « فبنور الإخلاص، ورحمة الإحسان أطفأ نار الغضب»(٣).

٤٠- الدعاء للميت بإخلاص ينفع الميت:

قال صلى الله عليه وسلم: (إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء)(٤).

قال المناوي -رحمه الله-: معلقاً على الحديث السابق: « أي: ادعوا له بإخلاص وحضور قلب؛ لأنّ المقصود بهذه الصلاة إنما الاستغفار، والشفاعة للميت، وإنما يرجى قبولها عند توفر الإخلاص والابتهال، ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء ما لم يشرع

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، ١١٧/١١، برقم [٦٣٠٦].

(٢) المعجم الأوسط، للطبراني، ١٦٣/٦، برقم [٦٠٨٦]، وحسّن الحديث لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٥٣٢/١ برقم [٨٩٠].

(٣) فيض القدير، للمناوي، ٢٠٧/٤.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت، ٣٤٤/٨، برقم [٣١٩٧]، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الدعاء في الصلاة على الجنازة، ٢١٧/٢، برقم [١٤٩٧]، وصححه الألباني في إرواء الغليل ،١٧٩/٣-١٨٠، برقم [٧٣٢]، وينظر: التلخيص الحبير، لابن حجر، ٢٤٧/٢، بتحقيق: حسن قطب، ،مؤسسة قرطبة، الأولى، ١٤١٦هـ.

مثله في الدعاء للحي»[١].

٤١- تفتح أبواب السماء لمن قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه:

قال صلى الله عليه وسلم: (ما قال عبد لا إله إلا الله قط مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر)[٢].

٤٢- من بنى -بإخلاص- بيتا لله بنى الله له بيتاً في الجنة:

قال صلى الله عليه وسلم: (من بنى مسجدا لله، بنى له الله في الجنّة مثله)[٣].

والمقصود بقوله صلى الله عليه وسلم: «لله»: أي: بإخلاص[٤].

٤٣- من تعلم القرآن وتعلمه بإخلاص كان من الخيار:

قال صلى الله عليه وسلم: (خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه)[٥].

قال المناوي -رحمه الله-: «قال الطيبي ولابد من تقييد التعلم والتعليم بالإخلاص فمن أخلصهما وتخلق بهما دخل في زمرة الأنبياء»[٦].

وما قاله المناوي ظاهر لأن الإخلاص شرط في جميع العبادات.

٤٤- من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخلاص، صلى الله عليه بها عشراً، ورفعه عشر درجات، وكتب له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات:

قال صلى الله عليه وسلم: (من صلى عليَّ من أمتي صلاة مخلصاً من قلبه، صلى الله

---

(١) فيض القدير، المناوي، ١/٣٩٣-٣٩٤.

(٢) رواه الترمذي، كتاب الدعاء، الباب العاشر منه، حديث برقم [٣٨٢٤]، والنسائي في عمل اليوم والليلة، ١٥٠، بتحقيق: د/ فاروق حمادة، الرسالة، بيروت، الثانية، ١٤٠٦هـ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/٢٢٠، برقم [١٥٢٤].

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب فضل بناء المساجد، ٩/٣٤٠، برقم [٢٩٨٣]، وأخرج البخاري نحوه، كتاب الصلاة، باب من بنى مسجداً، ١/٧٠٤، برقم [٤٥٠].

(٤) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ١/٧٠٥.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه، ٩/٩٣، برقم [٥٠٢٧].

(٦) فيض القدير، للمناوي، ٣/٤٩٩.

عليه بها عشر صلوات، ورفعه بها عشر درجات، وكتب له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات)[١].

٤٥- يحفظ العبد بإخلاصه؛ لأن إخلاصه يحمله على المحافظة على صلاة الفجر:

قال صلى الله عليه وسلم: (من صلى الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنَّكم الله من ذمته بشيءٍ فيدركه فيكبه في نار جهنم)[٢].

قال المناوي -رحمه الله-: « «فهو في ذمة الله» أي: في أمانته وخصّ الصبح لأنَّ فيها كلفة لا يواظبها إلا خالص الإيمان فيستحق الأمان »[٣].

وعموماً فكل الأحاديث التي أخبرت عن فضيلة فإنّه لايترتب عليها ثواب إلاّ إن فعلت بإخلاص، وآثرت هنا ذكر المنصوص عليه من كون الإخلاص يشترط لذلك ،أو كان هذا الفعل مما يحرص على عمله والقيام به .

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، ١٦٦-١٦٧، وفي السنن الكبرى، ٢١/٦، برقم [٩٨٩٢]، والطبراني في المعجم الكبير، ١٩٥/٢٢، برقم [٥١٣]، والبزار في المسند، ٢٥٩/٩-٢٦٠، برقم [٣٧٩٩]، وقال الألباني عن الحديث «حسن صحيح»، ينظر: صحيح الترغيب والترهيب، ٢٩٠/٢، برقم [١٦٥٩].

(٢) أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب فضل صلاة العشاء والصبح، ١٧١/٣ برقم [٦٥٧].

(٣) فيض القدير، للمناوي، ١٦٥/٦.

المبحث الثالث

المفاسد الناتجة من فقد الإخلاص

كما أنَّ لتحصيل الإخلاص ثمارًا وآثارًا كثيرة فكذا الحال عند فقده تحدث مفاسد عظيمة، وآثار وخيمة، وإجمال هذه المفاسد فيما يلي:

- فاقد الإخلاص فرط في حكم شرعي مطلوب تحصيله.
- وفرط في أمرٍ مهم بل هو أهمُّ أعمال القلوب.
- وأضاع النفع في مجالات شتى لما أضاع الإخلاص فيها.
- وتارك لسبيل المؤمنين وسلف الأمة الصالحين.
- وواقع في نواقض الإخلاص، وأعظمها الشرك الأكبر بربِّ العالمين، واتباع سبيل المنافقين، ومفارقة هدي الصالحين.

هذه مجمل المفاسد الواقعة من فقد الإخلاص، وفي إيراد بعض المفاسد بيانٌ لما أجمل وتوضيح لما أبهم، علمًا أني سأورد الهام من المفاسد لتتعظ النفوس، وإلا فقد فصل القول في الحكم، والأهمية والمجالات، والثمار، والآثار، ومن فقد الإخلاص فهو فاقد لما سبق كله، لكن في إيراد المهم من ذلك وعظ للنفس وتحذيرٌ لها حتى لا تقع في ذلك، فمن هذه المفاسد ما يلي:

١- سخْط الله لمن فقد الإخلاص، ويشان من الله سبحانه:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « ... فمن خلصت نيته في الحق ولو كان على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين لهم بما ليس في قلبه شانه الله ...»[1].

وقال سفيان بن عيينة -رحمه الله-: « من تزين للناس بشيء يعلم الله تعالى منه غير

---

(١) سبق تخريجه في ثمار الإخلاص ثمرة برقم [٤٣].

ذلك شانه الله »[١].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: « ... لما كان المتزين بما ليس فيه ضد المخلص، فإنه يظهر للناس أمرًا وهو في الباطن بخلافه عامله الله بنقيض قصده، فإنَّ المعاقبة بنقيض القصد ثابتة شرعًا وقدرًا، ولما كان المخلص يعجل له من ثواب إخلاصه: الحلاوة، والمحبة، والمهابة في قلوب الناس عجل للمتزين بما ليس فيه من عقوبته أن شانه الله بين الناس؛ لأنه شان باطنه عند الله ... »[٢].

٢- ظلمة القلب:

قال العز بن عبد السلام -رحمه الله-: « ... فإذا خلت الأعمال عن الإخلاص لم يزدد العاملون إلاَّ ظلمة في القلوب لأنهم عاصون بترك الإخلاص، وإبطال ما أفسده الرياء والتصنع من الأعمال »[٣].

مصداقه قول الله تعالى :﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[٤].

وقال صلى الله عليه وسلم: (إنَّ العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة، فإذا نزع واستغفر وتاب سقل قلبه، وإن عاد زيد فيها، حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[٥])[٦].

---

(١) حلية الأولياء، ٢٧١/٧.

(٢) إعلام الموقعين، ١٦٨/٢.

(٣) قواعد الأحكام، ١٧/١-١٨.

(٤) (البقرة ٠٨١)

(٥) (المطففين ٠١٤)

(٦) أخرجه الترمذي، كتاب التفسير، باب من سورة ويل للمطففين، ١٧٨/٩، برقم [٣٥٥٤]، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، ٤٨٨/٤، برقم [٤٢٤٤]، وأخرجه أحمد في مسنده ٧١/٨-٧٢، برقم =

ولا شك أن أشد السيئات الشرك، ولذا فإنَّ أشد الظلمة ظلمة الشرك، ثم الكبائر، فإنها تحيط بالقلب وتجعله مظلمًا فكيف بفاقد الإخلاص.

٣- يفضح الله المرائي لعدم إخلاصه:

قال صلى الله عليه وسلم: (من سمَّع سمَّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به)[١].

قال النووي -رحمه الله-: « قال العلماء: معناه: من رايا بعمله وسمَّعه الناس ليكرموه، ويعظموه ويعتقدوا خيره سمع الله به يوم القيامة الناس، وفضحه ...»[٢].

وهل الافتضاح في الآخرة ؟

قال ابن حجر -رحمه الله-: « ... قلت: قد ورد في عدَّة أحاديث التصريح بوقوع ذلك في الآخرة ... »[٣].

٤- فاقد الإخلاص مُبغَضٌ من الله، ويوضع له البغض في الأرض:

قال صلى الله عليه وسلم: (... وإذا أبغض الله عبدًا دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلانًا فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثمَّ ينادي أهل السماء: إنَّ الله يبغض فلانًا فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض)[٤].

ولمحبة الله أسباب تجلبها، كما أنَّ لبغضه أسباب تجلبه من المعاصي والآثام، وفقد الإخلاص من جملة المعاصي التي تجلب البغض من الله نسأل الله العافية والسلامة.

=

[٧٩٣٩]، وصحح إسناده أحمد شاكر ينظر: المسند، ٨/٧١-٧٢.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب الرياء والسمعة، ١١/٤٠٨، برقم [٦٤٩٩]، وأخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، ٩/٣٤٢، برقم [٢٩٨٦].

(٢) شرح صحيح مسلم، ٩/٣٤٣، وينظر: فتح الباري، لابن حجر، ١١/٤٠٩.

(٣) فتح الباري، ١١/٤٠٩.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحبَّ الله عبدًا حببه إلى عباده، ٨/٤٣٣، برقم [٢٦٣٧].

٥- يفقد الأمن يوم القيامة:

فمن الثمار التي تعود من تحقيق الإخلاص، الأمن يوم القيامة وسبق بيانه وعكس ذلك فقد الإخلاص فإنه سبب لعدم الأمن يوم القيامة(١).

٦- فاقد الإخلاص واقع في ناقض له:

وأعظم نواقض الإخلاص هي الشرك برب العالمين، وقد يكون في الشرك الأصغر، أو في الذنوب التي تنقص من كمال الإخلاص ولا تنفيه -وسيأتي بحث النواقض وأثرها على الإخلاص في الباب الثاني بحول الله وقوته- أما محقق الإخلاص فإنه ينفي عن نفسه الشرك وأسبابه(٢).

قال ابن القيم -رحمه الله-: «...فأصحاب العشق الشيطاني لهم من تولي الشيطان والإشراك به قدر ذلك لما فيهم من الإشراك بالله ولما فاتهم من الإخلاص له...»(٣).

٧- فاقد الإخلاص ليس من الناجين في يوم القيامة إن كان واقعًا في الشرك وتحت المشيئة في غيره من الذنوب وكل ذلك حسب الناقض الذي وقع فيه(٤).

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « ... وقد قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(٥) فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم، عبادة الله وحده، وهي حقيقة قول القائل: لا إله إلا الله، ولهذا بعث الله جميع الرسل، وأنزل جميع الكتب ولا تصلح النفس وتزكو وتكمل إلاَّ بهذا كما قال تعالى : ﴿ وَوَيْلٌ

---

(١) ينظر: ثمار الإخلاص فقرة رقم [٣].

(٢) ينظر: ثمار الإخلاص ثمرة رقم [٣].

(٣) إغاثة اللهفان، ٥٢٢/٢.

(٤) ينظر: ثمار الإخلاص ثمرة رقم [٣].

(٥) (الذاريات ٥٦).

لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[1] أي: لا يؤتون ما تزكو به نفوسهم من التوحيد والإيمان، وكل من لم يحصِّل الإخلاص لم يكن من أهل النجاة والسعادة كما قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[2] في موضعين من كتابه ... »[3].

٨- تسليط الشيطان:

وقال ابن أبي العز -رحمه الله-: « ... وأمَّا إذا صادفه فارغًا من ذلك، تمكن منه بحسب فراغه فيكون جعله مذنبًا مسيئًا في هذه الحال عقوبة له على عدم هذا الإخلاص، وهي محض العدل ... »[4].

مصداق ذلك قوله سبحانه وتعالى حاكيًا عن إبليس: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[5].

٩- يُصغّر العمل العظيم بفقد الإخلاص:

قال ابن القيم -رحمه الله-: ((رياء المرائين صير مسجد الضرار مزبلة وخربة ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾[6] وإخلاص المخلصين رفع قدر التفث[7]))[1].

---

(١) (فصلت ٠٠٦-٠٠٧)

(٢) (النساء ٠٤٨و١١٦)

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، ٢٩/٦-٣٠، تحقيق/ د. علي بن حسن وآخرون، دار العاصمة، الرياض، الثانية، ١٤١٩هـ.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، ٦٤٦/٢ ، وينظر الروح، لابن القيم، ٥٠٨-٥٠٩، تحقيق/ يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق، الرابعة، ١٤٢٠هـ.

(٥) (ص ٠٨٢-٠٨٣)

(٦) (التوبة ١٠٨)

(٧) هو قص الأظافر، وأخذ الشارب، وشم الطيب، وكل ما يحرم على المُحْرِم إلاّ النكاح، ينظر معجم =

١٠- فقد الإخلاص سبب مانعٌ من الاتباع:

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « . . . ولما كان الذي يمنع الإنسان من اتباع الرسول شيئان إمَّا الجهل، وإمَّا فساد القصد . . . فهذان الأمران هما المانعان للخلق من اتباع هذا الرسول . . . »[٢].

١١- لا يجد حلاوة ذكر الله لانشغاله بالدنيا:

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « . . . ولذلك قال بعض الحكماء المتقدمين من أهل الشام أظنه سليمان الخواص[٣] -رحمه الله-: الذكر للقلب بمنزلة الغذاء للجسد فكما لا يجد الجسد لذة الطعام مع السقم فكذلك القلب لا يجد حلاوة الذكر مع حب الدنيا أو كما قال...»[٤].

١٢- فقد الإخلاص دليل عدم إرادة الخير من الله لعبده:

قال ابن القيم -رحمه الله-: « . . . فهو سبحانه إذا لم يرد الخير بعبده، خلى بينه وبين نفسه وطبعه وهواه، وذلك يقتضي أثرها من الغفلة، والنسيان وعدم الإخلاص، واتباع الهوى، وهذه الأسباب تقتضي آثارها من الآلام، وفوات الخيرات واللذات كاقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها وآثارها »[٥].

١٣- بفقد الإخلاص يحصل تفرق الأمة:

=

المقاييس في اللغة، لابن فارس، ١٧٢.

(١) بدائع الفوائد، ٧٥٨/٣، وسبق الكلام في ثمار الإخلاص عن هذه الفقرة ينظر:ثمرة رقم [٨].

(٢) مجموع الفتاوى، ٩٣/١٥.

(٣) سليمان الخواص: من كبار العباد بالشام، قال عنه الأوزاعي رحمه الله: «لو كان في السلف لكان علامة». ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٧٨/٨.

(٤) الفتاوى الكبرى، ٣٣٣/١.

(٥) مدارج السالكين، ٢٣٩/٢.

وسبق بيان ذلك في ثمار الإخلاص[١].

١٤- يصبح العمل الذي ظاهره الإخلاص سيئة لفقده الإخلاص:

قال الشوكاني -رحمه الله- في قوله تعالى﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾[٢]، قال: « أي: ظهر لهم من عقوبات الله وسخطه وشدَّة عذابه ما لم يكن في حسابهم وفي هذا وعيدٌ وتهديد بالغ، وقال مجاهد: عملوا أعمالاً توهموا أنها حسنات فإذا هي سيئات، وكذا قال السدي، وقال سفيان الثوري: ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء، هذه آيتهم وقصتهم ...»[٣].

١٥- لا يقبل العمل ولا يثاب صاحبه إن فقد الإخلاص فيه:

قال ابن حبان -رحمه الله- في صحيحه: «ذكر الإخبار بأنَّ من لم يخلص عمله لمعبوده في الدنيا لم يثب عليه في العقبى»[٤].

ثمَّ ساق الأخبار في هذا المعنى، وسبق بيان حكم الإخلاص وأنّه شرط صحة للعمل.

وسيأتي بيان أثر كل ناقض على الإخلاص في مواضعها من الباب الثاني بحول الله وقوته.

١٦- لا يعد من الفرقة الناجية:

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-: « . . . والنقص في جانب التوحيد ربما يخرجه عن الفرقة الناجية مثل: الإخلال بالإخلاص »[٥].

---

(١) ينظر: في مبحث ثمار الإخلاص ثمرة رقم [٣٣].

(٢) (الزمر ٤٧).

(٣) فتح القدير، ٤/٤٦٨.

(٤) صحيح ابن حبان، ٢/١٢٠.

(٥) فتاوى مهمة لعموم الأمة، جمع إبراهيم الفارس، ١٨، دار العاصمة، الرياض، الأولى، ١٤١٣هـ.

١٧- فاقد الإخلاص إن غزا لغير الله لا يرجع بالكفاف:

قال صلى الله عليه وسلم: (الغزو غزوان: فأمّا من ابتغى وجه الله، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد، فإنّ نومه ونبهه أجرٌ كله، وأمّا من غزا فخرًا ورياءً وسمعة، وعصى الإمام، وأفسد في الأرض، فإنّه لن يرجع بالكفاف)(١).

١٨- فاقد الإخلاص متعلق بالدنيا:

ولذا فإنّ الله يجعل فقره بين عينيه، ويفرق عليه شمله:

قال صلى الله عليه وسلم: (... ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلاّ ما قدر له)(٢).

١٩- الوقوع في النفاق:

قال ابن كثير -رحمه الله-: « . . . فمتى فقد الإخلاص كان منافقًا، وهم الذين يراءون الناس، ومن فقد المتابعة كان ضالاً جاهلاً، ومن جمعهما كان عمل المؤمنين . . . »(٣).

وسبق الكلام في ثمار الإخلاص أنه ينفي النفاق(٤).

٢٠- الوقوع في الذنوب:

قال ابن القيم -رحمه الله-: « . . . إذا غفل قلبه عن ربه ووليه، ونقص إخلاصه: استحق أن يضرب بهذه العقوبة لأنّ قلوب الغافلين معدن الذنوب والعقوبات واردة

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب فيمن يغزو ويلتمس الدنيا، ٧/١٣٧-١٣٨، برقم [٢٥١٢]، وله شاهد عند النسائي في السنن الكبرى، ٥/٢٢٣، برقم [٨٧٣٠]، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ، ٢/١١٦، برقم [١٣٣٣].

(٢) سبق تخريجه في طرق تحصيل الإخلاص العملية فقرة رقم [٧].

(٣) تفسير ابن كثير، ١/٦١٦.

(٤) ينظر في ثمار الإخلاص ثمره رقم [٤].

عليها من كل جهة وإلاَّ فمع كمال الإخلاص والذكر والإقبال على الله سبحانه وتعالى ذكره يستحيل صدور الذنب كما قال تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾[1]»[2].

ولا غرابة أن يقع في الذنوب وذلك لأنَّ الشيطان يتسلط عليه وسبق بيانه.

٢١- فاقد الإخلاص يستحق اسم الفسق، لوقوعه في المعاصي ولفقده الإخلاص:

قال ابن حزم -رحمه الله-: « . . . فمن صلى بنية رياء ففاسق عاص . . . »[3].

٢٢- القلق والاضطراب النفسي:

وسبق الكلام في ثمار الإخلاص على ذلك [4].

---

(١) (يوسف ٢٤).

(٢) مدارج السالكين، ٢/٢٣٩.

(٣) الإحكام، لابن حزم، ٥/١٤٥، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت،الأولى، ١٤٠٠هـ.

(٤) ينظر في ثمار الإخلاص ثمرة رقم [٥٣].

الفصل الثالث

تصورات خاطئة عن الإخلاص

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول : تصورات خاطئة عن حقيقة الإخلاص.

المبحث الثاني : ما يتوهم أنه إخلاص وليس بإخلاص.

المبحث الثالث : ما يتوهم أنه ليس بإخلاص وهو إخلاص.

المبحث الرابع : ترك العبادة لتحقيق الإخلاص.

المبحث الخامس : ترك العمل وطلب الرزق؛ لنبذ الدنيا وتحقيق الإخلاص.

المبحث الأول

تصورات خاطئة عن حقيقة الإخلاص

وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول: اعتقاد أنَّ صرف العبادة لغير الله دون أن يكون المتعبد معتقداً أن المعبود مستحق لهذه العبادة من دون الله لا ينقض الإخلاص ولا يضلده.

المطلب الثاني: إخلاص المفضول ليس بأفضل من رياء الفاضل.

المطلب الثالث: اعتقاد أنّ المخلص يرى ربه في الدنيا ويعانقه في الدنيا والآخرة ويزوره.

المطلب الرابع: لا يمكن تحقيق الإخلاص.

المطلب الخامس: اعتقاد أنَّ من اعتقد أنَّه فاعل لفعله فقد ناقض إخلاصه.

المطلب السادس: التصور أنّ تحقيق الإخلاص يُنفر الناس من المخلص.

المطلب السابع: الاعتقاد أنّ من تعبد لله طلباً لثوابه وهرباً من عقابه أن هذا القصد يقدح في إخلاصه .

المطلب الثامن: إذا طبع الله على قلب عبد لم يكن مخلصاً أبداً.

المطلب التاسع: اعتقاد أنَّ الإخلاص لا يتحقق إلاّ إذا تجرد الإنسان عن إرادته.

المطلب العاشر: اعتقاد أنَّ التصوف يحقق للإنسان تجرده عن ميوله ونزعاته الفطرية التي تناقض الإخلاص .

المطلب الحادي عشر: المعاصي لا تؤثر على إخلاص المرء.

المطلب الثاني عشر: الكبائر تنقض الإخلاص كلية.

المبحث الأول

تصورات خاطئة عن حقيقة الإخلاص

لما أشرقت شمس الرسالة ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وانتشرت الفتوحات الإسلامية حتى أطبقت المعمورة، واختلطت الثقافات مع بعضها حاول بعض الداخلين في الإسلام مزج مخلفاتهم الثقافية مع الإسلام الصحيح، وكان منها ما لا يتفق وروح الإسلام، فنتجت مفاهيم وتصورات جديدة لم يكن المسلمون يعرفونها من قبل، فشوهت بعض المفاهيم الصحيحة للعقيدة الإسلامية، وتنوع التشويه تبعاً لتنوع الثقافات، وهذا التشويه منه ما هو عن عمد ومنه ما كان عن جهل، وأصاب المفهوم الصحيح للإخلاص بعض سهام التشويه التي لا توافق العقيدة السلفية الصحيحة القائمة على النصوص الشرعية، وعُقد هذا المبحث لألقاء الضوء على البعض من هذه الانحرافات لكشف زيفها وبيان زللها لعل في هذا الكشف دعوة لتصحيح المسار والرجوع لنصوص الشرع حتى يسلم دين المرء، وينجو من البدع والمحدثات الدخيلة، وسيكون هذا البيان في عدَّة مطالب تبعاً لتنوع تلك المفاهيم الخاطئة بحول الله.

المطلب الأول

اعتقاد أنَّ صرف العبادة لغير الله دون أن يكون المتعبد معتقداً أن المعبود مستحق لهذه العبادة من دون الله لا ينقض الإخلاص ولا يضلده

وهذا واحدٌ من التصورات المنحرفة وسببه الرئيسي الفهم الخاطئ لحقيقة الشـــرك عند بعض المتكلمين والمتصوفة[١] حيث إنَّ الشرك في مفهومهم: أمرٌ اعتقاديٌّ بحت.

وقالوا إنَّ الشرك الاعتقادي هو الذي ينقض إخلاص المرء وتوحيده وعرفوا الشـرك أنه:

اعتقاد التأثير لغير الله، أو اعتقاد الألوهية واستحقاق العبادة لغير الله، أمَّا مجرد النداء لغير الله من غير اعتقاد لشيء من ذلك فلا ضرر فيه، ولا يعد ناقضاً لإخـــلاص المـــرء وتوحيده[٢].

وقد نتج عن هذا التصور الخاطئ للشرك انحرافات عديدة لعل من أهمها:

١- انحصار الشرك في كل ما أدى إلى الشرك في وحدانيـــة الله في ذاتـــه، وصفاتـــه، وأفعاله، أو اعتقاد استحقاق المعبود للعبادة من دون الله؛ وعليه: فلا يسمى التقـرب

---

(١) اختلف في مرجع هذه الكلمة على عدَّة أقوال، منها:
هل هي كلمة ((سوفيا)) اليونانية؟ والتي تعني الحكمة، أم هي نسبة لأهل الصفة من الصحابة رضوان الله عليهم؟ أم مشتقة من الصفاء بمعنى صفاء القلوب؟ وقد تطورت الصوفية في مراحل حتى وصـــل الحـال ببعضهم أن يشرك برب العالمين، ينظر: تلبيس إبليس، لابن الجوزي ، ١٨٦ –١٨٨ ،وينظر معجم ألفاظ العقيدة، لعامر الفالح، ٢٤٨، مكتبة العبيكان الرياض، الأولى، ١٤١٧هـ.

(٢) ينظر شفاء السقام، للسبكي ، ١٧٥، ، طبعة إيشيق، اسطنبول تركيا، وينظر الدرر السنية في الرد علـى الوهابية، لأحمد زيني دحلان ، ٣٥، طبعة إيشيق، اسطنبول، تركيا، وينظر شواهد الحـق في الاسـتغاثة بسيد الخلق، ليوسف النبهاني ، ١٥٠ ، طبعة إيشيق، اسطنبول، تركيـــا، وينظـر مفـاهيم يجـب أن تصحح،لمحمد علوي المالكي،٢١-٢٥، ٩٥، دار الإنسان للتأليف والترجمة والنشر، الأولى، ١٤٠٥هـ.

إلى غير الله بالعبادة شركاً إلا أن تضمن اعتقاد استحقاق المعبود للعبادة من دون الله.

٢- كما نتج عن قولهم: قلب وتغيير للحقائق الشرعية ومن تلك الحقائق: جعلهم الشرك بالله ديناً،وإخلاص الدين له وابتغاء الأجر منه من فعل أهل الكفر والإلحاد.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- حاكياً حال هؤلاء:

« ... حتى نبغ نابغة من أهل الجهل والضلال المبتدعين فعكسوا الأمر كما عكسه من أشبهوه من النصارى، فجعلوا معصيته طاعته، ومخالفته اتباعاً وتكريماً، وجعلوا كل ما يعلو به درجته خفضاً ونقصاً، وجعلوا الشرك بالله ديناً وقربة، وجعلوا إخلاص الدين لله وابتغاء الأجر والثواب منه والرغبة إليه دون غيره من فعل أهل الكفر الملحدين.... »[1]

وإجمال الرد عليهم فيما يلي:

١- إنَّ دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام لم تأت لتقرير توحيد الربوبية الذي علق في الأذهان واستقر في الفطر، وشهد الله سبحانه وتعالى للمشركين إقرارهم بتوحيد الربوبية، كما قال سبحانه وتعالى:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[2] -وهناك من شذّ عن هذه القاعدة لكنهم قلة – وإنما كانت دعوة الرسل لصرف العبادة لله وحده سبحانه وتحقيق توحيد الألوهية الذي قد ضلّ فهمهم فيه، والقرآن جاء ملزماً للمشركين بإقرارهم بتوحيد الربوبية على أنَّ الله هو المستحق للعبادة والألوهية وحده سبحانه وتعالى كما أنه هو الخالق الرازق المالك المدبر، فمن كان الخالق كان مستحقاً للعبادة وحده دون سواه، والآيات في هذا المعنى كثيرة كما قال تعالى: ﴿ قُل

---

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة، ٢٥٠/١.

(٢) (العنكبوت ٠٦١)

لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[١].

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: « ... فهذا يقتضي أنّ اعترافهم بأنّ الله هو الخالق يوجب انتهاءهم عن عبادتها، وأنّ عبادتها من القبائح المذمومة لكنّ هؤلاء يظنون أنّ الشرك هو اعتقاد أنّ ثمّ خالق آخر وهذا باطل بل الشرك عبادة غير الله، وإن اعترف المشرك بأنه مخلوق » [٢]

ومن خالف النصوص وصرف العبادة لغير الله، وزعم أنّ ذلك ليس بشرك فقد وافق المشركين في حالهم، وكان معرضاً عن حقيقة الإسلام التي جاء بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام وأعظمها التوحيد لله وإخلاص العبادة له والتي هي الفيصل بين الشرك والإسلام، قال ابن عبد الهادي[٣] -رحمه الله-: « وإذا تأملت القرآن وجدت غالبه التوحيد »[٤].

٢- ومما يبطل دعواهم عدم إقامتهم فارقاً صحيحاً بين الشرك في الإرادة والقصد

---

(١) (المؤمنون ٨٤-٠٨٧).

(٢) مجموع الفتاوى، ٦٨٢/١١، وينظر الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، لسعود عبد العزيز العريفي، ٣٩٠-٤٤٩،دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الأولى، ١٤١٩هـ.

(٣) هو: يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الهادي الصالحي، جمال الدين، أبو المحاسن ابن المبرد (٨٤٠-٩٠٩هـ) علامة متفنن من فقهاء الحنابلة، من أهل الصالحية بدمشق له مصنفات كثير منها: مغني ذوي الأفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام، والتمهيد في الكلام على التوحيد، وكشف الغطا عن محض الخطأ، وغيرها.

ينظر: النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد، للكمال الغزي، ٦٨، تحقيق محمد مطيع حافظ وآخر، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ، والأعلام، للزركلي، ٢٢٥/٨-٢٢٦.

(٤) التمهيد في الكلام على التوحيد، ليوسف بن حسن بن عبد الهادي ، ١٠٤، تحقيق/ د. محمد السمهري، دار بلنسية، الرياض، الأولى، ١٤١٧هـ.

والشرك في الاعتقاد، مما يدل على أنهما سواء ولا فرق بين الشركين، إنما هي الأهواء ومخالفة رسم الأنبياء [١].

والله سبحانه وتعالى ما خلق الخلق إلا لعبادته وحده كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[٢] فهل من صرف عبادة لغير الله -سواء كان معتقداً استحقاق معبوده من دون الله أم لم يعتقد ذلك- يعد ممتثلاً لأمر الله في صرف العبادة له وحده سبحانه؟! وهل يكون مستجيباً لدعوة الرسل؟!.

ومن الآيات المبطلة لدعواهم قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾[٣].

وقال تعالى:﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[٤].

وما كانت عبادة المشركين إلا بصرف العبادة لمعبوداتهم، وكانوا مقرين بأن الله هو الخالق المدبر، ومع ذلك كله لم يقبل منهم الله سبحانه ذلك وسماهم المشركين وأرسل لهم الرسل وأنزل عليهم الكتب ليقيم الحجة ويزيل الشبهة، فمن استجاب كان مسلماً وإلا كان مشركاً.

٣- ومما يبطل دعوتهم ويقمع شبهتهم، أنّ لفظ الشرك يشعر -لمن تأمل بعين إنصاف- أنّ المشرك مقرٌ بالله تعالى؛ فكلمة الشرك فيها إشراك بين اثنين ولو كان هذا الإشراك غير صحيح.

---

(١) ينظر ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، د/ عبد الله محمد القرني، ١٣٦، الرسالة، الأولى، ١٤١٣هـ.

(٢) (الذاريات ٥٦).

(٣) (المائدة ٧٦).

(٤) (النحل ٧٣).

والسؤال هنا إشراك من بمن؟

والجواب أنّ المشركين كانوا يشركون مع الله غيره من معبوداتهم التي يعبدونها، مما يدلك على أنهم مقرون بخالق -كما سبق بيانه في الآيات السابقة- ومع ذلك سماهم الله مشركين ولماذا؟ لأنهم صرفوا العبادة لغيره فلم ينفعهم هذا الإقرار.

قال الصنعاني -رحمه الله -: « ولفظ الشريك يشعر بالإقرار بالله تعالى »[١]

وهذه من أبرز وجوه إبطال دعوتهم، وهي كافية لمن فتح قلبه قبل عينيه للحق[٢] .

---

(١) تطهير الاعتقاد عن إدراك الإلحاد، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، ٣٥، مكتبة دار الكتاب الإسلامي، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ.

(٢) للإستزادة في مناقشة شبهاتهم ينظر في: كشف الشبهات،للشيخ محمد بن عبد الوهاب مع التعليقات للشيخ العثيمين رحمهما الله، ١٥-٢٤، دار المعالي، بيروت، لبنان، الأولى، ١٤١٦هـ، وينظر الرد على شبهات المستغيثين بغير الله، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، ٥٣٧- ٥٣٨، ضمن مجموعة بعنوان ((الجامع الفريد)) طبع على نفقه الشيخ محمد النعمان رحمه الله، وكلا الكتابين عقدا للرد على القبوريين وكشف شبهاتهم ومنها -بل أهمها- هذه الشبهة.

المطلب الثاني

إخلاص المفضول ليس بأفضل من رياء الفاضل

وهذا من التصورات الخاطئة لحقيقة الإخلاص، يقول رويم -رحمه الله -: «رياء العارفين[١] أفضل من إخلاص المريدين[٢]»[٣].

وهذا التصور منشأه من انحرافين:

١- الخطأ في مفهوم الشرك كما سبق في المطلب الأول.

٢- تقديس الأشخاص وإنزالهم منزلة لا تليق بهم مع كونهم مخالفين لشرع الله.

يقول ابن القيم -رحمه الله- في بيان هذا المفهوم الضال: « وقال بعضهم: رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين، وهذا كلام ظاهره منكر جدا يحتاج إلى شرح، فالعارف لا يرائي المخلوق طلبا للمنزلة في قلبه، وإنما يكون رياؤه نصيحةً وإرشاداً، وتعليماً، ليقتدى به.

فهو يدعو إلى الله بعمله كما يدعو إليه بقوله، فهو ينتفع بعلمه وينفع به غيره، وإخلاص المريد مقصور على نفسه، فالعارف جمع بين الإخلاص والدعوة إلى الله، فإخلاصه في قلبه، وهو يظهر عمله وحاله ليقتدى به، والعارف ينفع بسكوته، والعالم إنما ينفع بكلامه، ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق »[٤].

---

(١) العارف: قيل فيه هو المستغرق في معرفة الله ومحبته، ينظر: الكليات، لأبي البقاء، ٤٩٠، وقيل في الفرق بين العارف والمؤمن: أن المؤمن ينظر بنور الله والعارف ينظر بالله عز وجل، وللمؤمن قلب وليس للعارف قلب وقلب المؤمن يطمئن بذكر الله والعارف لا يطمئن بسواه، ينظر معجم المصطلحات الصوفية، د/ عبد المنعم حفني،١٨١، دار المسيرة، بيروت، الأولى، ١٤٠٧هـ.

(٢) المريد قيل فيه: المجرد عن الإرادة، وينبغي له أن يتجه بكامل إرادته لله ويهجر حظوظ نفسه وشهواتها، ينظر التعريفات، للجرجاني، ٢٦٩، وينظر معجم المصطلحات الصوفية، د/ عبد المنعم حفني، ٢٤٢.

(٣) ينظر تاريخ بغداد،للخطيب البغدادي، ٨/ ٤٣٠، وينظر الرسالة القشيرية، ٢٠٩.

(٤) مدارج السالكين ، ٣/ ٣٧٥.

وأنت ترى أنّ ظاهر الكلام: هو المنكر، واستخدام الكلام المحتمل للحق والباطل قد يغتر به أهل الباطل ويجعلونه مسلكهم وحجتهم، فكيف بالكلام الذي لا يعلوه إلا باطل كهذه المقولة.

والمقصود بيان هذا التصور الباطل وأنه مخالف لدلالة النصوص الشرعية كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ ﴾[3].

ولا شك أنّ حكمة الله وعدله تأبى هذا المفهوم السقيم والتصور الخاطئ الذي أبطله ربنا في كتابه كما سبق، فهل يكون المسلم كالمجرم؟! وهل يكون التقي كالفاجر؟! وهل يكون المحسن كالمسيء ؟!.

---

(١) (القلم ٠٣٥)

(٢) (ص ٠٢٨)

(٣) (السجدة ٠١٨)

المطلب الثالث

اعتقاد أنّ المخلص يرى ربه في الدنيا ويعانقه في الدنيا والآخرة ويزوره

قال الشهرستاني -رحمه الله-: « وأما مشبهة الحشوية، فحكى الأشعري عن محمد بن عيسى أنه حكى عن: مضر، وكهمس، وأحمد الهجيمي، أنهم أجازوا على ربهم، الملامسة والمصافحة، وأن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض »[1].

وهذه العقيدة لا يشك مسلم في كفر المعتقدين لها، فقد تضمنت أنواعاً من الكفر فمن ذلك:

١- تشبيه الخالق بالمخلوق:

حيث أجازوا عليه ما يجوز على المخلوق من المصافحة والملامسة والمعانقة في الدنيا والآخرة.

٢- رؤية الله في الدنيا:

قال البربهاري -رحمه الله-: « ومن زعم أنه يرى ربه في دار الدنيا، فهو كافر[2] بالله عز وجل »[3].

وذهب جمهور المسلمين إلى أنّ الله لا يراه أحد بعينه في دار الدنيا حتى موسى عليه السلام، ووقع الخلاف في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء والمعراج،

---

(١) الملل والنحل، للشهرستاني، ١/ ١٢٠، وينظر مقالات الإسلاميين ٢١٤، وينظر كتاب المواقف، لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، ٣/ ٢٩، تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، الأولى، ١٩٩٧م، وينظر تلبيس الجهمية، لشيخ الإسلام،١/ ٤٠٢، تحقيق محمد عبد الرحمن القاسم، دار القاسم، الثانية، ١٤٢١هـ.

(٢) من زعم أنه رأى ربه في الدنيا فقد زعم : أنه أعظم من موسى، ودعواه أعظم من دعوى من ادعى أن الله أنزل عليه كتابا ؛ لذا كان زعمه كفرا، ينظر : مجموع الفتاوى، ٢/٣٣٦و٦/٥١٢ .

(٣) شرح السنة، ٧٦.

ومن أدلتهم على عدم الرؤية في دار الدنيا:

١- قال تعالى:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[(١)].

٢- وقال تعالى مخبراً عن موسى عليه الصلاة والسلام:﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ ﴾[(٢)].

وفي هذا المقدار من الأدلة كفاية بحول الله وقوته [(٣)].

٣- معانقة الله في الدنيا والآخرة:

وهذا أشد من قولهم برؤية الله في الدنيا، لأنهم زادوا هنا على الرؤية الملامسة والمعانقة لله سبحانه ما أعظمه بهتان!

٤- الاتحاد:

ويقصد به أنَّ وجود الله هو عين وجود الكائنات[(٤)] .

وهذه مقالة كفرية أيضاً، قال فيها شيخ الإسلام -رحمه الله-: «من المشائخ الذين قالوا بتكفير الاتحادية: هم سعيد بن المسيب، والحسن البصري، وعمر بن عبد العزيز، ومالك بن أنس، والأوزاعي، وإبراهيم ابن أدهم، وسفيان الثوري، والفضيل بن عياض، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم»[(٥)]

فانظر إلى سوء هذه المقالة كم جمعت من أنواع الكفر والضلال، والمسلم يكفيه بيان قولتهم ليعرف مدى كفرهم.

---

(١) (الأنعام ١٠٣)

(٢) (الأعراف ١٤٣)

(٣) ينظر للزيادة: الشريعة، للآجري، ٢/ ١٠٤٧ -١٠٥٠، تحقيق د/ عبد الله الدميجي، دار الوطن، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ، وينظر رؤية الله، لأحمد ناصر الحمد، ١٣٠ -١٣٧، جامعة أم القرى، الأولى، ١٤١١هـ.

(٤) ينظر مجموعة الرسائل والمسائل، لشيخ الإسلام، ٢/ ٢٩، وينظر معجم ألفاظ العقيدة، لعامر الفالح، ١٨.

(٥) مجموعة الرسائل والمسائل، ١/ ١٨٦.

المطلب الرابع

لا يمكن تحقيق الإخلاص

ورد عن السلف الصالح رضوان الله عليهم اهتمامهم بالإخلاص وتحصيله، وحرصهم على تحقيقه وتكميله، وعبر بعضهم عن صعوبته؛ لأنّ النية دائمة التقلب لا تستقيم على حال فهي دائمة بحاجة للمجاهدة.

قال سفيان الثوري -رحمه الله-: « ما عالجت شيئاً أشد عليَّ من نيتي لأنّها تتغلب عليَّ»[١].

وقال سهل بن عبد الله -رحمه الله - لما سئل عن أيِّ شيء أشد على النفس؟ قال: «الإخلاص لأنه [ليس] لها فيه نصيب»[٢].

والسلف جاهدوا أنفسهم لتحقيق الإخلاص، مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[٣].

وهذا وعدٌ من الله لمن جاهد نفسه في ابتغاء مرضاته أنّ الله سيوفقه لها.

وكان كلامهم السابق هو من باب حفز المسلمين حتى يحرصوا على تحقيق الإخلاص ولا يأخذهم العجب بعملهم فيهلكون، ولم يكن مقصودهم أنّ الإخلاص عسير حتى أنه لا يمكن تحقيقه وهناك من ورد عنهم القول بهذا التصور، بل أدى هذا الفهم الخاطئ عند البعض أن انصرفوا عن العبادة لهذه الدعوى !! ومن تلك الأقوال التي وردت بهذا المفهوم ما يلي:

---

(١) الإخلاص والنية، لابن أبي الدنيا، ٧٣، برقم (٦٥) من الاستدراكات عليه من جامع العلوم والحكم.

(٢) صفة الصفوة،لابن الجوزي،٤/ ٦٥، وما بين المعكوفتين وردت في طبعة أخرى للكتاب تقدم بيانها ونقل القول هناك .

(٣) (العنكبوت ٦٩).

قال عبد الله بن محمد التميمي[(١)]: « ثلاثة مفقودة، وثلاثة موجودة: العلم موجود والعمل بالعلم مفقود، والعمل موجود والإخلاص فيه مفقود، والحب موجود والصدق فيه مفقود»[(٢)].

ويقول آخر: « ... وما خلص من أفعالك إن خلص! ولن يخلص أبداً! إذا رأيت صفتك فإنّ أوصافك معلولة مثلك »[(٣)].

نعم إذا رأى فضله في العمل وكان معجبا به قد يتأثر إخلاصه، لكن النفي على أنه لا يمكن أن يخلص لأنه سيعجب بعمله، ليس بصحيح، ولو قال لابد أن يسيء العبد الظن بنفسه حتى لايعجب بعمله فيفسده لكان حقاً.

وقال عبدالله بن خبيق الأنطاكي[(٤)] -رحمه الله-: « إخلاص العمل أشد من العمل، والعمل يعجز عنه الرجال »[(٥)].

ولو سمع جاهل هذا القول هل يظنُّ أنّه سيحقق الإخلاص!

وعموماً فالقول بعدم إمكانية تحقيق الإخلاص قولٌ باطلٌ؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى لا يكلف ما لا يمكن تحقيقه؛ لأنَّ هذا لو صدر من بشر لكان سفهاً، فما الظنُّ برب العالمين! تعالى الله عما يقول الظالمون.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[(٦)]، ومن رحمة الله بعبده أن أسقط بعض التكاليف التي يعجز عنها العبد رحمة منه وفضلاً، وفروع هذا في

---

(١) لم أجد له ترجمة، وقد حُكي قوله عن ذي النون المصري حكاه ابن الملقن في طبقات الأولياء ، ٢٢٠.

(٢) شعب الإيمان، ٢/ ٢٩٢، رقم [١٨١٥].

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف،للكلاباذي،١٣٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ.

(٤) هو:عبد الله بن خبيق بن سابق الأنطاكي، أبو محمد، صحب يوسف بن أسباط، وكان من زهاد الصوفية، أصله من الكوفة لكنه انتقل إلى أنطاكية.

ينظر: طبقات الصوفية، للسلمي، ١٤١-١٤٥.

(٥) طبقات الصوفية، للسلمي، ١٤٥.

(٦) (البقرة ٢٨٦)

الشريعة كثيرة، كإسقاط القيام مع عدم القدرة عليه في الصلاة، وإسقاط الصوم عن المريض في رمضان، وغير ذلك مما يبين لك أنّ الله سبحانه وتعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، ولو كان الأمر فيه صعوبة، فالصعوبة نسبية تزول ببذل الأسباب في تحقيقها، وسبق بيان البعض من الطرق لتحصيل الإخلاص بما يكفي، والله أعلم.

المطلب الخامس

اعتقاد أنَّ من اعتقد أنَّه فاعل لفعله فقد ناقض إخلاصه

قال ذو النون -رحمه الله-: « من أنس بالخلق فقد استمكن من بساط الفراعنة، ومن غيب عن ملاحظة نفسه فقد استمكن من الإخلاص، ومن كان حظه في الأشياء « هو » لا يبالي ما فاته مما هو دونه »[١]

وقال أحدهم: « من شهد في إخلاصه الإخلاص احتاج إلى إخلاص، فنقصان مخلص في إخلاصه بقدر رؤية إخلاصه، فإذا سقط عن نفسه رؤية الإخلاص صار مخلصاً مخلصاً»[٢]

فإذا أعجب الإنسان بعمله فلا شك أنه قد عرض إخلاصه لخطر عظيم، ولكن إن اعتقد أنه فاعل لفعله دون عجب فهذا أمرٌ جائز ولا حرج فيه، يقول ابن القيم -رحمه الله-: « ... فإنه إذا خلَّص فعله من الرياء ومن كل شيء يفسده اقترن به آخر لا يمكنه الخلاص منه وهو اعتقاده: أنه هو الفاعل.

والصواب: أنَّ هذا ليس بذنب ولا هو مقدور للعبد ولا مأمور به والكمال في حقه: أن يشهد الأمر كما هو عليه وأنّه فاعل حقيقة كما أضاف الله إليه الفعل في كتابه كله والله هو الذي جعله فاعلاً فإذا شهد نفسه فاعلاً حقيقة، وشهد فاعليته بالله ومن الله لا من نفسه، فلا ذنب في هذا الشهود، ولا زور بحمد الله، وهو نظر بمجموع عينيه إلى السبب والمسبب والشرع والقدر والخلق والأمر وأنه متى شهد نفسه عاصياً مذنبا: كان عاصياً بهذا الشهود؛ لأنَّ الفاعل فيه غيره وهذا مناف للعبودية أشد منافاة، وهو من سير القوم إلى شهود الحقيقة الكونية، واعتقادهم أنه غاية السالكين...»[٣].

---

(١) طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي، ٢٢.

(٢) عوارف المعارف،لعمر بن محمد السهروردي ، ٧١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الثانية، ١٤٠٣هـ.

(٣) مدارج السالكين، ٢/ ٣٢١.

المطلب السادس

تصور أنّ تحقيق الإخلاص يُنفر الناس من المخلص

قال ابن القيم -رحمه الله- في هذا التصور عندما تحدث عن النفس الأمارة بالسوء وسيئاتها على المرء:

«وتريه صورة الإخلاص في صورة ينفر منها، وهي الخروج عن حكم العقل المعيشي والمداراة والمداهنة، التي بها اندراج حال صاحبها ومشيه بين الناس، فمتى أخلص أعماله و لم يعمل لأحدٍ شيئاً تجنبهم وتجنبوه، وأبغضهم وأبغضوه، وعاداهم وعادوه، وسار على جادةٍ وهم على جادة، فينفر من ذلك أشد النفار، وغايته أن يخلص في القدر اليسير من أعماله التي لا تتعلق بهم وسائر أعماله لغير الله»[1]

وقال أيضاً -رحمه الله-: « ... وذلك أنه إذا اعتقد أنّ الدين الكامل لا يحصل إلاّ بفساد دنياه من حصول ضرر لا يحتمله وفوات منفعة لابد له منها، لم يقدم على احتمال هذا الضرر، ولا تفويت تلك المنفعة فسبحان الله! كم صدت هذه الفتنة الكثير من الخلق، بل أكثرهم عن القيام بحقيقة الدين.

وأصلها ناشئ من جهلين كبيرين: جهل بحقيقة الدين، وجهل بحقيقة النعيم الذي هو غاية مطلوب النفوس وكمالها، وبه ابتهاجها والتذاذها... »[2]

والناظر في ثمار الإخلاص يرى من ثماره وآثاره الكثير من المنافع والتي تبطل هذه الشبهة مثل وضع القبول للعبد في الأرض وغير ذلك مما يبين فساد هذا التصور، والله أعلم.

---

(١) الروح، ٥١٤.

(٢) إغاثة اللهفان، ٢/ ٥٤٩.

المطلب السابع

الاعتقاد أنّ من تعبد لله طلباً لثوابه وهرباً من عقابه أن هذا الأمر يقدح في إخلاصه

وهذا معتقد وجد عند بعض المتصوفة، قال ذو النون -رحمه الله- يحكي قصته مع جارية لقيها في جبال أنطاكية، وسألته عدّة أسئلة ومنها:

«... فما السخاء في الدين؟ قلت: المسارعة إلى طاعة المولى، قالت: فإذا سارعت إلى طاعة المولى تحب منه خيراً؟ قلت: نعم للواحد عشرة، قالت: مر بإبطال هذا، هذا في الدين قبيح ولكن المسارعة إلى طاعة المولى أن يطلع إلى قلبك وأنت لا تريد منه شيئا بشيء، ويحك يا ذا النون إني أريد أن أقسم عليه في طلبٍ شهوة منذ عشرين سنة فأستحيي منه مخافة أن أكون كأجير السوء إذا عمل طلب الأجر، ولكن أعمل تعظيما لهيبته وعزِّ جلاله، قال: ثم مرت وتركتني»(١)

وقال رويم -رحمه الله-: «الإخلاص من العمل: هو الذي لا يريد صاحبه عليه عوضاً في الدارين ولا حظاً من الملكين»(٢)

وقيل أيضاً: « والإخلاص: أن يكون العمل لله لا لدنيا ولا لآخرة مع حسن الظن به سبحانه وتعالى ... »(٣)

والقائلون بهذا القول والتصور ليسوا بقلة، لكن يكفي ما سبق لبيان هذا التصور الخاطئ عند أصحابه. (٤)

---

(١) حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني، ٩/ ٣٤٠.

(٢) الرسالة القشيرية، لأبي القاسم القشيري، ٢٠٩.

(٣) البرهان المؤيد، لأحمد علي الحسيني، ٨٥ ، تحقيق/ عبد الغني نكه مي دار الكتاب النفيس، بيروت، الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٤) ينظر فيض القدير، ١/ ٢١٦، وينظر حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح، لأحمد محمد الطحطاوي

والناظر في الأدلة الشرعية من كتاب وسنة وسيرة لسلف الأمة يرى بطلان هذا التصور، فنصوص الشرع جاءت مرغبة في الثواب ومحذرة من العقاب، ومن هذه النصوص ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿ أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾[1].

٢- وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾[2].

٣- وقال عن خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾[3].

٤- وقال عن يحيى وزكريا عليهما الصلاة والسلام: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴾[4].

٥- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾[5].

هذه بعض نصوص القرآن التي جاءت مرغبة في طلب الثواب ومحذرة من هول العقاب، وقد ورد ذكر الجنة والترغيب فيها في القرآن الكريم في قرابة [٦٢٩] نصاً

الحنفي، ١/ ٧١، ، مكتبة الحلبي، مصر، الثالثة، ١٣١٨هـ.

(١) (الإسراء ٥٧).

(٢) (الفرقان ٦٥).

(٣) (الشعراء ٨٥).

(٤) (الأنبياء ٩٠).

(٥) (الكهف ١٠٧-١٠٨)

قرآنياً، والنصوص المحذرة من النار في قرابة [٥٨١] نصاً قرآنياً.[١]

والسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام جاءت بمثل ما جاء به القرآن الكريم ومن تلك النصوص:

١- عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال))[٢].

٢- وعن أنس –رضي الله عنه– قال كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : ((ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار))[٣]

٣- وعن أنس –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة : اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات، قالت النار: اللهم أجِرْه من النار))[٤]

ومن الأحاديث التي جاءت بالترغيب في الجنة، وبالترهيب من النار، وفيها دلالة

---

(١) وحصرت الأعداد عن طريق الحاسب الآلي مستخدماً برنامج الدوالج للنشر المكتبي ((المصحف الشريف)).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، ٩٤/٣، برقم [٥٨٨].

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، ٢٢٨/٨، برقم [٦٣٨٩]، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة...، ٢٠/٩، برقم [٢٦٩٠].

(٤) أخرجه الترمذي، أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أنهار الجنة، ٢٤٣/٧، برقم [٢٦٩١]، وأخرجه أحمد، ١٠٧/١١، برقم [١٣١٠٧]، وصحح الحديث لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٤٦٥/٣، برقم [٣٦٥٤] .

على جواز طلب الجنة، والحذر من النار؛ لأنها لم ترغب في الجنة إلاَّ لطلبها، ولم ترهب من النار إلاَّ للحذر منها مايلي :

١- وقال صلى الله عليه وسلم: (الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك)[١]

٢- وقال صلى الله عليه وسلم: (قال الله عز وجل: أعددت لعباديَ الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر)[٢]

٣- وقال صلى الله عليه وسلم: (إنّ في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها)[٣]

٤- وقال صلى الله عليه وسلم عن غرف الجنة: (إنَّ أهل الجنة ليتراءون الغرف في الجنة، كما تراءون الكوكب في السماء)[٤]

وكل هذه النصوص إنما هي ترغيب في ثواب الجنة ونعيمها، وتحذير من نار جهنم وجحيمها، والنصوص كثيرة جداً في هذا الباب ولعل ما سبق منها يكفي، علماً أن نصوص الجنة في الكتب الستة، ومسند أحمد، وسنن الدارمي، وموطأ مالك بلغت قرابة [٣٣٧٤] نصاً، ونصوص النار بلغت قرابة [٢٧٧٤] نصاً، كلها في الترهيب والترغيب [٥] .

وفي إيراد كلام المحققين من أهل العلم تأكيد لما سبق ومن ذلك:

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك، ١١/٣٩٠، برقم [٦٤٨٨].

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ٩/ ١٨١، برقم [٢٨٢٤].

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، ٩/ ١٨٣، برقم [٢٨٢٧].

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ٩/ ١٨٥، برقم [٢٨٣٠].

(٥) هذه النتائج أظهرها الحاسب الآلي باستخدام برنامج «موسوعة صخر للحديث» الكتب التسعة، وهو برنامج مميز ودقيق، جزى الله العاملين به خيراً.

قال ابن دقيق العيد رحمه الله: « ... وظاهرٌ أنّ هذا قاتل لثواب الجنة والشريعة كلها طافحة بأنّ الأعمال لأجل الجنة أعمالٌ صحيحة غير معلولة، لأنّ الله تعالى ذكر الجنة وما أعدَّ فيها للعاملين ترغيباً للناس في العمل، ومحال أن يرغبهم للعمل للثواب ويكون ذلك معلولا مدخولاً، اللهمّ إلاّ أن يدعي أنّ غير هذا المقام أعلى منه فهذا قد يتسامح فيه [1]...»[2]

وقال شيخ الإسلام –رحمه الله–:

« ... ونظير ذلك ما ذكره عن الشبلي رحمه الله أنه سمع قارئاً يقرأ ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾[3] فصرخ وقال أين من يريد الله فيحمد منه كونه أراد الله، ولكن غلط في ظنه أنّ الذين أرادوا الآخرة ما أرادوا الله، وهذه الآية في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين كانوا معه بأحدٍ وهم أفضل الخلق، فإن لم يريدوا الله أفيريد الله من هو دونهم كالشبلي وأمثاله؟!...»[4]

وقال الشاطبي –رحمه الله–: « ... فإن كان أخروياً فهذا حظٌ قد أثبته الشرع حسبما تقدم، وإذا ثبت شرعاً فطلبه من حيث أثبته صحيح إذ لم يتعد ما حده الشرع، ولا أشرك مع الله في ذلك العمل غيره، ولا قصد مخالفته، إذ قد فهم من الشارع حين رتب على الأعمال جزاء أنه قاصد لوقوع الجزاء على الأعمال، فصار العامل ليقع له الجزاء عاملاً لله وحده على مقتضى العلم الشرعي، وذلك غير قادح في إخلاصه ... فقد ظهر أنّ قصد الحظ الأخروي في العبادة لا ينافي الإخلاص فيها ... »[5]

---

(١) يشير ابن دقيق العيد إلى مراتب الإخلاص التي سبق بيانها .

(٢) شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد، ٤/ ٢٤٧، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) (آل عمران ١٥٢)

(٤) الاستقامة، ٢/ ١٠٦ – ١٠٧.

(٥) الموافقات، ٢/ ٣٥٧– ٣٥٨.

المطلب الثامن

إذا طبع الله على قلب عبد لم يكن مخلصاً أبدا

ونسب هذا التصور أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- إلى البكرية [١] حيث قال: «... وكان يزعم أن الإنسان إذا طبع الله سبحانه وتعالى على قلبه لم يكن مخلصاً أبداً، وحكى عنه زرقان أنَّ الإنسان مأمور بالإخلاص مع الطبع وأنَّ الطبع الحائل بينه وبين الإخلاص عقوبه له، وأنّه مأمور بالإيمان مع الطبع الحائل بينه وبين الإيمان...»[٢]

وهذا التصور ينافي النصوص الشرعية التي أبانت أنَّ الله سبحانه يتوب على عبده إن تاب، كما قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[٣].

و أعظم الذنوب الشرك بالله ومع هذا فالله سبحانه يغفره لمن تاب منه، ويقبل إسلام عبده ويبدل سيئاته حسنات، كما قال سبحانه وتعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ

---

(١) أتباع بكر بن أخت عبد الواحد بن زيد، كان يوافق النظام في بعض ضلالاته، وكان يقول إنَّ مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة عابد للشيطان مكذب لله سبحانه، جاحد له، منافق في الدرك الأسفل من النار، مخلد فيها إن مات مصراً، وغير ذلك من ضلالاته، ينظر مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، ٢٨٦،تحقيق هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثالثة، وينظر الفرق بين الفرق، للبغدادي، ٢١٢ -٢١٣.

(٢) مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، ٢٨٦.

(٣) (الزمر ٥٣.

وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[٢].

والنصوص التي جاءت ترغب في التوبة ،وتبين أنَّ الله يقبلها من كل مذنب كثيرة أوردت بعضها بما يكفي في إبطال هذا التصور.

(١) (الفرقان ٦٨-٠٧٠).

(٢) (هود ١١٤)

المطلب التاسع

اعتقاد أنَّ الإخلاص لا يتحقق إلاّ إذا تجرد الإنسان عن إرادته

عرف الجرجاني[١] المريد بأنه: « المجرد عن الإرادة »[٢].

وقال أيضاً عنه: « قال الشيخ محيى الدين العربي[٣]، قدس سره في الفتح المكي: من انقطع إلى الله عن نظر واستبصار، وتجرد عن إرادته إذا علم أنّه ما يقع في الوجود إلاّ ما يريده الله تعالى لا يريده غيره، فيمحو إرادته في إرادته، فلا يريد إلاّ ما يريده الحق »[٤].

وقال أبو علي الروذباري[٥]: «المريد: الذي لا يريد لنفسه إلاّ ما أراد الله له، والمراد

---

(١) هو: علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني (٧٤٠-٨١٦هـ) فيلسوف من كبار علماء العربية، ولد في تاكو قرب استرباد، ودرس في شيراز، وفر إلى سمرقند لما دخل تيمور شيراز ثم عاد إليها بعد موت تيمور،و توفي بها ، له نحو خمسين مصنف منها: التعريفات، وشراح مواقف الإيجي، وتقسيم العلوم.

ينظر: الضوء اللامع، للسخاوي، ٣٢٨/٥-٣٣٠، دار مكتبة الحياة، بيروت، والأعلام، للزركلي، ٧/٥.

(٢) التعريفات، ٢٦٩.

(٣) هو: محمد بن علي بن محمد بن أحمد، أبو بكر الطائي، الحاتمي، الدمشقي، الصوفي (ت ٦٣٨هـ) كان من الأذكياء، وكان كثير العلم، ثم تزهد وتفرد وتعبد وعمل الخلوات، ومن توالفيه الفصوص قال فيه الذهبي: «من أردإ تواليفه الفصوص فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة» وقيل عنه: أنه قال بقدم العالم، و لم يكن يحرم فرجاً وتوفي في دمشق.

ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٤٨/٢٣-٤٩، والبداية والنهاية، لابن كثير، ١٦٧/١٣، والأعلام، للزركلي، ٢٨١/٦-٢٨٢.

(٤) التعريفات، ٢٧٠.

(٥) هو: أحمد بن محمد بن قاسم بن منصور بن شهريار بن مهرذاذ إز بن فرغدد بن كسرى، (ت ٣٢٢هـ)، وقيل اسمه؛ حسن بن هارون، من أهل بغداد، سكن مصر وصار شيخها ومات بها صحب الجنيد، والنوري وغيرهما كان على علم بالشريعة، وكان ذا زهد رحمه الله.

ينظر طبقات الصوفية، للسلمي، ٣٥٤-٣٦٠، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ٥٣٥/١٤-٥٣٦.

لا يريد من الكونين شيئا عنده »[١].

وسمى المتصوفة التجرد عن الإرادة، وقصد الله وحده بالعبادة والفناء في ذلك بحيث لا يشهدون سواه: « الفناء عن شهود السوي »

وبعض السالكين يرى أنَّ الطريقة الكاملة ألا تكون للعبد إرادةً أصلاً حتى يجمع قلبه ولا تتفرق به السبل.

ولكن هل يمكن للعبد أن يعمل دون إرادة منه؟

لاشك أنّ هذا أمرٌ محال، ويبدو أن شدة عبادهم وإفراطهم فيها أو صلتهم لحالة فقدوا شعورهم فيها، فظنوا أن المتعبد قد يصل لمرحلة يتجرد فيها عن إرادته ، والتبس عليهم حالهم فلم يميزوا بين فقد الشعور وتجريد الإرادة، وقد وصل الحال ببعضهم أنه يصعق ويغشى عليه بل ويموت إذا سمع الذكر.

وهذه الأحوال لم يعرفها سلف الأمة من الصحابة رضوان الله عليهم مع كمال إيمانهم، وشدة خوفهم من الله، ومحبتهم له، وتعظيمهم له سبحانه، بل ورد عنهم إنكارهم لهذه الحال كما قالت أسماء- رضي الله عنها- فيمن يصعق إذ قرئ القرآن: « أعوذ بالله من الشيطان، إنما كانوا كما ذكر الله عزّ وجلّ، تقشعر جلودهم وتلين قلوبهم »[٢]

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: « ... وأمّا النوع الثاني: فهو الفناء عن شهود السوي، وهذا يحصل لكثير من السالكين، فإنهم لفرط إنجذاب قلوبهم إلى ذكر الله، وعبادته، ومحبته، وضعف قلوبهم عن أن تشهد غير ما تعبد، وترى غير ما تقصد لا يخطر بقلوبهم غير الله بل ولا يشعرون، كما قيل في قوله: ﴿ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ

(١) طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي، ٣٥٦.

(٢) ذم الرياء ،للضراب، ٢١٦، برقم[١٤٣]، وينظر من: ٢١٠ – ٢٢٩ من الكتاب نفسه للنظر في الآثار عن الصحابة والتابعين بإنكار هذه الحال.

﴿فَرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾[١].

قالوا: فارغاً من كل شيء إلاّ من ذكر موسى، وهذا كثيرٌ يعرض لمن فقمه[٢] أمر من الأمور، إما حب وإما خوف وإما رجاء، يبقى قلبه منصرفاً عن كل شيء إلا عما قد أحبه أو خافه أو طلبه ... وأكابر الأولياء كأبي بكر وعمر والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لم يقعوا في هذا الفناء، فضلاً عمن فوقهم من الأنبياء وإنما وقع شيء من هذا بعد الصحابة، وكذلك كل ما كان من هذا النمط مما فيه غيبة العقل والتمييز لما يرد على القلب من أحوال الإيمان؛ فإنّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا أكمل وأقوى وأثبت في الأحوال الإيمانية من أن تغيب عقولهم، أو يحصل لهم غشي أو صعق أو سكر أو فناء أو وله أو جنون، وإنما كان مبادئ هذه الأمور في التابعين من عباد البصرة، فإنهم كان فيهم من يغشى عليه إذا سمع القرآن، ومنهم من يموت: كأبي جهير الضرير، وزرارة بن أوفى قاضي البصرة...»[٣]

والطريقة الحق التي جاء بها الشرع: أن تكون للإنسان إرادة لكن موافقة لمراد الله ورسوله وهذه أعلى درجات الإيمان كما قال صلى الله عليه وسلم: (من أعطى لله، ومنع لله، وأحب لله، وأبغض لله، وأنكح لله، فقد استكمل إيمانه)[٤]

فانظر في هذه الأعمال كلها تجد للعبد إرادة فيها ولما صرفها لما أراد الله ورسوله منه كانت من كمال الإيمان.

فهل يقال بعد هذا إنّ من لم يتجرد عن إرادته لم يحقق إخلاصه؟!

لاشك أنَّ هذا تصورٌ خاطئٌ عن حقيقة الإخلاص، كما أنه من الأمور التي لا يمكن تحقيقها، قال الشاطبي رحمه الله تعالى:

---

(١) (القصص ١٠).

(٢) يقال تفاقم الأمر أي عظم، ينظر لسان العرب، لابن منظور، ٢/١١١٩.

(٣) مجموع الفتاوى، ١٠/ ٢١٩ – ٢٢٠.

(٤) سبق تخريج الحديث في تعريف الإخلاص صـ ٢٠.

« ... وعلى أنّ بعض الأئمة قال: إنّ الإنسان لا يتحرك إلاّ بحظ، والبراءة من الحظوظ صفةٌ إلهية، ومن ادّعاه فهو كافر...»[١]

(١) الموافقات، للشاطبي، ٢/ ٣٥٩.

المطلب العاشر

اعتقاد أنَّ التصوف يحقق للإنسان تجرده عن ميوله ونزعاته الفطرية التي تناقض الإخلاص

نشأ في صفوف المسلمين ناشئةٌ زعمت أنّ التصوف يحقق للإنسان تجرده عن ميوله ونزعاته الفطرية التي تناقض الإخلاص،وهذا من التصورات المنحرفة لسببين وهما: ظنهم أنَّ الميول والنزعات الفطرية تناقض الإخلاص، وأنَّ التصوف يحقق ذلك؛ ومن ثَمَّ دعوا للتصوف الذي يصفي النفس من كل شائبة تكدر صحة الإخلاص، قال الجنيد[1] -رحمه الله-: « ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسنات؛ **لأنّ التصوف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى**[2] ،وأصله التعزف عن الدنيا ... »[3] ،وقيل: « التصوف ترك كل حظ للنفس »[4].

وقال محمد بن خفيف[5] -رحمه الله- لما سئل عن التصوف: « تصفية القلب عن

---

(١) هو: الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي القواريري والده الخراز (٢٢٠-٢٩٧هـ) تفقه على أبي ثور، وسمع من السري السقطي وصحبه ومن الحسن بن عرفة، والمحاسبي، وأتقن العلم، ثم أقبل على شأنه، وتألّه وتعبد، ونطق بالحكمة، وقلَّ ما روى، قال عنه الذهبي: ((... وأين مثل الجنيد في علمه وحاله ؟)).

ينظر: طبقات الصوفية، للسلمي، ١٥٥-١٦٣، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٤/٦٦-٧٠.

(٢) وصفاء المعاملة مع الله تعالى هو الإخلاص، لكنهم جعلوه التصوف ؛ ترغيباً فيه وأضافوا له أمورا زعموا أنها تضر بالإخلاص مع أنها لا تضر به، فأخطئوا في هذين الأمرين .

(٣) طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي، ١٥٨، وللذهبي تعليق هام على هذه العبارة ينظر في: سير أعلام النبلاء، ١٤/٦٩-٧٠.

(٤) طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي، ١٦٦.

(٥) هو: محمد بن خفيف بن إسفكشار الضبيُّ الفارسي، المقيم بشيراز (ولد قبل ٢٧٠هـ - ٣٧١هـ)، أمه نيسابورية، تفقه على أبي العباس بن سريج، وحدث عن حماد بن مدرك وجماعة، كان شيخ المشايخ، فقيهًا شافعيا متمسكًا بالكتاب والسنة، لقي رويم، وابن عطاء، والحلاج ولم يكن مثله، قال عنه الذهبي: ((قد كان هذا الشيخ قد جمع بين العلم والعمل، وعلو السند، والتمسك بالسنن، ومتع بطول العمر في الطاعة)).

ينظر: طبقات الصوفية، للسلمي، ٤٦٢-٤٦٦، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٦/٣٤٢-٣٤٧.

موافقة البشرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة دعاوى النفسانية، ومنازلة صفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في الشريعة»[١]

وجعلوا شرطاً على المريد أن يخرج من المال والجاه، وأن يخرج عن الخلق بقطع النظر عنهم[٢].

وقال رويم: « منذ عشرين سنة لا يخطر بقلبي ذكر الطعام حتى يحضر »[٣].

والإسلام حارب هذا الاتجاه، والنزعة التي لا يمكن تحقيقها من ذوي الفطر السليمة، بل أباح الطيبات لعباده، والتمتع بما أحل الله لعباده كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾[٥].

وحارب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الاتجاه مبكراً ومن ذلك:

١- أنه جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أمّا أنا فأنا أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما

---

(١) طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي، ٤٦٤.

(٢) ينظر عوارف المعارف، للسهروردي، ٥٣٣.

(٣) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ٨/٤٣٠، وصفة الصفوة، لابن الجوزي، ٢/ ٤٤٢.

(٤) (الأعراف ٠٣٢)

(٥) (الملك ٠١٥)

والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتـــزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[١]

٢- وردَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون تبتله [٢].

قال الشاطبي – رحمه الله -: « ... إذا ثبت هذا فالأوصاف الـتي طبـع عليـها الإنسان كالشهوة إلى الطعام والشراب لا يطلب برفعها، ولا بإزالة ما غرز في الجبلـة منها، فإنه من تكليف ما لا يطاق، كما لا يطلب بتحسين ما قبح من خلق جسمه، ولا تكميل ما نقص منها؛ فإنَّ ذلك غير مقدور للإنسان، ومثل هذا لا يقصد الشارع طلبـاً له ولا نهيا عنه، ولكن يطلب قهر النفس عن الجنوح إلى ما لا يحل، وإرسـالها بمقـدار الاعتدال فيما يحل ... »[٣]

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح ...، ٩/ ١٣١، برقم [٥٠٦٣]، ومسـلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت إليه نفسه، ٥/ ١٨٦، برقم [١٤٠١].

(٢) أخرجه مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت إليه نفسه، ٥/ ١٨٧، برقم [١٤٠٢].

(٣) الموافقات، ٢/ ١٧٥.

المطلب الحادي عشر

المعاصي لا تؤثر على إخلاص المرء

وهذا من التصورات الخاطئة، والتي يرجع سببها الأكبر إلى القول بالإرجاء فالمرجئة يرون أن الإيمان لا يزيد بالطاعة ولا ينقص بالمعصية [١]، والإخلاص مثل الإيمان فهو من شعبه.

وقد غفلوا عن أن المعاصي رتب متفاوتة منها الشرك الأكبر الذي ينقض إخلاص المرء وإيمانه، ومنها الشرك الأصغر وسيأتي بيان أثرهما على الإخلاص في مواطنهما، ومن المعاصي الكبائر التي تنقص إخلاص المرء عن كماله الواجب، ولذا فإنّ أصحاب الكبائر تحت المشيئة ومنهم من يدخل النار فلو لم تكن تؤثر على إخلاص المرء لما دخلوا النار، فكامل الإخلاص محجوب عن النار، قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: «... فإنّ الإخلاص ينفي أسباب دخول النار فمن دخل النار من القائلين لا إله إلا الله لم يحقق إخلاصها المحرم له على النار بل كان في قلبه نوعٌ من الشرك الذي أوقعه فيما أدخله النار» [٢]

وقد توعد الله أصحاب الكبائر بأنواع من العذاب بحسب معاصيهم قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [٣].

---

(١) ينظر في بيان مذهبهم التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطي، ٥٧ - ٦١، والملل والنحل للشهرستاني، ١/١٦١-١٦٢، والفرق بين الفرق، للبغدادي، ٢٠٢ -٢٠٧، وينظر عقائد الثلاث والسبعين فرقة، لأبي محمد اليمني، ١/ ١٧١ - ٢٧٤، تحقيق/ محمد بن عبد الله بن زربان الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الأولى، ١٤١٤هـ.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٠/ ٢٦١، وسبق نقل القول.

(٣) (النساء ١٠).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾[1].

وغير ذلك من النصوص [2].

وتأثير المعاصي على الإخلاص متفاوت بحسب تفاوت رتب الذنوب، وحسب اعتبارات عدة منها:

١- جنس الذنب. ٢ - شدة مفسدته. ٣- قدره.

٤- زمانه ومكانه. ٥- التهاون به. ٦- بحسب الفاعل له.

٧- قوة الداعي لفعله[3].

---

(١) (البقرة ٢٧٨-٢٧٩)

(٢) ينظر الشريعة، للآجري، ٢/ ٥٨٠ -٦١٠، فقد استوفى في جمعه للنصوص الدالة على نقصان الإيمان بالمعاصي.

(٣) ينظر فتح رب البرية بتلخيص الحموية، للشيخ محمد العثيمين رحمه الله، ١٢٢- ١٢٣، دار الوطن، الرياض، ١٤١٢هـ، وينظر زيادة الإيمان، ونقصانه د/ عبد الرزاق العباد، ٢٤٨، والمتأمل لرقم ٥ و ٧ يرى أنهما يعودان لرقم ٦ ، والله أعلم .

المطلب الثاني عشر

الكبائر تنقض الإخلاص كلية

وهذا تصور نشأ من انحراف الخوارج والمعتزلة في باب الإيمان ثم انسحب على شعب الإيمان ومنها الإخلاص.

فالخوارج [١] قالوا بكفر مرتكب الكبيرة في الحال ومآله إلى النار.

وأما المعتزلة [٢] فقالوا إنه في منزلة بين المنزلتين في الدنيا فلا يسمى مؤمنا ولا يسمى كافرا وإنما يسمى فاسقا، وفي الآخرة فمآله إلى النار يخلد فيها لكنَّ عذابه أخف من عذاب الكافر[٣].

وجماع شبهة الخوارج والمعتزلة: اعتقادهم أنَّ الحقيقة المركبة تزول بزوال بعض أجزائها، والإيمان كذلك إن زال بعضه زال الكل كالعشرة إن زال بعضها لم تبق عشرة[٤]، إلاَّ أنَّ المعتزلة لما قالوا بالمنزلة بين المنزلتين في الدنيا قالوا إنه في الآخرة يخلد في

---

(١) الخوارج فرقت خرجت على علي رضي الله عنه بسبب التحكيم ومذهبهم التبرؤ من عثمان وعلي، والخروج على الإمام الجائر، وتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار، ولهم فرق كثيرة.
ينظر التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطي، ٦٢- ٦٥، وينظر الفرق بين الفرق، للبغدادي، ٧٣ ، وينظر الملل والنحل، للشهرستاني، ١/ ١٣٣، وينظر عقائد الثلاث والسبعين فرقة، لأبي محمد اليمني، ١/ ٢٠.

(٢) المعتزلة إحدى فرق الكلام والتي اعتزلت مجلس الحسن لما خالفه واصل بالقول بالمنزلة بين المنزلتين لمن ارتكب كبيرة، وأصول عقيدتهم خمسة: العدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتوحيد، ينظر التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطي، ٤٩- ٥٠، والفرق بين الفرق، للبغدادي، ١١٥، وينظر الملل والنحل، للشهرستاني، ٥٧- ٥٨، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة، لأبي محمد اليمني، ١/ ٢٩٩.

(٣) ينظر التبصير في الدين، لأبي المظفر الإسفراييني، ٤٢،مكتبة الخانجي، مصر، و المعتزلة وأصولهم الخمسة، لعواد المعتق، ٢٥٦-٢٥٧، الرشد، الرياض، الثالثة، ١٤١٧هـ

(٤) ينظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام، ٧/ ٥١١.

نار ليست كنار الكافر بل عذابه أخف من عذاب الكافر ؛ لأنه ذهب جزء من أجزاء الإيمان وهو العمل وبذهابه استحق الخلود في النار لكنَّ عذابه أخف من عذاب الكافر الذي لا يوجد معه أي جزء من أجزاء الإيمان، فمرتكب الكبيرة عندهم يشبه المؤمن في عقده ولا يشبهه في عمله، ويشبه الكافر في عمله ولا يشبهه في عقده ؛ لهذا أصبح وسطاً بين الاثنين، وتبعاً له كان عذابه أقل من عذاب الكافر(١).

وإجمال الرد على هذه الشبهة فيما يلي:

١- لا يلزم من زوال البعض زوال الكل كما هو مشاهد ومعلوم فذهاب واحد من عشرة لا يعني زوال التسعة.

٢- كما أن هذا القول خالف نصوص الشرع التي دلت على أن الإيمان يتجزأ، وأنَّ له أبعاضاً وزوال البعض لا يعني زوال الكل كما قال صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان »(٢)

٣- وقال صلى الله عليه وسلم مبينا أن من ذهب بعض إيمانه وبقي القليل ينجو من النار: (... ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة)(٣)

فلو كان كافراً لما خرج من النار!

وهذا يدل على أن من ذهب بعض إيمانه لا يذهب الكل

٤- ودلت النصوص على أن الإنسان قد يجتمع فيه شعبة من النفاق وشعبة من الإيمان،

---

(١) ينظر التبصير في الدين، للإسفراييني، ٤٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، ١/ ٧٢، برقم [٩]، وأخرجه مسلم واللفظ له، كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان وأفضلها، ١/ ٢٧٨، برقم [٣٥].

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ١٣/ ٥٧٧، برقم [٧٥٠٩]، وأخرجه مسلم واللفظ له، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة، ٢/ ٥٣ برقم [١٩٣].

قال صلى الله عليه وسلم : (من مات و لم يغز، و لم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق)[١].

والأوجه التي تبطل قولهم كثيرة لعل ما سبق يكون كافياً بحول الله وقوته[٢].

(١) سبق تخريجه صـ ٨٧ ، في طرق تحصيل الإخلاص العملية.

(٢) ينظر زيادة الإيمان ونقصانه، د/ عبد الرزاق العباد، ٣٥٠ – ٣٥٥، وينظر الخوارج تاريخهم آراؤهم الاعتقادية، د/ غالب العواجي، ٣٦٣ – ٣٧٣، مكتبة لينة، مصر، الأولى، ١٤١٨هـ، والمعتزلة وأصولهم الخمسة، لعواد المعتق، ٢٥٧-٢٦٢.

المبحث الثاني
تمايتوهم أنه إخلاص وليس بإخلاص

سأذكر بحول الله صوراً في هذا المبحث من الأعمال التي يظن أنها إخلاص وهي ليست كذلك، ولا سبيل لحصر جميع الأعمال لكن ينبه على بعض ما يكون منتشراً أكثر من غيره، ثم يذكر الضابط الكلي في تمييز ما هو إخلاص وما ليس كذلك في آخر المبحث، فمن الأعمال التي يظن أنها إخلاص ما يلي:

١- فعل العبادة على وجه العادة:

قال ابن القيم - رحمه الله -: « ... النوع الثاني: شوب العادة، وهو أن يمازج العبودية حكم من أحكام عوائد النفس تكون منفذة لها معينة عليها وصاحبها يعتقدها قربة وطاعة كمن اعتاد الصوم مثلاً وتمرن عليه فألفته النفس وصار لها عادة تتقاضاها أشد اقتضاء فيظن أنّ هذا التقاضي محض العبودية وإنما هو تقاضي العادة ... حكي عن بعض الصالحين من الصوفية قال: حججت كذا وكذا حجة على التجريد فبان لي أنّ جميع ذلك كان مشوباً بحظي، وذلك أن والدتي سألتني أن أستقي لها جرعة ماء فثقل ذلك على نفسي فعلمت أنّ مطاوعة نفسي في الحجات كان بحظ نفسي وإرادتها إذ لو كانت نفسي فانية لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع »[1].

٢- القتال على سبيل الشجاعة:

قال ابن الجوزي - رحمه الله -: « قد لبس إبليس على خلق كثير فخرجوا إلى الجهاد ونيتهم المباهاة والرياء ليقال: فلان غازٍ، وربما كان المقصود أن يقال شجاع، أو

---

(١) مدارج السالكين، ٢/ ١١١.

كان طلب الغنيمة « وإنما الأعمال بالنيات »[١] ... »[٢].

٣- إظهار العيوب للناس:

من الناس من يظهر عيوب نفسه للناس قاصداً إيهامهم بعدم صلاح نفسه، وهم قابلوا المرائين بعملهم هذا، وسميت هذه الطائفة بالملامية وعرفت بتعاريف عدَّة، وترجع كلها لتعريفين حسب اتجاه وموقف المعرف لهذه الطائفة، وهما:

أولاً: هم الذين لم يظهروا ما في بواطنهم على ظواهرهم، ويجتهدون في كمال الإخلاص[٣].

ثانياً: وقيل: هم الذين يفعلون ما يلامون عليه ويقولون نحن متبعون في الباطن، وقصدوا مخالفة المرائين[٤].

ويظهر من التعريفين أن أحدهم مادح، والآخر قادح لهذا السلوك؛ ولذا فإنَّ أصحاب التعريف الثاني نقدوا مسلكهم بعد إيراد تعريفهم، كما أن هناك من امتدح هذه الطريقة[٥].

وتطورت طائفة الملامية في طريقتهم كما حكى ذلك شيخ الإسلام -رحمه الله- حيث قال: « الملامية: الذين كانوا يخفون حسناهم ويظهرون ما لا يظن بصاحبه الصلاح من زي الأغنياء، ولبس العمامة، فهذا قريب، وصاحبه مأجور على نيته، ثمّ حدث قوم فدخلوا في أمور مكروهة في الشريعة ثم زاد الأمر ففعل قوم المحرمات من

---

(١) سبق تخريجه صـ ١٢.

(٢) تلبيس إبليس، ١٦٨.

(٣) ينظر التعريفات، للجرجاني، ٢٩٥، والتوقيف على مهمات التعاريف ،لمحمد عبد الرؤوف المناوي، ٦٧٦، دار الفكر المعاصر، دمشق، الأولى، ١٤١٠هـ.

(٤) ينظر شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ٧٧١/٢، وينظر الرد على القائلين بوحدة الوجود، لعلي بن سلطان محمد الهروي المكي الحنفي، ٦٢، تحقيق/ علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، دار المأمون للتراث، دمشق، الأولى، ١٩٩٥م.

(٥) ينظر مثلا فيض القدير، للمناوي، ٥/ ٤٣٧، وينظر المصادر السابقة في التعريف الأول.

الفواحش والمنكرات، وترك الفرائض والواجبات، وزعموا أنّ ذلك دخول منهم في « الملاميات » ولقد صدقوا في استحقاقهم اللوم، والذم، والعقاب من الله في الدنيا والآخرة، وتجب عقوبتهم جميعهم، ومنعهم من هذا الشعار الملعون، كما يجب ذلك في كلّ معلن ببدعة أو فجور »[١].

وما حكاه شيخ الإسلام عنهم فليس بغريب، فقد ذكر ابن الجوزي – رحمه الله – قصة تؤكد ما قاله شيخ الإسلام حيث قال –رحمه الله-: « وحكى أبو حامد الغزالي عن ابن الكريني أنه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح، فنشب في قلبي فدخلت الحمام، وعينت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثمّ لبست مرقعتي وخرجت فجعلت أمشي قليلاً فلحقوني فنزعوا مرقعتي وأخذوا الثياب، وصفعوني فصرت بعد ذلك أعرف بلص الحمام، فسكنت نفسي، قال أبو حامد: فهكذا كانوا يرضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس، وأرباب الأحوال، ربما عالجوا أنفسهم بما لا يفتي الفقيه فيه ... قلت: سبحان الله من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب الأحياء، فليته لم يحك فيه مثل هذا الذي لا يحل والعجب منه أنه يحكيه ويستحسنه ويسمي أصحابه أرباب أحوال وأي حالة أقبح وأشد من حال من خالف الشرع ويرى المصلحة في النهي عنه...»[٢].

والطريقة والسلوك التي يسلكونها ليست بطريقة الكتاب والسنة، ولا من طرق سلف الأمة، يقول الحسن – رحمه الله -: « من الإخلاص: أن تحب أن تُكتم حسناتك، ولا تحب أن تُكتم سيئاتك، فإن أظهر الله عليك حسناتك تقول هذا من فضلك وإحسانك وليس هذا من فعلي ولا من صنيعي »[٣].

ومن النصوص الشرعية المبطلة لهذا المسلك، ما قاله صلى الله عليه وسلم: (كل

---

(١) مجموع الفتاوي، ٣٥/١٦٤.

(٢) تلبيس إبليس، ٣٩٨ – ٣٩٩.

(٣) تفسير القرطبي، ١١/ ٧٥.

أمتي معافاةٌ إلاّ المجاهرين، وإنّ من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملاً، ثمّ يصبح قد ستره ربُّه، فيقول: يا فلان قد عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربُّه فيبيت يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه)[١].

فانظر أخي المسلم كيف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يتحدث المسلم عن معصية أتاها، فما بالك بمن يتعمد المعصية لإظهارها ويقول لتحقيق الإخلاص!، أليس قد جمع مع المعصية الدعوة إلى فعلها بجهره بها، ألم يقع في بدعة في الشرع ويحسب أنه على الهدى، وانظر كيف فرَّ من مفسدة ووقع في مفاسد، وفرَّ من أمرٍ ووقع في شر منه، فرَّ من النظر إلى الناس إن فعل الطاعات فوقع في ملاحظتهم لما أوقع نفسه بالمعصية ليصرف أنظارهم، ووقع في الدعوة لهذه المعصية، ووقع في بدعة لم يشرعها الله ورسوله، وهذه حال كل من خالف الشرع واستحدث فيه ما لم يكن منه، لقد كان في الطرق الشرعية ما يكفي لو عقلوا عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ثم اعلم أخي المسلم أن الذم للملامية التي سبق بيان طريقتهم، وأماَّ الملامية الذين لا يخافون في الله لومة لائم، وهم متبعون للشرع فلا يقصدون في هذا المبحث [٢].

٤- النهي عن فعل الأمر المشروع بزعم أنه رياء:

وهذا النهي باطلٌ لأوجه، منها:

١- لا ينهى عن فعل المشروع لمجرد الخوف من كونه رياء، بل يؤمر به وبالإخلاص فيه، ولم ينه رسول الله صلى الله عليه وسلم المنافقين عن فعل المشروع.

٢- لا ينكر إلا ما أنكره الشرع.

٣- تسويغ مثل هذا يفضي أنَّ أهل الشرك والفساد ينكرون على أهل الخير ما هم

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، ٩/ ٣٤٥ – ٣٤٦، برقم [٢٩٩٠].

(٢) ينظر للاستزادة مدارج السالكين، ٣/ ١٩٦ – ٢٠٠.

فيه من خير فيتركونه ويتعطل الخير، ويبقى لأهل الشرك الشوكة يظهرون الشر ولا أحد ينكر عليهم وهذا من أعظم المفاسد.

٤- النهي عن فعل الخير من شعائر المنافقين، وكانوا يطعنون على من يظهر الخير ويلمزونه بالرياء[١].

٥- ترك السيئات خوفاً من المخلوقين:

قال بن رجب – رحمه الله -: « ... فأما إن همَّ بمعصية ثمَّ ترك عملها خوفاً من المخلوقين أو مراءاةً لهم فقد قيل أنه يعاقب على تركها بهذه النية؛لأنَّ تقديم خوف المخلوقين على خوف الله محرَّم، وكذلك قصد الرياء للمخلوقين محرم فإذا اقترن به ترك المعصية لأجله عوقب على هذا الترك ... »[٢].

٦- الصعق، والجنون، والوله، والسكر، من الذكر:

وهذا أمرٌ لم يرد عن السلف رضي الله عنهم، وإنما حدث بعد الصحابة وقد سبق بيانه[٣].

قال ابن الجوزي –رحمه الله– عن هذه الحالة: « ... فإن قيل فهل في حق المخلص نقص بهذه الحالة الطارئة عليه؟ قيل: نعم، من جهتين، أحدهما: أنّه لو قوي العلم أمسك، والثاني: أنّه قد خولف به طريق الصحابة والتابعين ويكفي هذا نقصاً ... »[٤].

٧- الإخلاص بقصد أن تظهر الحكمة على قلب من أخلص:

وأصل هذا العمل حديث ضعيف وهو: « من أخلص لله أربعين يوماً، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه »[٥].

---

(١) ينظر الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام، ١/ ١٤٠، بتصرف.

(٢) جامع العلوم والحكم، ٢/ ٣٤٦.

(٣) ينظر صـ ١٦٧-١٦٨ ، في تصورات خاطئة عن حقيقة الإخلاص رقم [٩].

(٤) تلبيس إبليس، ٢٩٠.

(٥) قال المنذري: ذكره رزين العبدري في كتابه و لم أره في شيء من الأصول التي جمعها، و لم أقف على إسناد =

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « ... وكذلك كل من أراد الله لأمر من الأمور، كما حُكي أنَّ أبا حامد بلغه أنَّ من أخلص لله أربعين يوماً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، قال: فأخلصت أربعين يوماً، فلم يتفجر شيء فذكرت ذلك لبعض العارفين، فقال لي: إنك إنما أخلصت للحكمة، لم تخلص لله.

وذلك لأنَّ الإنسان قد يكون مقصوده نيل العلم والحكمة، أو نيل المكاشفات والتأثيرات، أو نيل تعظيم الناس له ومدحهم إياه، أو غير ذلك من المطالب، وقد عرف أنَّ ذلك يحصل بالإخلاص لله وإرادة وجهه، فإذا قصد أن يطلب ذلك بالإخلاص لله، وإرادة وجهه، كان متناقضاً؛ لأنَّ من أراد شيئا لغيره، فالثاني هو المراد المقصود بذاته، والأول يراد لكونه وسيلة إليه ... »[1].

٨- كتابة الاسم على المسجد الذي يبنيه:

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: « . . . ومنهم من ينفق في بناء المساجد والقناطر إلاّ أنه يقصد الرياء والسمعة وبقاء الذكر فيكتب اسمه على ما بنى، ولو كان عمله لله عز وجل لاكتفى بعلمه سبحانه وتعالى ... »[2].

ونحن لا نحكم على نية المرء بل نكل السرائر إلى الله، لكنَّ هذا العمل أقلّ أحواله أن يكون طريقاً للشهرة والافتتان بكلام الناس إلا من عصمه الله، والمسلم لا يأمن الفتنة على نفسه بل يحذرها، والله أعلم.

٩- اتخاذ مكان بالمسجد:

=

صحيح ولا حسن ... وضعفه الشيخ الألباني _ رحمه الله - أيضاً في ضعيف الترغيب والترهيب، ١/ ٢١، برقم [٦]، وقد أخرجه غير ما ذكره المنذري هناد في الزهد، ٢/ ٣٥٧، والشهاب في مسنده، ١/٢٨٥، برقم [٤٦٥] وابن أبي شيبة في المصنف، ٧/ ٨٠ برقم [٣٤٣٤٤].

(١) درء التعارض، ٦/ ٦٦ -٦٧.

(٢) تلبيس إبليس، ٤٤٤.

لقد ورد النهي عن اتخاذ مكان بالمسجد[١].

وقيل العلة في النهي ما يترتب عليه من الرياء المنافي للإخلاص[٢].

١٠- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القيام بباقي الواجبات:

ففاعل ذلك ليس محققا لكمال الإخلاص الواجب:

قال ابن القيم -رحمه الله-: « ... وليس الدين بمجرد ترك المحرمات الظاهرة بل بالقيام مع ذلك بالأوامر المحبوبة لله، وأكثر الديانين لا يعبأون منها إلاّ بما شاركهم فيه عموم الناس، وأمّا الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة لله ورسوله وعباده، ونصرة الله ورسوله ودينه وكتابه، فهذه الواجبات لا تخطر ببالهم، فضلاً عن أن يريدوا فعلها، وفضلا عن أن يفعلوها، وأقل الناس دينا وأمقتهم إلى الله من ترك هذه الواجبات وإن زهد في الدنيا جميعا، وقلّ أن ترى منهم من يحمر وجهه، ويمعره لله، ويغضب لحرماته، ويبذل عرضه في نصرة دينه، وأصحاب الكبائر أحسن حالاً عند الله من هؤلاء »[٣].

١١- التعبد لله على غير متابعة:

سبق القول في مبحث شروط الإخلاص، إنَّ من شروطه: المتابعة، وكل عبادة فقدت هذا الشرط فهي مردودة.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « ... فلما صار كثير من الصوفية النساك

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، ٢/ ٢٨٠، برقم [١٣١٩]، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي دار الثقة، مكة المكرمة، الثانية، وأخرجه أحمد في مسنده ١٧/ ١٠٨، برقم [٢٣٤٦٨]، وفي ١٢/ ٢٦٩، برقم [١٥٦٠٧]، وقوى الحديث بالشاهد الشيخ الألباني – رحمه الله – في تعليقه على صحيح ابن خزيمة وأشار إليه عند أحمد ينظر، ٢/٢٨٠، صحيح ابن خزيمة.

(٢) ينظر تحفة الأحوذي، للمباركفوري، ٨/ ٢٠-٢١، وينظر المسجد في الإسلام، لخير الدين وانلي، ٨٢ – ٨٤، دار ابن حزم، بيروت، الرابعة، ١٤١٩هـ.

(٣) عدّة الصابرين، ٢٤٦- ٢٤٧، تحقيق، سليم بن عيد الهلالي، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٠هـ.

المتأخرين يدَّعون المحبة، و لم يزنوها بميزان العلم، والكتاب، والسنة، دخل فيها نوع من الشرك، واتباع الأهواء، والله تعالى قد جعل محبته موجبة لاتباع رسوله، فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾(١) وهذا لأنَّ الرسول هو الذي يدعو إلى ما يحبه الله وليس شيء يحبه الله إلاّ والرسول يدعو إليه، وليس شيء يدعو إليه الرسول إلاَّ والله يحبه فصار محبوب الرب ومدعو الرسول متلازمين»(٢).

وقال أيضاً -رحمه الله-: « ... وإن كان خالصاً في نيته لكنه يتعبد بغير العبادات المشروعة مثل: الذي يصمت دائماً أو يقوم في الشمس أو على السطح دائماً ... ونحو ذلك كانت هذه العبادات باطلة ومردودة ... »(٣).

١٢- التلفظ بنية الإخلاص:

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « ... ولهذا قال العلماء في قوله:﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾(٤) لم يقولوه بألسنتهم، وإنما علمه الله من قلوبهم، ولهذا لم يستحبوا أن يتلفظ بنية الإخلاص؛ ولأنّ التلفظ بذلك لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه، ولا عن أحد من التابعين لهم بإحسان ... »(٥).

١٣- العمل بقصد أن يمدحه الناس:

فمن نوى شيئاً فله ما نواه كما قال صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات)(٦).

---

(١) (آل عمران ٠٣١)

(٢) مجموع الفتاوى، ٨/ ٣٦٠.

(٣) مجموع الفتاوى، ١١/ ٦١٣.

(٤) (الإنسان ٠٠٩)

(٥) شرح العمدة، ٥٩١، «الجزء الثاني من كتاب الصلاة »، تحقيق د/ خالد علي المشيقح، دار العاصمة، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ.

(٦) سبق تخريجه، صـ ١٢.

أما من عمل عملاً و لم يقصد أن يمدحه الناس، لكنهم أثنوا عليه خيراً دون قصدٍ منه فهذا لا يقدح في الإخلاص وسيأتي بيانه في المبحث بعده، بإذن الله.

١٤- عمل الحسنات خوفاً من مذمة الناس:

وهذا كالسابق في كونه ليس بإخلاص، لكن إن خاف مذمة الناس لكونها عاجل العقوبة له من الله فهذا ليس من الأعمال التي غير خالصة؛ لأنَّ خوفه في الحقيقة من الله وليس من الناس.

قال البيهقي -رحمه الله-: « ... وقال الحليمي[١] - رحمه الله - وإذا حافظ على الجماعة استحيا من الناس فهي على وجهين، أحدهما: أن يخاف ذم الجيران إياه فلا يفارق المسجد ليحمدوه، ويثنوا عليه خيراً فهذا رياء وليس بمحمود، والآخر أن يكون حياؤه من الله عز وجل بالحقيقة فيخشى أنه إن فارق الجماعة كان من عاجل عقوبة الله إياه أن يبسط المسلمون فيه ألسنتهم بالذم ... »[٢].

١٥- الهبة رياءً وسمعةً، وطلباً لمدح الناس فهذه ليست من الإخلاص.

١٦- مشاهدة الناس الباعثة على العمل أو المقوية له:

قال ابن القيم -رحمه الله-: « قوله " ولا مشاهداً لأحد فيكون متزيناً بالمراءاة " هذا فيه تفصيل أيضاً وهو: أنَّ المشاهدة في العمل لغير الله نوعان: مشاهدة تبعث عليه، أو تقوى باعثه، فهذا مراءاة خالصة، أو مشوبة، كما أنَّ المشاهدة القاطعة عنه أيضاً من الآفات والحجب، ومشاهدة لا تبعث عليه ولاتعين الباعث، بل لا فرق عنده بين وجودها وعدمها فهذه لا تدخله في التزين بالمراءاة، ولا سيما عند المصلحة الراجحة في هذه المشاهدة: إما حفظاً ورعاية كمشاهدة مريض أو مشرف على هلكة يخاف وقوعه

---

(١) هو: الحسين بن حسن بن محمد بن حليم البخاري، الشافعي (٣٣٨-٤٠٣هـ)، أبو عبد الله، أحد الأذكياء المتكلمين، كان متفننا سيال الذهن، ومحدثًا، من مصنفاته: المنهاج في شعب الإيمان.

ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٧/٢٣١-٢٣٣، الأعلام، للزركلي، ٢/٢٣٥.

(٢) شعب الإيمان، ٦/ ١٤٥.

فيها، أو مشاهدة عدو يخاف هجومه كصلاة الخوف عند المواجهة، أو مشاهدة ناظر إليك يريد أن يتعلم منك ... فهذا رياء محمود، والله عند نية القلب وقصده »[١].

١٧- الزهد في الدنيا لصرف وجوه الناس إليه:

قال عبد الله ابن المبارك -رحمه الله-: « كن محباً للخمول كراهية الشهرة، ولا تظهر من نفسك أنك تحب الخمول فترفع نفسك فإنَّ دعواك الزهد عن نفسك هو خروجك من الزهد لأنك تجر إلى نفسك الثناء والمدحة »[٢].

١٨- الزهد كسلاً وبطالةً لا رغبة في الآخرة أو لطلب الراحة في الدنيا:

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « ... والثالث: من زهد زُهد الكسل والبطالة والراحة لا لطلب الدار الآخرة بالعمل الصالح والعلم النافع، فإنّ العبد إذا كان زاهداً بطالاً فسد أعظم فساد فهؤلاء لا يعمرون الدنيا ولا الآخرة ... »[٣].

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: « ... فمن زهد لطلب راحة الدنيا، أو رغب لطلب لذاتها لم يكن واحد منهما في عمل صالح، ولا هو محمود في الشرع على ذلك... »[٤].

١٩- إظهار بعض ما يحسن ويترجح إخفاؤه من العمل:

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « وأمّا التسبيح بما يجعل في نظام الخرز ونحوه، فمن الناس من كرهه ومنهم من لم يكرهه، وإذا أُحسنت فيه النية فهو حسن غير مكروه، وأمّا اتخاذه من غير حاجة، أو إظهاره للناس مثل: تعليقه في العنق، أو جعله كالسوار في اليد أو نحو ذلك فهذا إمّا رياء للناس أو مظنة المراءاة ومشابهة المرائين من غير حاجة

---

(١) مدارج السالكين، ٢/ ٩٣ -٩٤.

(٢) صفة الصفوة ،لابن الجوزي، ٤/ ١٣٧.

(٣) مجموع الفتاوى، ٢٠ / ١٥٠.

(٤) مجموع الفتاوى، ٢٠/ ١٤٦، وينظر تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ١٧٣- ١٧٥، حيث ذكر بعض الأمور التي أخطأ فيها البعض بدعوى الزهد وهي ليست كذلك.

والأول: محرم، والثاني: أقل أحواله الكراهة، فإنّ مراءاة الناس في العبادات المختصة كالصلاة، والصيام، والذكر، وقراءة القرآن من أعظم الذنوب ... »[١].

٢٠- النيابة في النية والإخلاص:

وهي من الأمور التي لا تصح ولا تعد إخلاصاً لأنّ المقصود اختبار العبد بهذا الأمر فالتوكيل فيه لا يصح؛ لأنه تفويت للمقصود منه [٢].

٢١- العمل طلباً للأمارة وحب الرياسة:

وأما إن قصد في طلبه للأمارة إقامة الدعوة وغيرها من المقاصد الشرعية فلا يعد غير مخلص، ويأتي بيانه بحول الله [٣].

٢٢- العمل دون نية فهذا لا يعد لا من الإخلاص ولا من غير الإخلاص:

العامل له ثلاث حالات في عمله:

١- أن يعمل بنية الإخلاص فهذا مأجورٌ على عمله.

٢- أن يعمل بنية غير مخلصة فهذا موزورٌ على عمله.

٣- أن يعمل دون نية فهذا لا يثاب على فعله على الصحيح لقوله صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات) وكل النصوص التي وردت في إثابة العامل على عمل تقيد به ، وإن جاءت مطلقةً[٤].

٢٣- ترك الزينة مطلقاً ولبس الصوف دائماً، لأنه يجلب الشهرة:

قال صلى الله عليه وسلم: (من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة)[٥].

---

(١) مجموع الفتاوى، ٢٢/ ٥٠٦.

(٢) ينظر الأشباه والنظائر، للسيوطي، ١/ ٢٠.

(٣) ينظر الروح، لابن القيم، ٥٦٠ – ٥٦٢.

(٤) ينظر جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ٢/ ٤٦.

(٥) أخرجه ابن ماجة، كتاب اللباس، باب من لبس شهرة من الثياب، ٤/ ١٦٣، برقم [٣٦٠٦] واللفظ له، =

قال المناوي -رحمه الله -: «... وقد أمر الشارع بالتوسط بين التفريط والإفراط حتى في العبادة وفيه رد على من تحرى من الصوفية لبس الصوف دائماً، ومنع نفسه من غيره، وألزمها زيا واحداً، وعمد إلى رسوم وأوضاع وهيئات، ويرى الخروج عنها منكراً، وقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يلبس ما وجد فلبس الكتان والصوف والقطن، وما الهدي إلا هديه، وما الأفضل إلا ما سنه وهو لبس ما تيسر من الوسط المعتدل صوفاً تارةً، وقطنا طوراً، وكتاناً أخرى ... »(١).

٢٤- فعل الواجبات خوفا من العقاب (٢) :

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « ... فإذا قام يصلي لئلاّ يضرب أو يؤخذ ماله، أو أدى الزكاة لئلاّ يضرب كان قد فسخ تلك النية الإيمانية، فلهذا كان الصحيح عندنا وعند أكثر العلماء أنَّ هذه العبادة فاسدة لا يسقط الفرض بهذه النية وقلنا إن عبادات المرائين الواجبة باطلة، وأنَّ السلطان إذا أخذ الزكاة من الممتنع من أدائها لم يجزه في الباطن على أصح الوجهين...»(٣).

٢٥- التأليف والتصنيف طلباً للذكر والعلو بين الناس:

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: « وقد لبس إبليس على الكاملين في العلوم فيسهرون ليلهم ويدأبون نهارهم في تصانيف العلوم، ويريهم إبليس أن المقصود نشر الدين ويكون مقصودهم الباطن انتشار الذكر وعلو الصيت والرياسة وطلب الرحلة من الآفاق إلى المصنف، وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انتفع بمصنفاته الناس من غير تردد إليه، أو

=

وله شاهد عند أبي داود، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، ١١/ ٥٠، برقم [٤٠٢٢]، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٤٨٠، برقم [٢٠٨٩].

(١) فيض القدير، ١/ ١٨٩.

(٢) هنا فعل الحسنة خوفا من العقاب: الضرب... بخلاف فقرة ١٤ صـ ١٨٧ فقد فعل الحسنة خوف المذمة فحسب.

(٣) مجموع الفتاوى، ٢٦/ ٣٠.

قرئت على نظيره في العلم فرح بذلك إن كان مراده نشر العلم ... »[١].

٢٦- الهجرة بنية غير صالحة:

قال صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه)[٢].

٢٧- السخط على أهل الدنيا تفضيلا لنفسه:

قال صلى الله عليه وسلم: (إذا قال الرجل: هلك الناس، فهو أهلكهم)[٣].

قال النووي -رحمه الله-: « واتفق العلماء على أنّ هذا الذم إنما هو فيمن قاله على سبيل الإزراء على الناس واحتقارهم، وتفضيل نفسه عليهم، وتقبيح أحوالهم؛ لأنه لا يعلم سر الله في خلقه، قالوا: فأمّا من قال ذلك تحزناً لما يرى في نفسه، وفي الناس من النقص في أمر الدين فلا بأس عليه ... »[٤].

وقال القرطبي -رحمه الله-: « ... وثالثها: الرياء بالقول بإظهار السخط على أهل الدنيا وإظهار الوعظ والتأسف على ما يفوت من الخير والطاعة »[٥].

٢٨- إظهار أحسن حديثه ليتزين به:

وكان السلف رضي الله عنهم يكرهون إذا اجتمعوا أن يخرج الرجل أحسن حديثه[٦].

٢٩- ترك العمل من أجل الناس:

---

(١) تلبيس إبليس، ١٥٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ١/ ١٢، برقم [١]، وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة باب إنما الأعمال بالنية، ٧/ ٦١، برقم [١٩٠٧].

(٣) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي من قول: هلك الناس، ٨/ ٤٢٣، برقم [٢٦٢٣].

(٤) شرح النووي على مسلم، ٨/ ٤٢٤.

(٥) تفسير القرطبي، ٢٠/ ٢١٠.

(٦) ينظر الزهد، لابن المبارك، ١/ ٤٥، برقم [١٣٩]، والاخلاص والنية، لابن أبي الدنيا، ٧٠، برقم [٥٣] وسبق نقله صـ ٩٢ [اهتمام السلف به].

قال الفضيل بن عياض -رحمه الله-: « ترك العمل للناس رياء، والعمل للناس شرك»[١].

٣٠- سؤال العلماء بقصد البروز:

قال وكيع -رحمه الله-: « من استفهم وهو يفهم فهو طرف من الرياء»[٢].

٣١- المبالغة والإسراف في تقديم الطعام للضيف:

دُعي ابن مسعود- رضي الله عنه- لطعام فقرب له ثريد فأكل، ثمَّ قرب له شواء فأكل ثمَّ قرب له فاكهة فأكل، ثم قرب له دالحرح[٣]، فقال: « قدمتم لنا ثريداً فأكلنا، ثمّ قربتم لنا شواءً فأكلنا، ثمَّ قربتم فاكهة فأكلنا، ثمّ أتيتم بهذا! أهل رياء فلم يأكله »[٤].

قال النووي -رحمه الله-: « وقد كره جماعة من السلف التكلف للضيف وهو محمول على ما يشق على صاحب البيت مشقة ظاهرة؛ لأنّ ذلك يمنعه من الإخلاص وكمال السرور بالضيف »[٥].

٣٢- المبالغة في القراءة للقرآن رياءً وسمعةً ومباهاةً:

عن جابر رضي ا لله عنه قال: « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا الأعرابيُّ والعجميُّ، فقال: « اقرؤوا فكلٌّ حسنٌ، وسيجيء أقوامٌ

---

(١) ينظر ذم الرياء، للضراب، ٣٢٧، برقم [١٦٩]، وينظر شعب الإيمان، للبيهقي، ٥/ ٣٤٧،برقم [٦٨٧٩] وينظر سير أعلام النبلاء، ٨/٤٢٧.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، ١/ ١٩٧، برقم [٣٣٩]، تحقيق/ محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.

(٣) بعد البحث وسؤال أهل الاختصاص لم أجد لها تفسيراً ويبدو من السياق أنها من أنواع الطعام.

(٤) الجامع لمعمر بن راشد، ٨٧/١١، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الثانية، ١٤٠٣هـ، « ملحق مع كتاب المصنف للصنعاني ».

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٧/ ٢٣٨، وسبق نقله في مجالات الإخلاص.

يقيمونه كما يقام القدْحُ، يتعجلونه ولا يتأجلونه »[١].

قال محمد أشرف العظيم أبادي -رحمه الله-: « ... «كما يقام القدح » أي: يبالغون في عمل القراءة كمال المبالغة لأجل الرياء والسمعة والمباهاة والرياء ...»[٢].

٣٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لحظ النفس:

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « ... فإنّ الإنسان عليه أولا أن يكون أمره لله، وقصده طاعة الله فيما أمره [به]، وهو يحب صلاح المأمور، أو إقامة الحجة عليه، فإن فعل ذلك لطلب الرياسة لنفسه، ولطائفته وتنقيص غيره كان ذلك حمية لا يقبله الله، وكذلك إذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء كان عمله حابطاً، ثمّ إذا رُدّ عليه ذلك وأوذي أو نسب إلى أنه مخطئ وغرضه فاسد طلبت نفسه الانتصار لنفسه، وأتاه الشيطان، فكان مبدأ عمله لله ثم صار له هوى يطلب به أن ينتصر على من آذاه وربما اعتدى على ذلك المؤذي ... »[٣].

٣٤- الصوم من أجل مراءاة الناس:

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: « وقد يشيع عن المتعبد أنه يصوم الدهر، فيعلم بشياع ذلك فلا يفطر أصلاً، وإن أفطر أخفى إفطاره لئلاّ ينكسر جاهه، وهذا من خفي الرياء...»[٤].

٣٥- العزلة المطلقة ليحقق بها الإخلاص:

الأصل في العزلة المطلقة المنع لما يترتب عليها من تفريط في حقوق وتضييع

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يجزئ الأمي والأعجمي من القراءة، ٣/ ٤١ برقم [٨٢٥]، وأحمد في مسنده، ١٢/ ١١٣-١١٤برقم [١٥٢٠٩]، وصحح سنده حمزة الزين محقق مسند أحمد، ١٢/ ١١٣ ،وإسناد أبي داود صحيح.

(٢) عون المعبود، ٣/ ٤٢.

(٣) منهاج السنة النبوية، ٥/ ٢٥٤ -٢٥٥.

(٤) تلبيس إبليس، ١٦٦.

لواجبات، وقد وهم بعض الناس عندما ظنَّ أنَّ العزلة هي التي تحقق الإخلاص، ولم يعلم متى تجوز ومتى لا تجوز، فاختار العزلة وفرط في واجبات، وكان بإمكانه لو جاهد نفسه في تحقيق الإخلاص بطرقه المشروعة أن يحققه دون هذه العزلة، وبوب الإمام أحمد -رحمه الله- باباً فقال: «باب ما يكره من العزلة عن الناس إلا بيقين »[١].

فليست العزلة من المباحات مطلقاً، ولا تشرع دائماً، ولا تباح إلاّ بيقين في المصلحة منها، ولها أحوال معينة تجوز فيها [٢].

٣٦- ليس من كمال الإخلاص طلب الدعاء أو الثناء من المحسن إليه:

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « ... ولهذا كان المحققون للإخلاص لا يطلبون من المحسن إليه لا دعاءاً،ولا ثناءاً، ولا غير ذلك؛ فإنّه إرادة جزاءٍ منه، فإنّ الدعاء نوع من الجزاء على الإحسان والإساءة ... »[٣].

٣٧- الانشغال بالعلوم التكميلية مع تفويت الواجبات:

قال صديق حسن خان -رحمه الله-: « قال سفيان الثوري: "ليس طلب الحديث من عدّة الموت لكنه علة يتشاغل بها الرجل قلبه" وقد صدق والله في هذا المقال؛ لأنّ طلب الحديث شيء غير الحديث، فطلب الحديث اسم عرفي لأمور زائدة على تحصيل ماهية الحديث، وكثير منها مراق إلى العلم، وأكثر أمور يشغف به المحدث تحصيل النسخ المليحة، وتطلب العالي، وتكثر الشيوخ ... فإذا كان طلبك للحديث النبوي محفوفاً بهذه الآفات فمتى خلاصك منها إلى الإخلاص، وإذا كان علم الآثار مدخولاً فما ظنك بعلم المنطق والجدل وحكمة الأوائل التي تسلب الإيمان، وتورث الشكوك

---

(١) الورع، لأحمد بن محمد بن حنبل، ٣٣، تحقيق د/ مصطفى محمد حسين الذهبي، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، الأولى، ١٤١٨هـ.

(٢) ينظر لها موقف المسلم من الفتن، لحسن محمد الحازمي، ٤٨٦ -٤٩٩، أضواء السلف، الرياض، الأولى، ١٤٢٠هـ.

(٣) بيان تلبيس الجهمية، ١/ ١٩٢.

والحيرة التي لم تكن والله من علم الصحابة ولا التابعين ... »[١].

٣٨- رد الهدية والهبة للمهدي مراءاة واستعلاءً وتكبراً:

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- في كلامه عن الأعطيات: « ... وللرد وجوه مكروهة مذمومة، منها: الرد مراءاةً، ومنها: التكبر عليهم، والاستعلاء حتى يستعبدهم، ويستعلي عليهم بذلك ... فهذه أربعة مفاسد فاسدة في الرد للعطاء: الكبر، والرياء، والبخل، والكسل »[٢].

٣٩- الورع الذي يحمل عليه الجبن، والبخل، والكبر:

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « وكثيراً ما يشتبه الورع الفاسد بالجبن والبخل فإنَّ كلاهما فيه ترك، فيشتبه ترك الفساد لخشية الله تعالى بترك ما يؤمر به من الجهاد، والنفقة: جبناً، وبخلاً ... وكذلك قد يترك الإنسان العمل ظناً أو إظهاراً أنه ورع وإنما هو كبر وإرادة للعلو ... »[٣].

٤٠- الغيرة من الأمور المشروعة بدافع الحسد:

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « وقوم يغارون على ما حرمه الله، وعلى ما أمر به مما هو من نوع الحب والكره يجعلون ذلك غيرة، فيكره أحدهم من غيره أموراً يحبها الله ورسوله، ومنهم من جعل ذلك طريقاً وديناً ويجعلون الحسد والصد عن سبيل الله، وبغض ما أحبه الله ورسوله غيرةً ... »[٤].

٤١- المن بالعطاء:

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « ومن الناس من يحسن إلى غيره ليمنَّ عليه، أو ليجزيه بطاعته له وتعظيمه إياه، أو نفع آخر، وقد يمنُّ عليه فيقول: أنا فعلت، وفعلت

---

(١) أبجد العلوم، ٣/ ١٦٠، وينظر تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ١٣٤ -١٣٥.

(٢) مجموع الفتاوى، ١/ ١٠٠.

(٣) مجموع الفتاوى، ٢٨/ ٢٩١

(٤) الاستقامة، ٢/ ١٠.

بفلان فلم يشكر، ونحو ذلك، فهذا لم يعبد الله و لم يستعنه فلا عمل لله، ولا عمل به فهو كالمرائي، وقد أبطل الله صدقة المنان وصدقة المرائي ... »[١].

٤٢- **حرق كتب العلم التي صُنفت**، مخافة الرياء، مع أنه كان بإمكانه إصلاح النية والاستفادة مما كتب والتوبة مما أذنب فيه[٢].

٤٣- **إرادة العبد توقير الناس واحترامهم له** وأن يبدأوه بالسلام لأنه متعبدٌ لله، وهذا ليس من الإخلاص؛ لأنَّ عبادته مقصودٌ بها الناس[٣].

٤٤- **عدم محبة النجاح لجهةٍ أو شخصٍ يفعل الخير** بدافع الحسد والغيرة، ويزداد الأمر سوءاً إن حاربهم وعاداهم بقوله وفعله.

٤٥- **الاستذكار وقت الاختبار والاجتهاد فيه** ثمّ يترك ما حصله من العلم فهذا ليس من الإخلاص ودليلٌ على فقده.

هذه بعض الصور لأعمالٍ لا تعد من الإخلاص وهي قليلة،وقصد بها التمثيل، والإيضاح لما كان منتشراً أكثر من غيره، والضابط الكلي الذي يعرف به ما خلص من العمل مما لم يخلص هو:« أن يعرف العبد مراده من العمل، هل هو لله أم لغيره؟ فما كان لله فهو إخلاص، وإلا فليس من الإخلاص ».

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « ... وقول النبي صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات) كلمة جامعة كاملة فإنَّ النية للعمل كالروح للجسد، وإلاّ فكل واحد من الساجد لله، والساجد للشمس والقمر قد وضع جبهته على الأرض فصورتهما واحدة، ثمّ هذا أقرب الخلق إلى الله تعالى، وهذا أبعد الخلق عن الله»[٤].

وقال ابن رجب -رحمه الله- معلقاً على حديث (إنما الأعمال بالنيات): «وهاتان

---

(١) مجموع الفتاوى، ٨/ ٢٢١.

(٢) ينظر تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ٣٦٦، فقد أورد بعض من فعل ذلك.

(٣) ينظر كتاب الإخلاص، لحسين عوايشة، ٦٠، دار ابن حزم، بيروت، الثامنة، ١٤١٨هـ.

(٤) مجموع الفتاوى، ٢٨/ ٢٩١.

كلمتان جامعتان، وقاعدتان كليتان، لا يخرج عنهما شيءٌ، ذكر بعد ذلك مثلاً من أمثال الأعمال التي صورتها واحدة، ويختلف صلاحها وفسادها باختلاف النيات، وكأنه يقول: سائر الأعمال على حذو هذا المثال»[1].

(١) جامع العلوم والحكم، ١/ ٣٧.

المبحث الثالث

ما يتوهم أنه ليس بإخلاص وهو إخلاص

وسأذكر بحول الله صوراً في هذا المبحث من الأعمال التي يظن أنها ليست خالصة مع كونها من الأعمال الخالصة، وستكون المعالجة هنا كما في المبحث السابق من كون التنبيه على البعض من هذه الأعمال التي هي أكثر انتشاراً من غيرها، ومن تلك الأعمال ما يلي:

١- إطالة الركوع ليدرك المسبوق الركعة احتساباً للأجر:

فقد توهم بعض الفقهاء أنّ إطالة الركوع من الإمام إنتظارا للمسبوق من الشرك كالرياء.

قال القرطبي -رحمه الله-: « ... وكذلك إذا أحس الرجل بداخل في الركوع وهو إمام، لم ينتظره لأنه يخرج ركوعه بانتظاره عن كونه خالصا لله تعالى »(١).

وورد هذا القول عن أبي حنيفة رضي الله عنه، وعليه بعض الأحناف(٢).

وبعض فقهاء الأحناف فصلوا القول فذهبوا إلى أنّ الإمام إن كان يعرف المأموم فانتظاره شرك، وإن لم يعرفه جاز الانتظار(٣).

والحق أنّ ما ذهبوا إليه غير صحيح، وبيّن العز بن عبد السلام -رحمه الله- المسألة أتمّ بيان فقد قال: « إن قيل هل يكون انتظار الإمام المسبوق ليدركه في الركوع شركاً في العبادة أم لا؟ قلت: ظنَّ بعض العلماء ذلك، وليس كما ظنَّ بل هو جمع بين قربتين

---

(١) تفسير القرطبي، ٥/ ١٨٠.

(٢) ينظر: حاشية ابن عابدين، ٦/ ٤٢٥.

(٣) ينظر البحر الرائق، لزين بن إبراهيم بن محمد بن بكر المشهور بابن نجيم، ١/٣٣٤، ٣٧٢، دار المعرفة، بيروت، الثانية،وينظر الدر المحتار، ١/ ٤٩٥، دار الفكر، بيروت، الثانية، ١٣٨٦هـ

لما فيه من الإعانة على إدراك الركوع وهي قربة أخرى، والإعانة على الطاعات من أفضل الوسائل عند الله، ورتب تلك المعونات عند الله على قدر رتب المعان عليه من القربات، والإعانة على معرفة الله، ومعرفة ذاته وصفاته أفضل الإعانات، ... وليس لأحدٍ أن يقول هذا شركٌ في العبادة بين الخالق والمخلوق، فإنّ الإعانة على الخير والطاعة لو كانت رياءً وشركاً، لكان تبليغ الرسالة وتعليم العلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رياءً وشركاً، وهذا لا يقوله أحد ... ومن أبطل الصلاة به فقد أبعد، فليت شعري ماذا يقول في الانتظار المشروع في صلاة الخوف هل كان شركاً ورياءً، أو عملاً صالحاً لله تعالى ؟! »[1].

٢- السرور بثناء الناس عليه إذا فعل الطاعات وكان غير طالب لهذا الثناء:

وبوب ابن حبان -رحمه الله- باباً في صحيحه في الرد على من زعم أن ذلك رياء، قال -رحمه الله -: « ذكر الخبر المدحض قول من زعم أنَّ مدْحَ الناسِ المرءَ على الطاعة وسروره به من الرياء »[2].

وقال البيهقي -رحمه الله-: « ... وهو أنه إذا عمل خيراً سره أن يذكر به فيكون محموداً في الناس لا مذموما و لا حمد أبلغ من أن يقال إنه قوامٌ بحق ربه، وليس هذا من المراءاة في شيء إنما المراءاة أن يعمل بخير لا يريد به وجه الله تعالى ولا يبتغي به مرضاته ولا ثوابه إنما يريد به أن يقول الناس هذا رجل خير، فأمّا أن يعمل لله بالحقيقة ويسره أن يعلم الناس منه أنه من عمال الله فإن مدحوه مدحوه بصلاحه لعبادة الله لا لغير ذلك مما يتمدح به الناس، ويثني بعضهم على بعض من أمور الدنيا فليس من الرياء في شيء...»[3]

---

(١) قواعد الأحكام، ١/ ١٠٩-١١٠، وينظر مختصر الفوائد في أحكام المقاصد، للعز بن عبد السلام، ١٨٧-١٨٨، وينظر المغني، لابن قدامة، ٣/ ٧٨-٨٠.

(٢) صحيح ابن حبان، ٨٢/١٣.

(٣) شعب الإيمان، ٥/ ٣٧٥، برقم [٧٠٠٧].

وسر المسألة: أنَّ الذي يفرح ويسر بثناء الناس عليه لأنَّ ذلك من عاجل بشرى الله له، ليس كمن أراد مدح الناس لذاته، وتزينَ بالعبادة لهم، فالأول مخلص والآخر مرائي، والأمور بمقاصدها[١].

ومن الأدلة التي استدل بها من قال إنَّ الفرح بالثناء من الناس لكونه عاجل البشرى ليس برياء، ما يلي:

١- قال تعالى:﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾[٢].

قال البيهقي -رحمه الله -: « ... ألا ترى أنَّ الله تعالى ذمَّ قوماً يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فدلَّ ذلك على أنَّ من أحبَّ أن يحمد[٣] بما فعل فلا ذمَّ ...»[٤].

٢- وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناسُ عليه؟ قال: « تلك عاجل بشرى المؤمن»[٥].

قال النووي -رحمه الله- معلقاً على الحديث السابق: « ... هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم، وإلاَّ فالتعرض مذموم»[٦]

٣- وعظ الناس وتذكيرهم طلبا للأجر؛ لأنّ الشيطان كثيراً ما يوسوس للعبد في

---

(١) ينظر مدارج السالكين، لابن القيم، ٢/ ٩٣-٩٤، وينظر تفسير ابن كثير، ٤/ ٥٩٠، وينظر سبل السلام، للصنعاني، ٨/ ٢٨٨- ٢٨٩.

(٢) (آل عمران ١٨٨)

(٣) لكن دون أن يطلب أو يتعرض لهم بالعمل ليمدحوه وإلاَّ كان مذموماً كما بينه الإمام النووي بعده، وكما ذكر في سر المسألة أول هذه الفقرة .

(٤) شعب الإيمان، ٥/ ٣٧٥، برقم [٧٠٠٧].

(٥) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أثني على الصالح، ٨/ ٤٣٨، برقم [٢٦٤٢].

(٦) شرح النووي على مسلم، ٨/ ٤٣٩.

وعظه أنه ليس خالصاً:

عن الحسن -رحمه الله- أنه قال: « ما من أحد عمل عملاً إلا سار في قلبه سورتان فإذا كانت الأولى منهما لله، فلا تهدينه الآخرة، قال أبو عبيد: يقول لا يصرفنه عن ذلك ولا يزيله، والذي أراد الحسن بقوله « فلا تهدينه الآخرة » يقول: إذا صحت نيته في الأول ما يريد الأمر من البر فعرض له الشيطان فقال إنك تريد بهذه الرياء فلا يمنعه من ذلك الأمر الذي تقدمت فيه نيته ... »[١].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: «... إذا دعت الحاجة إلى خلطتهم في فضول المباحات فليجتهد أن يقلب ذلك المجلس طاعة لله إن أمكنه، ويشجع نفسه، ويقوي قلبه ولا يلتفت إلى الوارد الشيطاني القاطع له عن ذلك بأنَّ هذا رياء، ومحبة لإظهار عملك وحالك، ونحو ذلك، فليحاربه، وليستعن بالله ... »[٢]

٤- ترك المزاح والضحك ممن يقتدى به مخافة أن يفتن الجاهل:

قال الأوزاعي -رحمه الله-: « كنّا نضحك ونمزح، فإذا صرنا يقتدى بنا فلا أرى ذلك يسعنا»[٣]

وكان إبراهيم بن أدهم -رحمه الله- مع أصحابه، فأتوا ببطيخ فجعلوا يأكلون، ويمزحون، ويترامون بينهم فدق رجل الباب، فقال لهم إبراهيم: « لا يتحركنَّ أحد، قالوا: يا أبا إسحاق تعلمنا الرياء، نفعل في السر شيئا لا نفعله في العلانية، فقال اسكتوا، إني أكره أن يعصى الله فيَّ وفيكم»[٤]

٥- إظهار الفرائض التي شرعت مجهورة:

---

(١) شعب الإيمان، للبيهقي، ٥/ ٣٤٨، برقم [٦٨٨٤].

(٢) مدارج السالكين، ١/ ٥٠٢ -٥٠٣.

(٣) تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ١٧٩.

(٤) ينظر تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ١٧٩.

وسبق بيانه في طرق تحصيل الإخلاص، ونقل كلام العلماء في ذلك [١]

٦- حب الإمارة للدعوة إلى الله:

قال ابن القيم — رحمه الله -: « والفرق بين حب الرياسة وحب الإمارة للدعوة إلى الله، هو الفرق بين تعظيم أمر الله، والنصح له، وتعظيم النفس والسعي في حظها، فإن الناصح لله المعظم له المحب له، يحب أن يطاع ربه فلا يعصى، وأن تكون كلمته هي العليا، وأن يكون الدين لله، ... فهو يحب الإمامة في الدين، بل يسأل ربه أن يجعله للمتقين إماماً يقتدى به المتقون كما اقتدى هو بالمتقين ... وهذا بخلاف طلب الرياسة فإنّ طلابها يسعون في تحصيلها لينالوا بها أغراضهم (من العلو في الأرض، وتعبد القلوب بهم، وميلها إليهم، ومساعدتهم لهم على جميع أغراضهم) مع كونهم عالين قاهرين لهم...»[٢]

٧- كتمان السيئات:

وكتمانها لا يقدح في الإخلاص بل هو المشروع، وسبق بيان ذلك في المبحث السابق[٣].

٨- إعطاء الهبة بقصد الإثابة عليها، أو قصد دفع الشر عن نفسه:

وهذان العملان لا يعدان من الأعمال التي ليست خالصة ورياءً، لكن للعبد ما نواه من الثواب في الدنيا، والمراد بيان كونها لا تقدح في الإخلاص.

أمّا إعطاء الهبة بقصد المكافأة، فقد عقد البخاري -رحمه الله- باباً في صحيحه لبيان جوازها فقال: « باب المكافأة في الهبة » ثم ساق حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها»[٤]

---

(١) ينظر صـ ٨٣-٨٥ .

(٢) الروح، ٥٦٠-٥٦١

(٣) ينظر صـ ١٨٠.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الهبة، باب المكافأة في الهبة، ٥/ ٢٥٩، برقم [٢٥٨٥].

قال ابن حجر -رحمه الله-: « واستدل بعض المالكية بهذا الحديث على وجوب الثواب على الهدية إذا أطلق الواهب وكان ممن يطلب مثله الثواب، كالفقير للغني، بخلاف ما يهبه الأعلى للأدنى، ووجه الدلالة منه: مواظبته صلى الله عليه وسلم...»[١]

وأمّا دفع الشر عنه، فقد قال شيخ الإسلام – رحمه الله – متحدثاً عن الهبة: « ... وإعطاؤه لكف الظلم والشر عنه، ولئلاّ ينسب إلى البخل مشروع بل هو محمود مع النية الصالحة والإخلاص...»[٢]

فإذا جازت المكافأة فجوازها لأن يدفع الإنسان الشر عن نفسه أولى، وقد شرع التلفظ بالكفر عند الحاجة إذا كان القلب مطمئنا بالإيمان فكيف بما هو أقل من الكفر والله أعلم.

٩- إظهار الفرائض حتى لا يذم من الناس إذا كان قصده خالصاً لله وحده بفعل العبادة:

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: « وقال الزجاج: كان إخفاء الزكاة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل، فأما اليوم فالناس يسيئون الظنَّ فإظهارها أحسن...»[٣]

وسبق كلام شيخ الإسلام في الفقرة السابقة فلينظر لأهميته[٤].

وينبغي التنبه إلى ما اشترطه شيخ الإسلام -رحمه الله- حيث قال: « مع النية الصالحة والإخلاص » فلا يكون مراد العبد بعمله الناس وإنما يريد الله بعمله، وأن يكون له

---

(١) فتح الباري، ٥/ ٢٥٩، وسقت الكلام لبيان صحة الاستدلال بهذا الحديث على مبدء المكافأة بغض النظر عن صحة القول بوجوب ذلك أو جوازه.

(٢) الفتاوى الكبرى، ٤/ ٥١٥.

(٣) زاد المسير ، ١/ ٣٢٦.

(٤) وينظر تفسير القرطبي، ٥/ ٤٢٠- ٤٢١، وفتح الباري، لابن حجر، ٣/ ٣٦٥، والموافقات، للشاطبي، ٣/ ١٤٦.

مقصد شرعي في إثبات عدالته ليقتدى به في فعل الخير، أو يقبل قول الحق منه، أو غير ذلك من المقاصد الشرعية، كما ينبغي مراعاة المصلحة والمفسدة في الإظهار كما سبق بيانه في طرق تحصيل الإخلاص[١].

١٠- الخوف من ذم الناس لكونه عاجل عقوبة الله له وسبق بيانه في المبحث السابق.

١١- فعل العبادة خالصة مع الاستعانة بها على طلب الرزق:

يقول الشاطبي - رحمه الله -: « ... فالحاصل لمن اعتبر أنّ ما كان من التوابع مقوياً ومعيناً على أصل العبادة، وغير قادح في الإخلاص؛ فهو المقصود التبعي السائغ وما لا، فلا.

وأن المقاصد التابعة للمقاصد الأصلية، على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما يقتضي تأكيد المقاصد الأصلية، وربطها، والوثوق بها، وحصول الرغبة فيها؛ فلا إشكال أنّه مقصود للشارع؛ فالقصد إلى التسبب إليه بالسبب المشروع موافق لقصد الشارع فيصح ... »[٢].

ومما استدل به على هذه المقاصد ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[٣].

٢- قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾[٤].

فالاستعانة بهما لجميع الأمور كما أطلقت الآية الأولى، وسيأتي مزيد أدلة في الفقرتين ١٣، ١٤.

---

(١) ينظر صـ ٨٣-٨٥ .

(٢) الموافقات، ٣/ ١٥٤، وينظر أيضاً منه، ٣/ ١٤٥.

(٣) (البقرة ٤٥).

(٤) (طه ١٣٢)

١٢- قول المرء إني صائم لمن شاتمه:

فالجهر بهذا القول لا ينافي الإخلاص، قال صلى الله عليه وسلم: (إذا أصبح أحدكم يوماً صائماً، فلا يرفث، ولا يجهل، فإن امرؤٌ شاتمه أو قاتله، فليقل إني صائم، إني صائمٌ)(١)

وقد اختلف هل يكون الجهر بقول اللسان أم القلب؟ وهل يكون في صوم الفرض دون النفل أم بهما؟ وظاهر الحديث أنه بقول اللسان دون فرق بين نفل وفرض وهذا الراجح، والله أعلم (٢)

١٣- الصوم لتحصيل مقصد شرعي:

كالعفة، قال صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)(٣)

سبق كلام الشاطبي في فقرة رقم ١١ في التوابع المقوية لمقاصد الشريعة.

١٤- تخفيف الصلاة رحمةً بالمأمومين:

قال صلى الله عليه وسلم: (أيها الناس إنكم منفرون فمن صلى بالناس فليخفف،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، ٤/ ١٣٤، برقم [١٨٩٤] وأخرجه مسلم «واللفظ له»، كتاب الصيام، باب حفظ اللسان للصائم، ٤/ ٢٨٤ برقم [١١٥١]

(٢) ينظر الأذكار، للنووي، ٣١٤، تحقيق محي الدين مستو، دار ابن كثير، دمشق، الثالثة، ١٤١٢هـ، وينظر الإنصاف، للمرداوي، ٣/ ٣٢٩، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثانية، ١٤٠٠هـ، وينظر القواعد والفوائد الأصولية، لابن اللحام، ١٣٠، تحقيق: محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٦هـ، وينظر المعتمد في فقه الإمام أحمد، لعلي عبد الحميد بلطه جي، ومحمد وهبي سليمان «جمعا فيه بين منار السبيل ونيل المآرب»، ١/ ٣٠٥، دار الخير، الأولى، ١٤١٢هـ.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «من استطاع الباءة فليتزوج...»، ٩/١٣٤، برقم [٥٠٦٥]، وأخرجه مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة، ٥/ ١٨٥، برقم [١٤٠٠]

فإنّ فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة »[١]

وقال صلى الله عليه وسلم: (إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبيّ فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه)[٢]

وكل هذه الأدلة تقرير لقاعدة أنّ التوابع إن كانت مقوية لمقاصد الشريعة فصحيحة.

١٥- التزين لحضور العبادة ومقابلة الناس:

وهم البعض حين ظنَّ أنّ هذا الفعل من المراءاة، قال السري بن المغلس: «إذا أحسست بإنسان يريد أن يدخل عليَّ فقلت كذا بلحيتي – وأمرّ يده على لحيته – كأنه يريد أن يسويها من أجل دخول الداخل عليه فخفت أن يعذبني الله على ذلك بالنار»[٣]

والنصوص مبيحة لهذا الفعل مما يدل على أنه لا يعد ناقضا للإخلاص، قال ﷺ: « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » فقال رجل: إنَّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة؟ قال: « إنّ الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس »[٤]

١٦- سجود الشكر، والسجود أثناء القراءة عند قراءة السجدات بين الناس، وفعل الأوراد المشروعة التي يفعلها الإنسان دائماً:

وقد ظنّ البعض أنّه رياءٌ، وتشبهٌ بحال المنافقين، والحق أنه ليس برياء إذا كان

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره، ١/ ٢٤٥ برقم [٩٠]، وأخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، ٢/ ٤٢١، برقم [٤٦٦]

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، ٢/ ٢٦١، برقم [٧٠٧]

(٣) شعب الإيمان، للبيهقي، ٥/ ٣٥٦، برقم [٦٩٢٥].

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ١/ ٣٦٦، برقم [٩١].

القصد لله لا غيره، فالأعمال بالنيات.[(١)]

١٧- تقصير الثوب وجعله فوق الكعبين إقامةً للسنة:

توهم البعض أنّ هذا من الشهرة المذمومة، والبعد عن فعله أسلم لدين المرء، فوقع في منهيٍّ عنه، وخالف السنة.

عن أيوب -رحمه الله- أنه قال: « كانت الشهرة فيما مضى في تذييلها فالشهرة اليوم في تقصيره »[(٢)]

وهذا القول ليس بصحيح فليس تطبيق السنة من الشهرة المذمومة لكن يجب على من أقام هذه السنة أن يكون قصده خالصاً لله سبحانه وتعالى، والذي يخشى الوقوع في الرياء يجب عليه أن يقيم السنة ويجاهد نفسه لتحقيق الإخلاص كما سبق بيان ذلك في الطرق الشرعية لتحصيل الإخلاص.

وأما دليل كون تقصير الثوب والإزار سنة ما رواه حذيفة -رضي الله عنه- قال: « أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضلة ساقي أو ساقه، وقال: هذا موضع الإزار، فإن أبيت فأسفل، فإن أبيت فلا حقّ للإزار في الكعبين »[(٣)]

١٨- إغاظة الأعداء بفعل العبادة مع الإخلاص فيها:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يرملوا ثلاثة أشواط، ويمشوا ما بين الركنين ليرى المشركون جلدهم، فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أنّ الحمى قد وهنتهم، هؤلاء أجلد من كذا وكذا»[(٤)]

---

(١) ينظر مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام، ٢٣/ ١٧٣-١٧٤.

(٢) شعب الإيمان، للبيهقي، ٥/ ١٧٢، برقم [٢٦٤٣].

(٣) أخرجه الترمذي، أبواب اللباس، ٥/ ٣٩٢، برقم [١٨٤٣] وأخرجه ابن ماجه، كتاب اللباس، باب موضع الإزار أين هو، ٤/ ١٤٨ برقم [٣٥٧٢]، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤/ ٣٦٤، برقم [١٧٦٥].

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب الرمل في الطواف والعمرة، ٥/ ١٣، برقم [١٢٦٦].

قال الصنعاني –رحمه الله–: « وفيه دليل على أنّه لا بأس بقصد إغاظة الأعداء بالعبادة، وأنه لا ينافي إخلاص العمل بل هو إضافة طاعة إلى طاعة، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ﴾[1]»[2]

١٩- القيام للزائر لفضله:

قال النووي –رحمه الله –: «وأمّا القيام فالذي نختاره أنه مستحب لمن فيه فضيلة ظاهرة من علم أو صلاح أو ولادة أو ولاية مصحوبة بصيانة، ويكون على جهة البر والإكرام لا للرياء والإعظام، وعلى هذا استمر عمل الجمهور من السلف والخلف...»[3]

٢٠- التورية لمن أحدث في صلاته بمسك أنفه إذا انصرف:

وهذا ليس من الرياء، قال المناوي – رحمه الله –عنه: « ... ولا يدخل في الرياء بل هو التجمل واستعمال الحياء، وطلب السلامة من الناس ... »[4]

٢١- المبارزة في الجهاد:

ذهب بعض الفقهاء إلى عدم جواز طلبها لأنّ فيها رياءً، وخروجاً إلى ما نهى الله عنه من لقاء العدو، وإنما تكون إذا طلبها الكافر[5]،وبغض النظر عن حكمها فإنّ التعليل بكونها رياءً مرفوض، والتفريق بين ما طلبه العدو وما لم يطلبه غير صحيح لأنها شرعت مطلقة؛ وترك التفصيل يدل على الجواز المطلق، وهل يعقل أن يفعلها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمامه ويقرهم على ما فيه رياء، نعم كل العبادات عرضة للرياء ولكن على المسلم بذل جهده للتخلص منه مع إقامته تلك العبادة، وقد بارز علي بن

(١) (التوبة ١٢٠)

(٢) سبل السلام، ٤/ ٢٨٦.

(٣) روضة الطالبين، للنووي، ١٠/ ٢٣٦ ، المكتب الإسلامي، بيروت، الثانية، ١٤٠٥هـ.

(٤) فيض القدير، ١/٢٤٩.

(٥) تفسير القرطبي، ١٨/ ٧٩

أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم بارزوا عتبة بن ربيعة وابنه وأخوه في بدر لما طلبها هؤلاء المشركون.[١]

٢٢- تخفيف الصلاة إذا جلس لجنبه رجل يريده:

وهذا يقال عنه ما قيل في الفقرة رقم ١٤، وقد قال ابن القيم -رحمه الله- في هذا الأمر: « فائدة: ذكر أيضاً عن مجاهد قال جلست إلى عبد الله بن عمر وهو يصلي فخفف ثم سلم، ثم قال: إنّ حقاً عليَّ أو سنة إذا جلس الرجل إلى الرجل وهو يصلي التطوع أن يخفف، ويقبل إليه »[٢]

٢٣- إلانة المنكب في الصلاة:

فقد ذهب البعض إلى أنّ هذا الفعل في الصلاة رياء .[٣]

وهذا فهمٌ غير صحيح يرده قوله صلى الله عليه وسلم: (خياركم ألينكم مناكب في الصلاة)[٤]

قال العظيم أبادي -رحمه الله- في تعليقه على الحديث السابق : (قيل معناه أنه إذا كان في الصف وأمره أحد بالاستواء أو بوضع يده على منكبه ينقاد ولا يتكبر)[٥]

---

(١) ينظر لها سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب المبارزة، ٧/ ٢٣٤، برقم [٢٦٦٢] وصحح سنده د/ باسم جوابرة في تحقيقه لكتاب الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، لابن كثير، ٩٩، مكتبة المعارف، الرياض، الأولى، ١٤٢٠هـ.

وينظر لبيان حكم المبارزة اختيارات ابن قدامة الفقهية، د/ علي سعيد الغامدي، ١/ ٧٠٦- ٧٠٧، دار طيبة، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ.

(٢) بدائع الفوائد، ٣/ ٧١١.

(٣) ينظر رد المحتار على الدر المختار، ١/٥٧٠ ((متن الدر)).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، ٢/ ٢٦٠، برقم [٦٦٨]، والبيهقي في السنن الكبرى، ٣/ ١٤٤، برقم [٥١٨٨] وصحح الألباني -رحمه الله – الحديث لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٣٣٣، برقم [٤٩٧].

(٥) عون المعبود، ٢/٢٦٠-٢٦١.

٢٤- نشاط العبد بالعبادة عند رؤية العابدين محاكاة لهم، واتباعاً لآثارهم مع كون العمل خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالى ولا شك أنّ هذا ليس برياء إذا لم يكن باعثه مشاهدة المخلوقين بل هو من بركات مجالسة الصالحين، الدالين على الخير والمتبعين لسنن المرسلين.

قال ابن قدامة[١] -رحمه الله-: «قد يبيت الرجل مع المتهجدين، فيصلون أكثر الليل، وعادته قيام ساعة فيوافقهم، أو يصومون فيصوم، ولولاهم ما انبعث هذا النشاط.

فربما ظنَّ ظانٌّ أنّ هذا رياء، وليس كذلك على الإطلاق بل فيه تفصيل، وهو: أنّ كل مؤمن يرغب في عبادة الله تعالى ولكن تعوقه العوائق، وتستهويه الغفلة، فربما كانت مشاهدة الغير سبباً لزوال الغفلة واندفاع العوائق...»[٢].

٢٥- الشهرة التي لم يتعمد الإنسان طلبها:

فقد اشتهر الأئمة الأربعة وغيرهم من سلف الأمة، ولا يعد هذا قدحاً في إخلاصهم، بل دليلٌ على إخلاصهم، ودليلٌ على قبول عملهم؛ لأنّ الله نشر ذكرهم، وجعل المؤمنين يقتدون بهم.

قال ابن قدامة -رحمه الله-: « المذموم طلب الإنسان الشهرة، وأمّا وجودها من جهة الله تعالى من غير طلب الإنسان فليس بمذموم...»[٣].

---

(١) ابن قدامة: هو أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن قدامة المقدسي (٦٥١-٦٨٩هـ) كان خطيبًا مدرسًا وقاضيًا، سمع من كثير من أهل العلم، وكان حسن السيرة مليح الشكل عاش ثمانيًا وثلاثين سنة.
ينظر: النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي ١٧٤/٦، طبع مصر.

(٢) مختصر منهاج القاصدين، لأحمد بن عبد الرحمن ابن قدامة المقدسي، ٢٨٨، تحقيق: علي حسن علي عبد الحميد، دار عمان، الأردن، الثانية، ١٤١٥هـ.

(٣) مختصر منهاج القاصدين، ٢٧٠.

٢٦- سؤال الله بالعمل الصالح، لتفريج الكربات، وإجابة الدعاء:

وهذا من الأعمال التي لا تنقص من الإخلاص في العمل الصالح الذي سأل به العبد، كما في قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، فسأل الكل بعمله الصالح أن يفرج الله لهم كربتهم، فأجاب الله دعاءهم(١).

وما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قصتهم إلا مثنياً عليهم دالاً أمته على أن يأخذوا العبرة منها.(٢)

٢٧- التبكير في الذهاب إلى الجمعة من الأمور المندوبة والتي حث الشرع عليها:

ذهب بعض الفقهاء إلى كراهة التبكير في الحضور لصلاة الجمعة خشية الرياء (٣).

وهذا القول ليس بصحيح، فقد جاءت النصوص الشرعية حاثةً على التبكير في الذهاب لصلاة الجمعة، قال صلى الله عليه وسلم: (إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأوّل فالأوّل، فإذا جلس الإمام طووا الصحف، وجاءوا يستمعون الذكر، ومثل المهجِر كمثل الذي يهدي البدنة، ثمّ كالذي يهدي بقرة ثمّ الذي يهدي الكبش، ثمّ كالذي يهدي الدجاجة، ثمّ كالذي يهدي البيضة)(٤)

واختلف العلماء في معنى التهجير، هل هو الذهاب في الهاجرة؟ أم المراد به التبكير؟ قولان، من رجح الأول كره الذهاب أول النهار، ومن رجح الثاني أجازه، وقد رجح النووي القول الثاني.(٥)

وعلى كلا القولين فالتعليل بكراهة التبكير خشية الرياء غير صحيح لأنّ كل

---

(١) سبق تخريجها في ثمار الإخلاص تحت فقرة ١٠ .

(٢) ينظر الأذكار، للنووي، ٦١٢، ففيه تعليق مفيد، وينظر ثمار الإخلاص تحت فقرة رقم ١٠ ص ١٠٣ .

(٣) الشرح الكبير، لسيدي أحمد الدردير أبو البركات، ١/ ٣٨١.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل التهجير يوم الجمعة، ٣/ ٤٠٨، برقم [٨٥٠].

(٥) ينظر إكمال المعلم، للقاضي عياض، ٢٣٩/٣، وشرح النووي على مسلم، ٣/ ٤٠٩.

الأعمال مخوفة من الرياء، وليس التبكير فقط، فهل كل عمل مشروع يكره لخشية الرياء؟!

وعلى المسلم أن يأتي بكل عبادة يعملها خالصةً، ويجاهد نفسه في دفع كل ما يضاد الإخلاص وينقضه، ولا يترك ما شرعه الله للوساوس ويستسلم للشيطان فيكون قد وقع في محظور آخر. والله أعلم

وعموما فهذه بعض الأعمال التي يتوهم كونها ليست إخلاصاً، والصحيح أنها إخلاص، والضابط المميز للأعمال هل هي خالصة أم لا؟ ذكر في المبحث السابق وهو أنّ العبرة بالنيات والمقاصد ، فإن كان العمل لله كان خالصاً وإن كان لغيره لم يكن كذلك، وبالله التوفيق.

المبحث الرابع

ترك العبادة لتحقيق الإخلاص

تصور بعض الناس أنّ ترك العبادة يُمكّنُ من تحقيق الإخلاص؛ لأنّ العبادة عرضة للرياء والعجب ومفسدات الإخلاص، والسبيل للفرار من هذه المفسدات والآفات: ترك العبادة [١] ، وهذا التصور من التصورات الخاطئة عن حقيقة الإخلاص وأفرد لأهميته، وهذا التصور لعله نتج من عدّة أسباب منها:

١- إعتقاد صعوبة الإخلاص، وأنه من الأمور التي لا يمكن للمرء أن يحققه، وسبق بيان بطلانه.

٢- الإرجاء الذي دخل على عقيدة بعض المسلمين، ففصل العمل عن مسمى الإيمان، وسبق بيانه.

٣- ترك الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسلف الأمة.

٤- عدم الفهم الصحيح لمعنى الإخلاص، ومن فهم حقيقة الإخلاص، عرف أنه لا يمكن تحقيق الإخلاص دون عبادة الله سبحانه وتعالى، فالإخلاص لا يحقق إلاّ إن تمت أركان تحقيقه العملية، وهي ثلاثة:

١- متعبد: يقوم بالعبادة.

٢- عبادة: يقوم بها المتعبد.

٣- ومعبود: يقصد بالعبادة.

فالمتعبد يقوم بأداء عبادة يقصد بها معبوده وهو الله سبحانه وتعالى، وبدون هذه الأركان لا يمكن أن يحقق الإخلاص في الواقع العملي.

فهل يوجد إخلاص دون متعبد؟!

---

(١) ينظر تصفية القلوب، للذمار، ٢٦٥- ٢٦٧، ومختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة، ٢٨٧.

وهل يوجد إخلاص دون عبادة؟!

وهل يوجد إخلاص دون معبود؟!

إنَّ تارك العبادة في الحقيقة لم يأت بالإخلاص الذي أمر به فتركُ العبادة تركٌ للإخلاص.

ولم يقف الحال عند بعض الصوفية ومن سلك سبيلهم في هذا التصور عند هذا الحد، بل لُبس على البعض منهم حتى وصل به الحال أن يترك المأمور ويفعل المحظور ويزعم أن ذلك هو عين الرضا، فهو راض بكلّ ما يقضي به الله إن عذبه أو رحمه فيفسق، ويعصي، ويكفر حتى يعاقبه الله ويرضى بعقابه — بزعمه — ومن ثمّ ينال درجة الرضا بقضائه! وهؤلاء هم الملامية وقد سبق الكلام عليهم .[1]

ويحكى لهم ابن القيم -رحمه الله- شبهة، حيث قال: « ... والمنحرفون منهم يقولون: المقصود من العبادة جمعية القلب على الله، فإذا جاء ما يفرقه عن الله لم يلتفت إليه، وربما يقول قائلهم:

يطالب بالأوراد من كان غافلاً فكيف بقلبِ كل أوقاته ورد؟

ثم هؤلاء قسمان:

منهم من يترك الواجبات والفرائض لجمعيته.

ومنهم من يقوم بها ويترك السنن والنوافل، وتعلم العلم النافع لجمعيته ... »[2]

ويبطل دعواهم ومسلكهم أنّ الله سبحانه وتعالى ما خلق الخلق إلا لعبادته وتوحيده بهذه العبادة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[3] فمن لم يعبد الله لم يحقق التوحيد! ومن لم يعبد الله لم يحقق الإخلاص.

---

(١) ينظر الاستقامة، لشيخ الإسلام، ٢/ ١٣٧ –١٣٨ وينظر صـ ١٨٠.

(٢) مدارج السالكين، ١/ ١١١.

(٣) (الذاريات ٥٦).

والله سبحانه وتعالى كلف بعبادته ليميز المحسن من المسيء، والطائع من العاصي، والشاكر من الجاحد.

وعلى عبادة الله درج الأنبياء وعباد الله الأتقياء في عبادة ربهم لنيل رضى مليكهم، قال الله سبحانه وتعالى عن نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام:

﴿ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾(1).

وكيف يأنس قلب ويجتمع إذا كان صاحبه تاركاً لعبادة ربه ومولاه؟!(2)

يقول شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى–:

«والقلب فقير بالذات إلى الله من وجهين:

من جهة العبادة، وهي العلة الغائية، ومن جهة الاستعانة والتوكل، وهي العلة الفاعلية فالقلب لا يصلح، ولا يفلح، ولا يلتذ، ولا يسر، ولا يطيب، ولا يسكن، ولا يطمئن إلاّ بعبادة ربه وحبه، والإنابة إليه، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن و لم يسكن؛ إذ فيه فقرٌ ذاتي إلى ربه، ومن حيث هو معبوده، ومحبوبه، ومطلوبه، وبذلك يحصل له الفرح، والسرور، واللذة، والنعمة، والسكون، والطمأنينة »(3)

ومن النصوص الشرعية التي تبطل دعوى من ترك العبادة غير ما سبق:

١– قال تعالى:﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾(4).

٢– وقال صلى الله عليه وسلم: (اعملوا فكلٌ ميسرٌ، أمّا أهل السعادة فييسرون لعمل

(١) (النمل ٤٠).

(٢) ينظر العبادة في الإسلام، د/ يوسف القرضاوي، ٩٥–٩٦، الرسالة، بيروت، طبعة رقم/ ٢٤، ١٤١٣هـ.

(٣) مجموع الفتاوى، ١٠/ ١٩٣ –١٩٤.

(٤) (التوبة ١٠٥)

أهل السعادة، وأمّا أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة)[١]

فانظر رحمك الله أُمر العبد بالعمل حتى مع مُضيّ القدر.

ولو علم المرء فوائد العبادة لما طاب له أن يتركها، وأن يشتغل بغيرها، قال الرازي -رحمه الله-: (اعلم أنّ من عرف فوائد العبادة طاب له الاشتغال بها؛ وثقل عليه الاشتغال بغيرها، وبيانه من وجوه:

الأول: أنّ الكمال محبوبٌ بالذات، وأكمل أحوال الإنسان وأقواها في كونها سعادة: اشتغاله بعبادة الله، فإنه يستنير قلبه بنور الإلهية، ويتشرف لسانه بشرف الذكر والقراءة...

الثاني: أن العبادة أمانة بدليل قوله تعالى:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾[٢] وأداء الأمانة واجب عقلاً وشرعاً بدليل قوله:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾[٣] وأداء الأمانة صفة من صفات الكمال محبوبة بالذات؛ ولأنَّ أداء الأمانة من أحد الجانبين سبب لأداء الأمانة من الجانب الثاني؛ قال بعض الصحابة: رأيت أعرابياً أتى باب المسجد، فنزل عن ناقته وتركها ودخل المسجد وصلى بالسكينة والوقار ودعا بما شاء، فتعجبنا، فلما خرج لم يجد ناقته فقال: إلهي أديت أمانتك فأين أمانتي؟ قال الراوي فزدنا تعجباً، فلم يمكث حتى جاء رجل على ناقته وقد قطع يده وسلم الناقة إليه ...

الثالث: أن الاشتغال بالعبادة انتقال من عالم الغرور إلى عالم السرور، ومن الاشتغال بالخلق إلى حضرة الحق، وذلك يوجب كمال اللذة والبهجة، يحكى عن أبي حنيفة أنّ حية سقطت من السقف، وفرق الناس،وكان أبو حنيفة في الصلاة و لم يشعر بها

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي...، ٨/ ٤٤٣، برقم [٢٦٤٧]

(٢) (الأحزاب ٠٧٢)

(٣) (النساء ٠٥٨)

...ومن استبعد هذا فليقرأ قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾[1].

فإذا جاز هذا في حق البشر فلأن يجوز عند استيلاء عظمة الله على القلب أولى، ولأنّ من دخل على ملك مهيب فربما مر به أبواه، وبنوه، وهو ينظر إليهم ولا يعرفهم لأجل أنّ استيلاء هيبة ذلك الملك تمنع القلب عن الشعور بهم، فإذا جاز هذا في حق ملك مخلوق مُجازى، فلأن يجوز في حق خالق العالم أولى »[2]

وبما سبق يتضح بطلان ترك العبادة لتحقيق الإخلاص، كما ينبغي أن يعلم أنّ تارك العبادة قد وقع فيما فرَّ منه وزاد؛ لأنه فرَّمن الرياء لكنه وقع في ملاحظة المخلوقين وترك العبادة لأجلهم – وسبق بيان أن هذا العمل ليس من الإخلاص –فقد جمع بين ترك الأمر بالعبادة، وملاحظة المخلوقين ووقع في بدعة، ولو طلبوا تحقيق الإخلاص من طرقه المشروعة لأمكنهم صدُّ وساوس الشيطان، ولقاموا بما افترض عليهم فعله دون أن يأتوا ببدعة ويخالفوا السنة.

قال الشاطبي –رحمه الله-: « ... كما أنّه إذا وجبت عليه الصلاة أو الجهاد عيناً، أو الزكاة فلا يرفع وجوبها عليه خوف الرياء والعجب، وما أشبه ذلك وإن فُرض أنه وقع به؛ بل يؤمر بجهاد نفسه في الجميع »[3].

فهل تارك العبادة ليحقق الإخلاص مجاهد لنفسه، أم أنه مفرط في الجميع؟!.

---

(١) (يوسف ٠٣١)

(٢) التفسير الكبير، للفخر الرازي، ١/ ٢٤٩-٢٥٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثالثة.

(٣) الموافقات، ٣/ ٩٥.

المبحث الخامس

ترك العمل وطلب الرزق لنبذ الدنيا وتحقيق الإخلاص

كما نتج فهمٌ خاطئ من أنّ ترك العبادة يحقق الإخلاص، كذلك نتج مفهوم خاطئ عكس ذلك المفهوم، وهو الظن أنَّ ترك العمل وطلب الرزق محقق للإخلاص؛ لأنّه يطرد بذلك الدنيا من قلبه كليةً ولا تشغله، وبهذا يحقق إخلاصه، ومن ثمَّ دعوا للزهد بالإعراض عن الدنيا كليةً، وتصوروا أنَّ الزهد فيها المحقق للإخلاص هو: ترك كل عملٍ يتعلق بالدنيا ولو كان طلب الرزق والاكتساب للمعاش، وهذا التصور من التصورات الخاطئة عن حقيقة الإخلاص وأفرد لأهميته.

ولعل هذا التصور أكثر انتشاراً من السابق عند المتصوفة ومن سار على طريقتهم، والناظر في سلوك المتصوفة يرى تطبيقهم لهذا السلوك،ويسمع دعوتهم له، ومن تلك الدعوة لهذا السلوك ما يلي:

قال الجنيد -رحمه الله-: «أحبُّ للمبتدئ ألاّ يشغب قلبه بهذه الثلاث، وإلاّ تغيّر حاله: التكسب، وطلب الحديث، والتزوج، وأحبُّ للصوفي ألاّ يقرأ ولا يكتب، لأنه أجمع لهمه»[1].

وقال أبو عثمان[2]: « الزهد أن تترك الدنيا ثمّ لا تبالي بمن أخذها»[3].

وقال أبو علي الدقاق[1]: « الزهد أن تترك الدنيا كما هي، لا تقول أبني رباطاً أو

(١) قوت القلوب، لأبي طالب المكي، ٢/ ١٩٥، المطبعة العصرية، القاهرة، الأولى، ١٣٥١هـ.

(٢) أظنه أبو عثمان النيسابوري وهو سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيري النيسابوري، أصله من الري، قال عنه الذهبي: « الإمام، المحدث، الواعظ، القدوة، شيخ الإسلام ». كان مجاب الدعوة، وهو للخرسانيين نظير الجنيد للبغداديين.

ينظر: طبقات الصوفية، للسلمي، ١٧٠-١٧٥، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٤/٦٢-٦٦.

(٣) الرسالة القشيرية، ١١٦.

أبني مسجداً »[٢].

وسئل الجنيد عن الزهد فقال: « خلو اليد من الملك، والقلب من التتبع »[٣].

ويقول الحارث المحاسبي[٤] -رحمه الله-: «...وكطلب الدنيا بعد القوام لينفق في أمر الآخرة، فيؤمر العوام بترك ذلك كله، إذ كان لا يقوم به إلاّ الخواص الأقوياء الذين لا تميلهم الدنيا، ولا يستنفرهم الطمع...»[٥].

وجماع شبهتهم:

هو أنّ طلب الدنيا كُلاً أو جزءاً -ومن ذلك طلب الرزق والاكتساب للمعاش- ينفي إخلاص المرء ولا يحققه، أو ينقصه ولا يكمله؛ لأنه يشغل المرء عن آخرته.

ولهذا دعوا للإعراض عن الدنيا كلية حتى التكسب طلباً للرزق، وعدوه من أركان التصوف كما قال أحدهم معدداً أركان التصوف فذكر منها : «...وترك الاكتساب،

=

(١) هو: الحسن بن علي النيسابوري المعروف بالدقاق، أبو علي، (ت ٤١٢هـ) الزاهد الواعظ، أخذ عنه القشيري الزهد والتصوف، وتزوج بابنته فاطمة أم البنين.

ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير، ١٢/١٤، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٨/٤٧٩-٤٨٠، في ترجمة ابنته فاطمة حيث عرض له ضمنا.

(٢) الرسالة القشيرية، ١١٦.

(٣) المصدر السابق، ١١٧.

(٤) هو: الحارث بن أسد البغدادي، المحاسبي، أبو عبد الله (ت ٢٤٣هـ) الزاهد العارف، شيخ الصوفية، صاحب التصانيف الزهدية، قال عنه الذهبي: « ... وورد أن الإمام أحمد أثنى على حال الحارث من وجه وحذر منه »، وإنما أنكر عليه اشتغاله بعلوم لم تؤثر عن السلف، له عدّة تصانيف منها: الرعاية لحقوق الله، رسالة المسترشدين، التوهم، وغيرها.

ينظر: طبقات الصوفية، للسلمي، ٥٦-٦٠، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٢/١١٠-١١٢، والأعلام، للزركلي، ٢/١٥٣.

(٥) الرعاية لحقوق الله، للحارث المحاسبي، ٣٣٠، تحقيق د/ عبد الرحمن عبد الحميد البر، دار اليقين، المنصورة، مصر، الأولى، ١٤٢٠هـ.

وتحريم الادخار...»[١].

وقال رويم -رحمه الله- عندما سئل عن الزهد ما هو ؟ قال : «هو ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا»[٢]

ولبيان فساد مسلكهم نذكر المعنى الصحيح للزهد في الدنيا ولكن باختصار ثم نذكر النصوص المبطلة لهذا التصور.

الزهد في الدنيا من الأمور المشروعة، وقد نهينا عن الاغترار بالدنيا وتضييع الآخرة من أجلها كما قال تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾[٣].

وقال تعالى:﴿ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾[٤].

وقال تعالى:﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[٥].

ولكن ما هو الزهد المشروع في الدنيا؟ وما المفهوم الصحيح للزهد في الدنيا؟ وهل كل طلبٍ وعمل بها يذم؟

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- في بيان معنى الزهد المشروع: « «والزهد» النافع المشروع الذي يحبه الله ورسوله هو: الزهد فيما لا ينفع في الآخرة، فأمّا ما ينفع في

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف، للكلاباذي، ٨٩ .

(٢) اللمع، لأبي السراج الطوسي، ٧٢، مطبعة السعادة، نشر دار الكتب الحديثة، مصر، وينظر التعرف لمذهب أهل التصوف، للكلاباذي، ٢٥.

(٣) (فاطر ٠٠٥)

(٤) (النساء ٠٧٧)

(٥) (الرعد ٠٢٦)

الآخرة وما يستعان به على ذلك فالزهد فيه زهد في نوع من عبادة الله وطاعته، والزهد إنما يراد لأنّه زهد فيما يضر، أو زهد فيما لا ينفع، فأمّا الزهد في النافع فجهل وضلال»[١]

وأما أقسام الزهد فيقول ابن القيم-رحمه الله- فيه:

«وهو ثلاثة أقسام: زهد في الحرام، وزهد في الشبهات والمكروهات، وزهد في الفضلات.

فالأول فرض، والثاني فضل، والثالث متوسط بينهما بحسب درجة الشبهة وإن قويت التحق بالأول، وإلا فبالثالث...»[٢]

وبعد البيان لمعنى الزهد يأتي السؤال: هل العمل في الدنيا طلباً للرزق، والاكتساب للمعاش، والاستغناء عن الناس بذلك ينافي الزهد والإخلاص؟ أم أنَّ ذلك أمر مشروع ومعينٌ على الطاعة ولا يقدح في الإخلاص، ولا ينفي الزهد؟

والجواب: إنّ الناظر في نصوص الشرع من كتاب وسنة يرى أنها جاءت آمرة بالسعي في الأرض، وطلب الرزق، ومبيحة للطيبات المباحة التي أحلها الله، كما أنّ الناظر في سيرة سلف الأمة يرى أنهم كانوا يسعون في الأرض ويطلبون الرزق ومع ذلك كانوا أفضل الناس وأكملهم إخلاصاً.

كل ذلك يبين أن طلب الرزق والعمل في الدنيا لكسب المعاش من الأمور النافعة في الآخرة والمعينة على الطاعة؛ لذا فلا يعدُّ طلب الرزق والسعي في الأرضٍ فيما أباحه الله ليستعين المرء به على أمر آخرته بتحصيل دنياه لا يعد من قوادح الإخلاص ولا يعد من فعل ذلك حريصاً على دنياه مفرطا في أخراه، بل ممتثلا لنصوص الشرع التي دلت على هذا المعنى ومن تلك النصوص ما يلي:

---

(١) مجموع الفتاوى، ١٠/ ٥١١، وينظر عدّة الصابرين، لابن القيم، ٤٠٥.

(٢) عدة الصابرين، ٤٠٥، وينظر جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ٢/ ١٨٥ -١٨٦.

١- قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾(١).

٢- وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ ﴾(٢).

٣- وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾(٣).

٤- وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾(٤).

هذه بعضٌ من النصوص القرآنية التي أباحت طلب الرزق والسعي في الأرض.

ومن نصوص السنة النبوية التي دلت على هذا المعنى ما يلي:

١- قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: (ما أكل أحدٌ طعاماً قطٌ خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإنّ نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده) (٥)

٢- وقال عليه الصلاة والسلام: (لأن يحتطب أحدُكم حُزمةً على ظهره خيرٌ من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه) (٦)

٣- وقال عليه الصلاة والسلام في دعائه لأنس بن مالك رضي الله عنه: (اللهمّ أكثر

---

(١) (الأعراف ٠٣٢)

(٢) (البقرة ١٩٨)

(٣) (التوبة ١٠٥)

(٤) (الملك ٠١٥)

(٥) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، ٤/ ٣٨٤، برقم [٢٠٧٢].

(٦) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، ٤/ ٣٨٤، برقم [٢٠٧٤].

ماله، وولده، وبارك له فيما أعطيته) [١]

ولو كان وجود المال – وطلب الرزق من أسباب حصوله – مما يضاد الإخلاص وينفي الزهد لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنس بتكثير المال.

وأما سيرة سلف الأمة رضوان الله عليهم فهي امتثالٌ لهذه النصوص الشرعية، ومن ذلك:

سأل ابن عيينة –رحمه الله–: « الرجل يقنع بما يلقيه الناس مثل: البطيخ المدوِّد، وغير ذلك مما يلقيه الناس، فيتقممه ويتفرغ لعبادة الله؟

قال: قد اتجرت الأنبياء أنفسها، وقد تجر أبو بكر، وقد تجر عمر، وتجر عثمان أُحذِّر امرءاً أن تمقته قلوب المؤمنين »[٢]

وبعد هذا كله يتبين للقارئ الكريم أنَّ طلب الرزق والعمل في الدنيا لكسب المعاش لا ينقض الإخلاص، ولا ينقصه ما دام أنّه لا يشغل عن الآخرة، بل هو مما يعين على الآخرة وليس المذموم أن تكون الدنيا في يدك إنما المذموم أن تكون في قلبك فتصرفك عن آخرتك، قال ابن القيم –رحمه الله –: « فالزهد: فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليدين منها»[٣]

والنصوص السابقة تؤكد ما ذكره ابن القيم –رحمه الله–، ولعلَّ بهذا يبين بطلان هذا التصور الباطل، ويتضح الحق، والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أنس بن مالك، ٨/ ٢٧٨، برقم [٢٤٨٠].

(٢) ينظر ذم الرياء، للضراب، ١٩٩ – ٢٠٠، برقم [١٢٥].

(٣) عدة الصابرين، ٤٠٥.

الباب الثاني

نواقض الإخلاص

تمهيد:

هذا الباب عقد لبيان نواقض الإخلاص وشوائبه ولكن ماذا يقصد بالنواقض؟

النواقض جمع ناقض، مأخوذة من نقض، والمعنى اللغوي لها:

قال ابن فارس -رحمه الله- تحت مادة ((نقض)): ((النون، والقاف، والضاد، أصل صحيح يدل على نكث الشيء...))[١]

وقال الفيروز آبادي - رحمه الله -: ((النقض: في البناء، والحبل، والعهد وغيره، ضد الإبرام...))[٢]

وقال ابن منظور -رحمه الله -: ((النقض: إفساد ما أبرمت من عقدٍ، أو بناء...))[٣]

ويتضح من السابق معنى النواقض في اللغة وأنها يراد بها:

إفساد الشيء بعد إتمامه، كإفساد البناء بهدمه ،أو إفساد الشيء بعد العمل به كإفساد العهد، ونكث الحبل بعد إبرامه.

وأمّا المقصود بنواقض الإخلاص فيتضح من المعنى اللغوي السابق وأنها: ((كل ما أفسد الإخلاص، وهدم العمل بسبب فقد الإخلاص فيه))

ونواقض الإخلاص ومفسداته كثيرة ،لكن عقد متفرقاتها: إرادة ما سوى الله بالعمل كائناً ما كان .[٤]

ويختلف أثر هذه النواقض والشوائب المكدرة للإخلاص؛ باختلاف النواقض، وباختلاف أحكامها، وعقد هذا الباب لبيان أشهر شوائب الإخلاص ونواقضه، وإبراز أحكامها التي تبين أثرها على الإخلاص.

---

(١) معجم المقاييس في اللغة، ١٠٤٥، وينظر مفردات ألفاظ القرآن، تحت مادة ((نقض))، للراغب الأصفهاني،٨٢١ .

(٢) القاموس المحيط، ٢ /٣٥٩.

(٣) لسان العرب، ٣/ ٧٠٥ .

(٤) مدارج السالكين، ٢/ ١٠٤، بتصرف يسير .

الفصل الأول

الشرك الأكبر

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريفه.

المبحث الثاني: حكمه.

المبحث الثالث: أنواعه.

المبحث الرابع: حكم الأعمال التي أخلص فيها الكفار والمشركون.

المبحث الخامس: بيان مناقضته للإخلاص.

المبحث الأول

تعريف الشرك

تعريف الشرك في اللغة:

مادة الشرك لها أصلان:

أحدهما: يدل على المقارنة وخلاف الإنفراد.

الثاني: يدل على الامتداد والاستقامة .[١]

فالأول: « الشرك » — بإسكان الراء — واشتقاقها من هذا الأصل:

شاركته في الأمر، وشركته فيه أشركه شِرْكاً -بكسر الأول وسكون الثاني-، ويأتي أيضاً: شركة -بفتح الأول وكسر الثاني-، ويقال: أشركته، أي: جعلته شريكاً[٢]

ومن المعاني على الأصل الأول:

١- المخالطة، والمشاركة، والضم، والمصاحبة.

قال ابن فارس -رحمه الله-: «الشركة: وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلاناً في الشيء، إذا صرت شريكه، وأشركتَ فلاناً: إذا جعلته شريكاً لك، قال الله جلَّ ثناؤه في قصة موسى:﴿ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ ﴾[٣]»[٤]

قال ابن منظور -رحمه الله-: « الشِّرْكَة والشَّركة سواءاً: مخالطة الشريكين، يقال: اشتركنا، بمعنى: تشاركنا، وقد اشترك الرجلان، وتشاركا وشارك أحدهما الآخر ...

---

(١) ينظر معجم المقاييس في اللغة، لابن فارس، ٥٥٧.

(٢) ينظر الصحاح، للجوهري، ٤/ ١٣٠٧ – ١٣٠٨، والمصباح المنير، للفيومي، ١١٨،مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م

(٣) (طه ٣٢).

(٤) معجم المقاييس في اللغة، ٥٥٧، وينظر مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني،٤٥١.

والشريك: المشارك، والشرك: كالشريك»[١]

٢- ومن المعاني التي تطلق عليها النصيب والحصة:

يقال شريك، وأشراك، كما قالوا: يتيم وأيتام، ونصير وأنصار، والأشراك جمع للشرك وهو النصيب، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (من أعتق شركاً له في مملوك...الحديث»[٢]

أي: حصة ونصيباً.[٣]

ولا يلزم من الاشتراك في الشيء التساوي في النصيب، فقد يكون أحدهما أكثر من الآخر، كما قال تعالى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ۝﴾[٤] وكان موسى عليه الصلاة والسلام أعظم حظاً في الرسالة من هارون عليه الصلاة والسلام [٥]

٣- ومن المعاني التي تطلق عليها: التسوية بين الأمور من حيث الاشتراك بها:

يقال: طريقٌ مشترك، أي: يستوي فيه الناس، واسم مشترك، أي: تشترك فيه معانٍ كثيرة، كالعين ونحوها فإنها تجمع معان كثيرة مع التساوي في إطلاق اللفظ عليها.[٦]

٤-ومن المعاني التي تطلق عليها: الكفر.[٧]

الثاني: الذي يدل على الاستقامة والامتداد:

ويطلق على المعاني التالية:

---

(١) لسان العرب، لابن منظور،٢/ ٣٠٦.

(٢) أخرجه البخاري – واللفظ له –، كتاب الشركة، باب الشركة في الرقيق، ١٦٩/٥، برقم [٢٥٠٣]، وأخرجه مسلم، كتاب العتق، باب من أعتق شركاً في عبدٍ، ٥/ ٣٩٣، برقم [١٥٠١]

(٣) ينظر تهذيب اللغة، تحت مادة «شرك»، للأزهري،١٠/ ١٧، وينظر لسان العرب،لابن منظور،٣٠٦/٢.

(٤) (طه ٣٢).

(٥) ينظر رسالة الشرك ومظاهره، لمبارك محمد الميلي،١٠٣، تحقيق/ أبي عبد الرحمن محمود، دار الراية، الرياض، الأولى، ١٤٢٢هـ

(٦) ينظر لسان العرب، لابن منظور ،٢/ ٣٠٦.

(٧) ينظر القاموس المحيط، للفيروز آبادي،٣/ ٣١٨، وينظر الكليات،لأبي البقاء،٥٣٣.

١- الشراك ككتاب، يطلق على : سير النعل على ظهر القدم[١].

٢- ويطلق على الشركة -بسكون الراء- بمعنى: معظم الطريق، ووسط الطريق[٢].

وقال الميلي[٣] -رحمه الله- موضحاً العلاقة بين معاني مادة شرك: ((ومرجع مادة " الشرك " إلى الخلط والضم:

فإذا كان بمعنى الحصة من الشيء يكون لواحد وباقيه لآخر أو آخرين، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[٤] فالشريك مخالط شريكه، وحصته منضمة لنصيب الآخر.

وإذا كان بمعنى الحبالة[٥]؛ فإنَّ مايقع فيها من الحيوان يختلط بها وينضم إلى ملك الصائد،وإذا كان بمعنى معظم الطريق ؛ فإنَّ أرجل السائرين،وأقدام الماشين، تختلط آثارها، وينضم بعضها إلى بعض،وإذا كان بمعنى سير النعل؛ فإنّ النعل تنضم به إلى الرجل فيخلط بينهما))[٦].

---

(١) ينظر معجم المقاييس، لابن فارس، ٥٥٧،وينظر تهذيب اللغة، للأزهري، ١٠/١٧، وينظر لسان العرب، لابن منظور،٢/ ٣٠٦، وينظر المصباح المنير، للفيومي، ١١٨.

(٢) ينظر المصادر السابقة

(٣) هو مبارك بن محمد بن إبراهيم الميلي الجزائري (١٣١٦-١٣٦٤هـ) ،من الدعاة المصلحين في الحاضر ، كان أمين مال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، رأس تحرير جريدة البصائر الأسبوعية ، صنف :رسالة الشرك ومظاهره ، وتاريخ الجزائر في القديم والحديث، له عدَّة مقالات نشرت في مجلات مختلفة ،ينظر : عيون البصائر ،آثار الشيخ محمد الإبراهيمي،٣/٣٩-٤٣،توزيع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الأولى،١٤٠٢هـ، وينظر معجم المؤلفين، لعمر كحالة، ٨/١٧٥

(٤) (فاطر ٤٠)

(٥) المقصود حبالة الصائد سميت بذلك لأنها تصنع من الحبال، ينظر معجم المقاييس،لابن فارس، ٢٩٤.

(٦) رسالة الشرك ومظاهره، ١٠٣

تعريف الشرك في الشرع:

إنَّ أجمع تعريف للشرك في الشرع هو قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- لما سئل، أي الذنب أعظم؟

قال صلى الله عليه وسلم: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك)(١)

والنِد -بالكسر- هو: المثيل، والشبيه، والنظير.

قال الحميدي(٢)-رحمه الله- فيه:

« والنديد: المِثلُ »(٣)

وقال ابن منظور – رحمه الله -: « والنِدُّ – بالكسر – المِثل والنظير »(٤)

وقال أيضاً: « نِدُّ فلان، ونديده، ونديدته، أي: مثله وشبهه »(٥)

وعلى ضوء الحديث السابق حاول أهل العلم تعريف الشرك، وتنوعت عباراتهم، فمنهم من كان تعريفه غير شامل، ومنهم من كان تعريفه شاملاً، وقد ورد البعض من هذه التعريفات في ثنايا كلامهم دون قصدٍ منهم للتعريف، كما ينبغي ملاحظة أمرين على هذه التعريفات التي لم تكن شاملة، وهما:

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ فلا تجعلوا الله أنداداً ﴾، ٨/ ٢٠٥، برقم [٤٤٧٧]، كما أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون الشرك أقبح الذنوب، ١/ ٣٥٧، برقم [٨٦].

(٢) هومحمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الحميدي الأزدي، أبو عبدالله (قرابة= ٤٢٠-٤٨٨هـ) ولد في جزيرة ميورقة بالأندلس، أخذ عن ابن حزم الظاهري وتأثر به وتمذهب عليه، وأخذ عن ابن عبدالبر وغيرهما، ورحل في طلب العلم، له مصنفات منها :تفسير غريب ما في الصحيحين، والجمع بين الصحيحين ، وجذوة المقتبس وغيرها، أثنى أهل العلم على علمه وزهده ، ينظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٩/ ١٢٠-١٢٧، والبداية والنهاية، لابن كثير، ١٢/ ١٦٣.

(٣) تفسير غريب ما في الصحيحين ، لمحمد بن أبي نصر الحميدي،٦٥،تحقيق د/ زُبيدة محمد سعيد، مكتبة السنة، القاهرة، الأولى، ١٤١٥هـ، وينظر مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٧٩٦، وينظر القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ١/ ٣٥٣.

(٤) لسان العرب، ٣/ ٦٠٧، وينظر الكليات، لأبي البقاء،٩١٣.

(٥) لسان العرب، ٣/ ٦٠٧.

١- أن تعريفهم للشرك بتعريف غير شامل لا يعني عدم معرفتهم له.

٢- كما أن تعريفهم غير الشامل قصد به التنبيه على ما هو منتشر أكثر من غيره، وما شاع في الناس دون ما لم يشع، ولهذا قصروا تعريفهم على نوعٍ معينٍ منه، إيضاحاً لهذا النوع ليدركه الناس.

وأسوق بعض تعريفاتهم لبيان الأمر وإيضاحه، وإبرازاً للمعنى المختار في تعريف الشرك، فمن تلك التعريفات:

١- قال الأزهري[1] -رحمه الله- :« الشرك: أن يجعل لله شريكاً في ربوبيته تعالى الله عن الشركاء والأنداد »[2] .

والتعريف لم يُذكر فيه إلاَّ الشرك في الربوبية.

٢- وقال ابن حزم -رحمه الله -:

« فلما كان اليهود والنصاري، يحرمون ما حرم أحبارهم ورهبانهم ويحلون ما أحلوا؛ كانت هذه ربوبية صحيحة، وعبادة صحيحة قد دانوا بها، وسمى الله تعالى هذا العمل اتخاذ أرباب من دون الله وعبادةً، وهذا هو الشرك بلا خلاف »[3]

وهو كالسابق.

٣- وقال الصنعاني -رحمه الله- ذاكراً بعض أفراده: « أنَّ من اعتقد في شجر، أو حجر، أو قبر، أو ملك، أو جني، أو حي، أو ميت: أنه ينفع أو يضر، أو أنه يقرب إلى الله، أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوسل إلى الرب ... أو نحو ذلك؛ فإنه قد أشرك مع الله غيره واعتقد ما لا يحل اعتقاده كما

---

(١) هو محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري ،أبو منصور، الهروي مولداً ووفاةً (٢٨٢-٣٧٠هـ) اللغوي،الشافعي،كان رأساً في اللغة، والفقه، ثقة ثبتا ،دينا،رحل في طلب العلم ،أسر عند القرامطة،واستفاد منهم ألفاظاً جمة،له مصنفات منها : تهذيب اللغة ، والزاهر، وعلل القراءات،وغيرها . ينظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٦/٣١٥-٣١٧،والأعلام، للزركلي، ٣١١/٥.

(٢) تهذيب اللغة، ١٠/ ١٦.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٣/ ١٢٥، تحقيق/ عبد الرحمن خليفة، الأولى، ١٣٤٧هـ.

اعتقد المشركون ... »[١]

وهناك من قصر تعريف الشرك على الشرك في العبادة والألوهية وسبق القول أن هذا بقصد منهم — والله أعلم — لأنَّ الشرك في العبادة كان في وقتهم أكثر من غيره، ومن تلك التعريفات:

٤- قال ابن القيم -رحمه الله-: «حقيقة الشرك هو: التشبيه بالخالق والتشبيه للمخلوق به، هذا هو التشبيه في الحقيقة ... فالمشرك: مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية»[٢]

٥- وقال الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: «هو أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة، فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى فقد اتخذه رباً وإلهاً، وأشرك مع الله غيره»[٣]

٦- وقال -رحمه الله- عن المشرك: «الذي يوحد الله بأفعاله سبحانه ويشرك بأفعاله بنفسه»[٤]

٧- وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن[٥] -رحمه الله -: «الشرك: جعل شريك لله تعالى فيما يستحقه، ويختص به، من العبادة الباطنة والظاهرة،

---

(١) تطهير الاعتقاد، ٥٥.

(٢) الداء والدواء، ٢٢٩.

(٣) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب — رحمه الله —، ١/ ٣٨١.

(٤) المصدر السابق، ١/ ٤٧، نشر جامعة الإمام، تحقيق/ د: عبد العزيز الرومي وآخرون

(٥) هو عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب آل الشيخ (١٢٢٥-١٢٩٣هـ) العلامة القدوة الفهامة،ولد في مدينة الدرعية ثم انتقل لمصر لما حلت بها النكبة على يد إبراهيم باشا عام ١٢٣٣هـ ، درس على علماء الأزهر الفنون المختلفة مع أخذه عن بني عمومته في مصر العقيدة الصحيحة، ومنهم والده الشيخ عبدالرحمن، عرف بالذكاء والنجابة، وذرابة اللسان، عاد لنجد عام ١٢٦٤هـ ، واشتغل بالدعوة والرد على المبتدعة، له مصنفات منها: مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام، ومنهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس ،وغيرها. ينظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، لعبدالله البسام ، ١/٢٠٢-٢١٤،العاصمة، الثانية، ١٤١٩هـ.

كالحب والخضوع، والتعظيم، والخوف، والرجاء والإنابة، والتوكل، والنسك، والطاعة، ونحو ذلك من العبادات »[(١)]

٨- وقال أيضاً في معرض حديثه عن الشرك: « ... فمن عبد غير الله، وعدل بربه، وسوّى بينه وبين غيره في خالص حقه، صدق عليه أنه مشرك ضال غير مسلم»[(٢)]

٩- وقال السعدي -رحمه الله-: «فأما الشرك الأكبر: فهو أن يجعل لله نداً يدعوه كما يدعو الله، أو يخافه، أو يرجوه، أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعاً من أنواع العبادة»[(٣)]

١٠- وقال المعلمي[(٤)] -رحمه الله-: «...فنظرت في حقيقة الشرك: فإذا هو بالاتفاق اتخاذ غير الله عز وجلّ إلهاً من دونه، أو عبادة غير الله عز وجل »[(٥)]

١١- وقال الحكمي – رحمه الله -: « (اتخاذ العبد غير الله) من: نبي، أو ولي، أو ملك، أو قبر، أو جني ... أو غير ذلك (نداً) من دون الله، (مسوياً به) الله، يحبه كحب الله ويخافه، ويخشاه ...»[(٦)]

- أمّا التعريفات الشاملة التامة فمنها:

---

(١) تحفة الطالب والجليس، ٦٤، تحقيق/ عبد السلام برجس آل عبد الكريم، دار العاصمة، الرياض، الثانية، ١٤١٠هـ

(٢) مصباح الظلام،٣٧، دار الهداية، الرياض.

(٣) القول السديد في مقاصد التوحيد، ٢٤، طبع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

(٤) هو عبد الرحمن بن يحي بن علي بن محمد المعلمي، العتمي،(١٣١٣-١٣٨٦هـ) فقيه من العلماء بالحديث رواية ودراية، نسبته إلى بني المعلم من بلاد عُتمة باليمن، ولد ونشأ في عتمة، وسافر إلى جيزان في إمارة الإدريسي في عسير، وتولى رئاسة القضاء ولقب بشيخ الإسلام، وسافر للهند وعمل بدائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد مصححاً كتب الحديث ربع قرن، وعاد لمكة، وعين أميناً لمكتبة الحرم المكي إلى أن مات فيها، له كتب نفيسة منها :العبادة، التنكيل، الأنوار الكاشفة، وغيرها. ينظر : الأعلام، للزركلي، ٣/٣٤٢.

(٥) العبادة،لعبد الرحمن المعلمي، مخطوط ورقة رقم/١.

(٦) معارج القبول، ٢/ ٤٨٣.

١٢- قال شيخ الإسلام – رحمه الله – عن الشرك: « فمن جعل لله نداً من خلقه فيما يستحقه عز وجل من الإلهية والربوبية فقد كفر إجماعاً »(١)

١٣- وقال الدهلوي – رحمه الله -: « إن حقيقة الشرك: أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال، خصها الله بذاته العلية، وجعلها شعاراً للعبودية، لأحد من الناس، كالسجود لأحد، والذبح باسمه والنذر له، والاستغاثة به في الشدة، واعتقاد أنه حاضر ناظر في كل مكان، وإثبات قدرة التصرف له، [فكذلك] (٢) يثبت به الشرك ويصبح الإنسان به مشركاً »(٣)

١٤- وقال محمد بن سلطان المعصومي(٤): « فمن اعتقد أنّ إنساناً، أو ملكاً، أو غيرهما من الموجودات يخلق كما يخلق الله، أو يقدر على تدبير شيء من أمور الخلق والتصرف فيها بقدرته الذاتية غير مقيد بسنن الله تعالى العامة في الأسباب والمسببات كأمثاله من أبناء جنسه، فقد اتخذه رباً.

وكذلك من أعطى أي إنسان حق التشريع الديني بوضع العبادات كالأوراد المبتدعة التي تتخذ شعائر موقوتة كالفرائض، فقد اتخذه رباً.

وأمّا إذا دعاه فيما لا يقدر عليه المخلوقون بما لهم من الكسب في دائرة السنن الكونية والأسباب الدنيوية، أو سجد له، أو ذبح القرابين له أو طاف بقبره، وتمسح به وقبله تقرباً إليه وابتغاء مرضاته وعطفه،أو إرضائه الله عنه،وتقريبه إليه زلفى،و لم يعتقد

---

(١) مجموع الفتاوى، ١/ ٨٨.

(٢) في الأصل وكذلك ولعل الصواب ماذكر .

(٣) رسالة التوحيد، ٣٢ - ٣٣.

(٤) هو محمد سلطان بن محمد أورون بن ملا مير سعيد بن ملا عبدالرحيم بن عبدالله بن عبد الصمد الخجندي، الحنفي، أبو عبد الكريم (١٢٩٧-١٣٧٩هـ) ولد في خجندة وسافر إلى خوقند ثم إلى بخارى لطلب العلم، ثم لمكة ثم للمدينة المنورة ثم للشام ثم لمصر ثم لتركيا ثم لبلده خجندة، ألف أكثر من تسعين كتاباً منها : تمييز المحظوظين عن المحرومين، وحكم الله الواحد الأحد، وتحفة الأبرار في فضائل سيد الاستغفار. ينظر :مقدمة كتاب تمييز المحظوظين حيث ترجم له محقق الكتاب،٩-١٥.

مع هذا أنه يخلق، ويرزق، ويدبر أمور العباد فقد اتخذه إلهاً لا رباً، فإن جمع بين الأمرين فهو المشرك في الربوبية والألوهية معاً»(١)

١٥- وقال السعدي – رحمه الله -: «حقيقة الشرك بالله: أن يُعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو يصرف له نوعٌ من خصائص الربوبية والإلهية»(٢)

ومما سبق من تعريفات العلماء يتضح أنَّ تعريف الشرك الأكبر:

هو صرف أي نوعٍ من خصائص الربوبية والإلهية لغير الله من العبادة والتعظيم وغيرهما مما هو من خصائص ربوبية الله وألوهيته.

أو يقال هو: أن يجعل الإنسان لله نداً في: ربوبيته، أو ألوهيته، أو أسمائه وصفاته.

(١) حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد، ٣٣٩، ضمن المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد، دار أطلس، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ٢٧٩.

المبحث الثاني

حكم الشرك الأكبر

الشرك الأكبر من الأمور التي حرمها الله سبحانه وتعالى في كتابه، وحرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته، وأجمعت الأمة على تحريمه، وهو أكبر الكبائر، لأنه مناقض للغاية التي خلق الله العباد لها، من عبادته وحده سبحانه وتعالى، ونبذ ما سواه، وصاحبه خالدٌ مخلدٌ في نار جهنم إن مات عليه ولم يتب منه، والنصوص في هذا المعنى كثيرة.

فمن نصوص الكتاب الكريم:

١- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[1].

قال الطبري – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: « فإنَّ الله لا يغفر الشرك به والكفر، ويغفر ما دون ذلك الشرك لمن يشاء من أهل الذنوب والآثام ... وذكر أنَّ هذه الآية نزلت في قوم ارتابوا في أمر المشركين حين نزلت ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2] ...»[3]

٢- وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ﴾[4].

٣- وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ

---

(١) (النساء ٠٤٨)

(٢) (الزمر ٠٥٣)

(٣) تفسير الطبري، ٥/ ١٢٥

(٤) (المائدة ٠٧٢)

﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾[١].

قال الراغب الأصفهاني -رحمه الله-: « وقد قال بعضهم: الظلم ثلاثـة:[الظـالم] [٢] الأعظم: وهو الذي لا يدخل تحت شريعة الله تعالى، وإياه عنى بقوله ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٣]...»[٤]

ومن نصوص السنة التي دلت على تحريم الشرك، وكونه أكبر الكبائر، وأنَّ صاحبه مخلد في النار ما يلي:

١- قال صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثا)؟ قالوا: بلى يا رسـول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين ...)[٥]

٢- وقال صلى الله عليه وسلم: (اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هنَّ؟ قال: الشرك بالله، والسحر ...)[٦]

٣- وقال صلى الله عليه وسلم: لمّا سئل عن الكبائر، قال: (الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وشهادة الزور) [٧]

٤-وقال صلى الله عليه وسلم: (من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يشـرك بالله شيئا دخل النار)[٨]

---

(١) (لقمان ٠١٣)

(٢) هكذا في الأصل ولعل الصواب الظلم .

(٣) (لقمان ٠١٣)

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة، ٣٥٨، تحقيق/ أبو اليزيد العجمي، دار الوفاء، المنصـورة،مصـر، الثانيـة، ١٤٠٨هـ

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، ٥/ ٣٢٢، برقم [٢٦٥٤]، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ١/ ٣٥٩ [٨٧]

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿ إن الذين يأكلون ... الآية ﴾، ٥/ ٤٨١، برقـم [٢٧٦٦]، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ١/ ٣٦٠، برقم [٨٩]

(٧) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، ٥/ ٣٢٢، برقم [٢٦٥٣]

(٨) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله، ١/ ٣٧٠، برقم [٩٣]

فهذه بعض نصوص الكتاب والسنة المبينة لحكم الشرك وحكم الواقع فيه، وأهل العلم متفقون على تحريمه، وأنه أكبر الكبائر، وأن صاحبه مخلد في نار جهنم.[١]

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: « أعظم ما نهي عنه: الشرك »[٢]

وقال ابن القيم – رحمه الله – مبيناً ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من العقائد: « فصل: فيما أجمعت عليه الأمة من أمور الديانة ..... ولا يحبط الإيمان غير الشرك بالله تعالى، كما قال سبحانه وتعالى﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾[٣]... »[٤]

وقال علي بن سلطان محمد القاري[٥] – رحمه الله –: «... ولم يزل معلوماً من دين الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم قبح الشرك، والوعيد عليه في النار، وأخبار عقوبات الله لأهله متداولة بين الأمم قرنا بعد قرن، فلله الحجة البالغة على المشركين ... .

---

(١) ينظر الاستذكار، لابن عبد البر، ٢٦/ ١٥٦،تحقيق/ د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار قتيبة، دمشق، الأولى، ١٤١٤هـ، وينظر مجموع الفتاوي، لشيخ الإسلام، ١/٨٨، وينظر موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، لسعدي أبو جيب، ٣/ ٩١٤ و ٣/ ١٠٥٥، و ٣/ ١١٥٠، دار الفكر دمشق، الثالثة، ١٤١٨هـ.

(٢) تلخيص كتاب الاستغاثة، ١/ ٢٩٠.

(٣) (الزمر ٦٥).

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية، ١٥٢،تحقيق/ عواد المعتق، مكتبة الرشد، الرياض، الثالثة، ١٤١٩هـ، وينظر كتاب الرد على المنطقيين، لشيخ الإسلام، ٢٩٢ – ٢٩٣، الناشر إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، الرابعة، ١٤٠٢هـ

(٥) هو علي بن سلطان محمد القاري، نور الدين، الملاّ الهروي،(ت/١٠١٤هـ) فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره، ولد في هراة ، وسكن مكة وتوفي فيها، قيل كان يكتب كل عام مصحفاً وعليه طرر القرآت والتفسير، فيبيعه فيكفيه قوته من العام إلى العام، من مصنفاته: شرح مشكاة المصابيح، وشرح الشفاء، وشرح الشمائل، وغير ذلك. ينظر: الأعلام، للزركلي، ٥/١٢-١٣، ومعجم المؤلفين، عمر كحالة، ٧/١٠٠.

فالمشرك مستحق للعذاب في النار لمخالفته دعوى الرسل وهو مخلد فيها دائماً كخلود أهل الجنة في الجنة، انتهى))[١]

وقال السفاريني -رحمه الله-: ((والشرك من الكبائر الباطنة، وهو أعظم من كلّ كبيرة...))[٢]

هذه بعض نقولات لأهل العلم في حكم الشرك، التي تبين اتفاقهم على الحكم السابق، والله أعلم.

---

(١) أدلة معتقد أبي حنيفة في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام، ٩٣، تحقيق/ مشهور حسن سلمان، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، الأولى، ١٤١٣هـ.

(٢) الذخائر لشرح منظومة الكبائر، ١٣٥، تحقيق/ وليد العلي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الأولى، ١٤٢٢هـ.

المبحث الثالث

أنواع الشرك الأكبر

للشرك عموماً أنواع كثيرة، قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: «الربا بضع وسبعون باباً، والشرك نحو ذلك»[١]

وحاول أهل العلم حصر هذه الأنواع بما يجملها ويضبطها، وقبل البدء ببيان أنواع الشرك الأكبر يجدر التنبيه على أنواع الشرك عموماً ليتضح من ذلك التقسيم أنواع الشرك الأكبر وذلك على النحو التالي: «**أنواع الشرك عموماً**»

قسم أهل العلم -رحمهم الله- الشرك لأنواع، وتنوعت عباراتهم في بيان هذه الأنواع بحسب الاعتبارات التي نظروا إليها، وكانت هذه التقسيمات منها ما هو شامل لأنواع الشرك، ومنها ما كان غير شامل لأنواع الشرك، ولعلّ في ذكر بعض هذه التقسيمات- بحسب الاعتبارات المختلفة التي نظروا إليها - بيان لأقسام الشرك وإيضاحٌ لها، فمن تلك التقسيمات التي ذكروها:

أ - من قسم الشرك بحسب النظر إلى حكمه:

قال محمد بن نصر المروزي -رحمه الله-: «الشرك شركان:

شرك في التوحيد: ينقل عن الملة.

وشرك في العمل: لا ينقل عن الملة، وهو: الرياء، قال الله جل وعز: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[٢] يريد

---

(١) السنة، لمحمد بن نصر المروزي، ١٦٤-١٦٦،رقم [٢٠٩-٢١٢]، وصحح سنده المحقق ، تحقيق د/عبدالله محمد البصيري، دار العاصمة، الرياض، الأولى،١٤٢٢ هـ.

(٢) (الكهف ١١٠)

لذلك المراءاة بالأعمال الصالحة...»[١]

والناظر في هذا التقسيم يرى اقتصاره على الشرك الذي يلحق الألوهية و لم ينص على الشرك الذي يلحق بقية أقسام التوحيد ، كما أنه حصر أنواع الشرك الأصغر –العملي– في الرياء مع أنّ له أنواعاً كثيرة كما سيأتي بيانه في موطنه بحول الله.

وقال ابن القيم –رحمه الله-: «فصل: وأمّا الشرك فهو نوعان: أكبر، وأصغر، فالأكبر: لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو: أن يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله...

وأمّا الشرك الأصغر: فكيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله ... »[٢]

وهذا التقسيم كسابقه في ذكره لأنواع الشرك في الألوهية، دون النظر لأقسام الشرك في أنواع التوحيد الأخرى.

ب– من قسم الشرك بالنظر إلى أنواع التوحيد:

قال الراغب الأصفهاني – رحمه الله-: « وشرك الإنسان في الدين ضربان: أحدهما: الشرك العظيم، وهو: إثبات شريك لله تعالى، يقال: أشرك فلان بالله، وذلك أعظم كفر، قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾[٣] وقال:﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾[٤]...

والثاني: الشرك الصغير، وهو: مراعاة غير الله معه في بعض الأمور، وهو الرياء،

---

(١) تعظيم قدر الصلاة، ٢/ ٥٢٧.

(٢) مدارج السالكين، ١/ ٣٧٩– ٣٨٤، وينظر عارضة الأحوذي، لابن العربي المالكي، ١٠/١٠٦، وينظر تلخيص الاستغاثة، لشيخ الإسلام، ١/ ٥٢ ،وينظر تسير العزيز الحميد،لسليمان بن عبد الله آل الشيخ، ٩٧ –٩٨، وينظر معارج القبول، لحافظ الحكمي، ١/ ٣٣.

(٣) (النساء ٤٨٠)

(٤) (النساء ١١٦)

والنفاق...»[١]

ويلاحظ على تقسيمه ما يلي:

- أنه عد الشرك الصغير الرياء، والنفاق فحسب، مع أنه لا يقتصر عليهما بل له أنواع كثيرة.

- أنه قال عن النفاق إنه الشرك الصغير، وهذا غير صحيح في إطلاقه ؛ لأن النفاق قسمان:

اعتقادي: مخرج عن الملة، ولا يعد من الشرك الصغير وهو المذكور في القرآن

عملي: وهو من شعب النفاق، وليس بمخرج من الملة.

وقال القرطبي -رحمه الله-: «فاعلم أنَّ علماءنا -رضي الله عنهم- قالوا: الشرك على ثلاث مراتب وكله محرم، وأصله اعتقاد شريك لله في ألوهيته، وهو الشرك الأعظم، وهو شرك الجاهلية وهو المراد بقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾[٢].

ويليه في الرتبة: اعتقاد شريك لله تعالى في الفعل، وهو قول من قال إنَّ موجوداً ما غير الله تعالى يستقل بإحداث فعل وإيجاده وإن لم يعتقد كونه إلهاً كالقدرية مجوس هذه الأمة... ويلي هذه الرتبة الإشراك في العبادة وهو: الرياء ... »[٣]

ويلاحظ على هذا التقسيم قصره أنواع الشرك الأصغر على الرياء.

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « وجماع الأمر، أنَّ الشرك نوعان:

شرك في ربوبيته: بأن يجعل لغيره معه تدبيراً ما، كما قال سبحانه:﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ٤٥٢.

(٢) (النساء ٤٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٥/ ١٨٥ -١٨٦

ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[1]...

وشرك في الألوهية: بأن يدعى غيره دعاء عبادة، أو دعاء مسألة كما قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾[2]»[3]

وشيخ الإسلام ذكر شرك الدعاء من أنواع شرك الألوهية مع أنه في مواطن غير هذه ذكر أنواعاً أخر له [4].

جـ- من قسم الشرك بالنظر إلى مفرداته وأمثلته المنتشرة:

فقد قسمه أحمد ولي الله الدهلوي -رحمه الله- لعدة أقسام:

«١- الشرك في السجود

٢- الشرك في الاستعانة

٣- الشرك في النذر

٤- الشرك في التسمية

٥- الشرك في الطاعة في التحريم والتحليل

٦- الشرك في الذبح

٧- تسييب السوائب والبحائر

٨- الشرك في الحلف

٩- الشرك في الحج لغير الله»[5]

---

(١) (سبأ ٠٢٢)

(٢) (الفاتحة ٠٠٥)

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢/ ٢٢٦، وينظر درء التعارض ٧/ ٣٩٠ - ٣٩١، وينظر مجموع الفتاوى، ١/ ٩١، وينظر منهاج التأسيس والتقديس، لعبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، ١٥٨ -١٥٩، دار الهداية، الرياض، الثانية، ١٤٠٧هـ

(٤) ينظر مجموع الفتاوى، ١/ ٩٧ -٩٨.

(٥) حجة الله البالغة، ١/ ٥٥٣، بتصرف

وهذا ذكر لبعض مفردات الشرك وليس بياناً لأنواعه العامة .

د- من كان تقسيمه بالنظر لاعتبارات عدَّة ترجع كلها لأنواع التوحيد:

قال الميلي -رحمه الله-: «وأقسام الشرك قد استوفتها آية سبأ، قال تعالى:﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ ﴾[1].

فجعلت الآية أقسام الشرك أربعة، ونفتها كلها، ولنضع لكل قسم اسماً امتاز به:

الأول: شرك الاحتياز:

فنفى سبحانه أن يكون غيره مالكاً لشيء يستقل به، ولو كان في الحقارة مثقال ذرة في العالم العلوي، أو في العالم السفلي.

الثاني: شرك الشياع:

فنفى سبحانه أن يكون لغيره نصيب يشاركه فيه كيفما كان هذا النصيب في المكان والمكانة.

الثالث: شرك الإعانة:

فنفى جلَّ شأنه أن يكون له ظهير ومعين من غير أن يملك معه؛ كما يعين أحدنا مالك متاع على حمله مثلاً.

الرابع: شرك الشفاعة:

فنفى تعالى أن يوجد من يتقدم بين يديه يدل بجاهه ليخلص أحداً بشفاعته»[2]

وهذا التقسيم غير شامل لأنواع الشرك وجله في شرك الربوبية -كما في الثلاثة

---

(١) (سبأ ٠٢٢-٠٢٣).

(٢) رسالة الشرك، ١٠٧

الأول- والأخير في شرك الألوهية، ولم يشمل أنواع توحيد الألوهية مع أنه هو الذي أرسل به الرسل، وهو الذي خالف فيه المشركون قديماً وحديثاً.

هـ- من قسم الشرك بالنظر لحكمه مع خفاء الشرك ووضوحه:

فقسم إلى ثلاثة أنواع:

١- الشرك الأكبر:

وهو أربعة أقسام:

أ- شرك الدعوة

ب- شرك النية، والإرادة، والقصد

جـ- شرك الطاعة

د- شرك المحبة

٢- الشرك الأصغر: وهو الرياء.

٣- الشرك الخفي[1]:

ويقال فيه ما يقال فيمن قسم الشرك بالنظر لحكمه، كما يقال إن الخفي راجع إلى النوعين، فقد يكون الشرك الخفي: شركاً أكبر، وقد يكون أصغراً بحسب حال صاحبه، وسمي خفياً لخفائه ودقته، وعدم تفطن كثير من الناس له، والله أعلم[2].

والأولى أن يقسم الشرك بعدّة اعتبارات وهي:

أولاً: الشرك الأكبر:

ويقسم إلى ثلاثة أنواع:

---

(١) ينظر مجموعة التوحيد، للشيخ محمد بن عبد الوهاب وابن تيمية، ٥-٦، دار الفكر، وينظر الجامع الفريد، لمجموعة من أئمة الدعوة، ٣٤١- ٣٤٢، طبع على نفقة محمد النعمان – رحمه الله –

(٢) ينظر المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، للبريكان، ١٢٧.

١- شرك في الربوبية:

وينقسم إلى قسمين:

أ - شرك التعطيل:

وهذا الشرك عدّة أنواع، وهي:

١) شرك الإلحاد:

كمن أنكر وجود الخالق، كشرك فرعون إذ قال تعالى حاكياً عنه :﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[١].

٢) تعطيل الصانع عن صنعه:

كالقدرية [٢] الذين يزعمون أنهم يخلقون أفعالهم

وكمنكري إرسال الرسل

٣) تعطيل المصنوع عن صانعه:

كالقائلين بقدم العالم وأبديته.

٤) تعطيل الصانع عما يجب له على العبد من حقيقة التوحيد:

كالقائلين بوحدة الوجود: فما ثَمَّ خالق ومخلوق، ولا ها هنا شيئان، بل الحق المتره هو عين الخلق المشبه.

ب- شرك الند:

وهو أن يجعل مع الله إلها آخر، ولم يعطل أسماءه، وصفاته، وربوبيته:

كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة.

---

(١) (الشعراء ٢٣)

(٢) القدرية: أتباع معبد بن خالد الجهني، وهو أول من تكلم في القدر، زعم أن العبد مستقل بإرادته، وقدرته، وليس لله في فعله مشيئةٌ ولا خلق. ينظر :التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطي، ١٧٦ –١٨٧،و الفرق بين الفرق، للبغدادي، ١٨– ٢٠، والملل والنحل، للشهرستاني، ١/ ٤٠، ومعجم ألفاظ العقيدة، لعامر الفالح، ٣١٦.

وشرك المجوس [١] القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور، والشر إلى الظلمة

وشرك القدرية القائلين بأنّ الحيوان يخلق فعل نفسه دون مشيئة الله وقدرته

وشرك الذي حاج إبراهيم في ربه: ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾[٢].

وشرك من يشرك بالكواكب العلويات ويجعلها أرباباً مدبرة لهذا العالم كما هو مذهب الصابئة [٣]

وشرك عباد الشمس والقمر.

وشرك من زعم أنّ معبوده هو الإله حقيقة

وشرك من زعم أنّ معبوده أكبر الآلهة، أو من جملتهم، أو أنّ معبوده الأدنى يقربه إلى ما فوقه وهكذا حتى تقربه إلى الله سبحانه، فهو يجعلهم وسائط.

٢- شرك في الأسماء والصفات:

وهو على نوعين:

أ- شرك التعطيل:

وذلك بتعطيل الصانع عن كماله المقدس، كالجهمية [٤] الغلاة، وكالقرامطة [١]،

---

(١) المجوس: قوم ادعوا أن للعالم خالقين، فالنور فاعل الخيرات، والظلمة تفعل الشر، وهم من عبدة النار، ينظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي، ٢٧٧ – ٢٧٨، والملل والنحل، للشهرستاني، ١/ ٢٧٨، ومعجم ألفاظ العقيدة، لعامر الفالح، ٣٦٣.

(٢) (البقرة ٢٥٨)

(٣) الصابئة: قوم يعتقدون أن الكواكب السبعة هي المدبرة للعالم، وسموا صابئة لأنهم مالوا عن الحق. ينظر الملل والنحل، ٢/ ٣٠٧، ومعجم ألفاظ العقيدة، ٢٣٩،

(٤) هم أتباع الجهم بن صفوان تلميذ الجعد بن درهم، وهم أصحاب الجيمات الثلاث: جهمية، جبرية، مرجئة، وقالوا: بفناء الجنة والنار، وأن الإيمان هو المعرفة فقط، وأنّ الكفر هو الجهل فقط، وقالوا بحدوث أسماء الرب، وغيرها من بدعهم المكفرة.

=

الذين أنكروا أسماء الله عز وجل وصفاته.

ب- شرك الند:

وهو على نوعين:

الأول: إثبات صفات الخالق للمخلوقين:

وهو نوعان:

١)- تشبيه صفات الخالق بالمخلوق:

كالذين يقولون له يد كأيدينا، وسمع كأسماعنا ... تعالى الله عما يقولون.

٢)- اشتقاق أسماء للآلهة الباطلة من أسماء الإله الحق كما قال تعالى :﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[2].

وكانوا يسمون آلهتهم بأسماء يشتقوها من أسماء الله [3]

الثاني: إثبات صفات المخلوق للخالق:

كاليهود الذين شبهوا الله بصفات المخلوقين، كما ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك عنهم، فقال جل شأنه:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟

=

ينظر: مقالات الإسلامين، للأشعري،١٣٢، والفرق بين الفرق، للبغدادي،٢١٢، والملل والنحل، للشهرستاني، ١/ ٩٧-٩٩.

(١) القرامطة: هم أتباع حمدان قرمط، وهم من الفرق الباطنية القائلين إنّ للشريعة ظاهراً وباطناً، وعطلوا بهذا شرائع الإسلام، وأباحوا المحرمات، وانتهكوا الحرمات.

ينظر عقائد الثلاث والسبعين فرقة، لأبي محمد اليمني، ٢/ ٤٧٧ - ٤٨٠،وينظر معجم ألفاظ العقيدة، لعامر الفالح، ٣١٩.

(٢) (الأعراف ١٨٠)

(٣) ينظر تفسير ابن كثير، ٢/ ٢٩٩.

بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾(١).

وكالنصارى الذين قالوا له ولد تعالى الله عن قولهم كما ذكر عنهم سبحانه: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾(٢).

٣- الشرك في الألوهية:

وهو ينقسم إلى أربعة أقسام:

أ - شرك الدعوة:

كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾(٣).

وكانوا يدعون الله وغيره في الرخاء، وفي الشدة يلجأون له وحده.

ب- شرك النية، والقصد، والإرادة:

كما قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا

---

(١) (المائدة ٠٦٤)

(٢) (النساء ١٧١)

(٣) (العنكبوت ٠٦٥)

صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[١].

جـ- شرك الطاعة:

كطاعة العلماء والأمراء في التحليل والتحريم كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[٢].

د- شرك المحبة:

كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ ﴾[٣].

وبعضهم يضيف لهذه الأنواع شرك التوكل، وشرك الخوف فتصبح ستة أنواع،لكن المتأمل يجد أنها داخلة في شرك النيات، والمقاصد وهو الشرك الذي لا ساحل له، والله أعلم.

كما أن الشرك قد يكون:

١- بالفعل: كالسجود لصنم

٢- والقول: كالحلف بغير الله

٣- وبالنية والقصد: كمن يريد بعمله غير وجه الله[٤].

---

(١) (هود ١٥-١٦).

(٢) (التوبة ٣١).

(٣) (البقرة ١٦٥)

(٤) كل هذه التقسيمات مستفادة من:

الداء والدواء،لابن القيم، ٣١٣-٣٢٨، وتيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله آل الشيخ، ٤٣-٤٥، ورسالة أنواع التوحيد وأنواع الشرك، لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ضمن الجامع الفريد، ٣٤٠-٣٤٣، والمدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، د/ إبراهيم محمد البريكان، ١٢٨-١٣٨، دار السنة، الخبر، =

وكل ما سبق بيانه هو أنواع للشرك الأكبر

ثانياً: الشرك الأصغر:

كيسير الرياء، والحلف بغير الله -دون اعتقاد بعظمة المحلوف به أو أنه مستحق لهذا لكن عادةً - وللشرك الأصغر أنواعٌ يأتي ذكرها في موضعها بحول الله.

=

الثالثة، ١٤١٥هـ، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د/ صالح الفوزان، ٧٤- ١٠٤، دار ابن خزيمة، الرياض، الثانية، ١٤١٧هـ.

المبحث الرابع

حكم الأعمال التي أخلص الكفار والمشركون فيها

قد يعمل المشركون والكفار أعمالاً ظاهرها الصلاح مع إخلاصهم فيها فما حكم عملهم، وهل هو مقبول أم لا؟

قبل الجواب لابد أن تفصل حالات المشركين، لأنَّ المشركين لهم حالتان، وهي:

الحالة الأولى: أن يسلموا بعد شركهم، وكانوا في شركهم قد عملوا أعمالا صالحة خالصة.

الحالة الثانية: ألا يسلموا ويموتوا على شركهم، وقد عملوا في شركهم أعمالا صالحة خالصة ؛ لذلك ستكون دراسة المسألة في مطلبين كما يلي:

المطلب الأول

أن يعملوا أعمالا صالحة ثم يسلموا

جاءت النصوص مفيدةً أنّ المشرك إذا أسلم فإنّ أعماله الحسنة التي كانت باطلة بالشرك تعاد إليه حسنات أعماله بعد إسلامه تفضلاً من الله وكرماً منه سبحانه، ومن هذه النصوص:

١- قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٧ ﴾[1].

ومما ذكره القرطبي – رحمه الله- من توجيهات للآية الكريمة أنه قال: «ثمّ قيل يحتمل أن تكفر عنهم كل معصية عملوها في الشرك، ويثابوا على ما عملوا من حسنة في الإسلام، ويحتمل أن تكفر عنهم سيئاهم في الكفر والإسلام، ويثابوا على حسناهم في الكفر والإسلام»[2]

٢- وسأل حكيم بن حزام – رضي الله عنه – رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمور كان يتحنث بها في الجاهلية من: صلةٍ، وعتاقةٍ، وصدقةٍ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «أسلمت على ما سلف لك من خير»[3]

قال ابن القيم –رحمه الله- معلقاً على هذا الحديث: «فهذا يقتضي أنّ الإسلام أعاد عليه ثواب تلك الحسنات التي كانت باطلة بالشرك فلما تاب من الشرك عاد إليه ثواب

---

(١) (العنكبوت ٠٠٧)

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، ١٣/ ٣٤١.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه، ٤/ ٥١٩، برقم [٢٢٢٠]، وبرقم [٥٢٣٨]، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده، ١/ ٤١٧، برقم [١٢٣]

حسناته المتقدمة»[1]

وهذا الحكم لم يخل من معارض، فقد قال الإمام المازري[2] – رحمه الله – معلقاً على حديث حكيم بن حزام –رضي الله عنه –: «ظاهره خلاف ما تقتضي الأصول، لأنّ الكافر لا يصح منه التقرب فيكون مثاباً على طاعته، ويصح أن يكون مطيعاً غير متقرب كنظره في الإيمان، فإنه مطيع فيه من حيث كان موافقاً للأمر، والطاعة عندنا موافقة الأمر ولكنه لا يكون متقرباً؛ لأنّ من شرط المتقرب أن [يكون] عارفاً بالمتقرب إليه، وهو في حين نظره لم يحصل له العلم بالله تعالى بعد، فإذا تقرر هذا علم أنّ الحديث متأوَّلٌ، وهو يحمل وجوهاً:

أحدها: أنك اكتسبت طباعاً جميلة .... والثاني: أن يكون المعنى إنك اكتسبت بذلك ثناءً جميلاً فهو باق على الإسلام، والثالث: أنه لا يبعد أن يزاد في حسناته التي يفعلها في الإسلام، ويكثر أجره لما تقدم له من الأفعال الجميلة...»[3].

وقد رُدّ على هذا الاعتراض بأوجه منها:

١- الإجماع واقعٌ على أنّ الحسنات التي عملها المشركون والكفار وهم على حالهم ثم أسلموا أنها تكتب[4].

٢- ظاهر الحديث مفيدٌ لهذا الحكم[5].

---

(١) الوابل الصيب، ٣٤، تحقيق/ صالح الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٤١٨هـ

(٢) هو محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري، أبو عبدالله(٤٥٣-٥٣٦هـ) محدث من فقهاء المالكية، نسبته إلى مازر بجزيرة صقلية، وتوفي بالمهدية من أفريقيا، كان أحد الأذكياء الموصوفين والأئمة المتبحرين، وكان طبيباً ماهراً ، من مصنفاته: المعلم بفوائد مسلم، والكشف والإنباء «ردِّفيه على الغزالي»، وغيرها. ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٢٠/١٠٤-١٠٧،والأعلام، للزركلي، ٦/٢٧٧.

(٣) إكمال المعلم، ١/ ٤١٥.

(٤) ينظر فتح الباري، لابن حجر، ١/ ١٣٤.

(٥) ينظر المفهم، للقرطبي،١/ ٣٣٢، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١/ ٤١٩.

٣- أنّ المشركين لا يجهلون الخالق سبحانه بل هم مقرون به[١].

٤- قول الفقهاء «لا يعتد بعمل الكافر» معناه في أحكام الدنيا، ولا يمتنع أن يثاب الناظر في دليل الإيمان إذا اهتدى للحق، أو يفرق بأنّ الناظر لم ينو التقرب والكافر نواه[٢].

٥- أنه قد يعتد ببعض أفعال الكافر في أحكام الدنيا، ككفارة الظهار، فلو كفَّرَ في حال كفره أجزأه[٣].

٦- أنّ هذا الحكم لا يخالف القواعد، فالمخالف للقواعد أن يكتب حال كفره أما في حال إسلامه فلا مانع، ولله أن يضيف من الحسنات لعباده ما شاء فضلاً منه وكرماً، كما تفضل على العاجز بثواب ما كان يعمل وهو قادر[٤].

ولعل الراجح هو القول بأنّ حسناتهم تضاف لأعمالهم إن أسلموا؛ وذلك لقوة أدلة هذا القول وهي ظاهرة، فلا وجه لتأويل ما هو ظاهر مع كونه لا يعارض النصوص القطعية، وما كان كذلك فالمصير إله محتم. والله أعلم.

---

(١) ينظر إكمال الأكمال، للأبي، ١/ ٢٣٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) ينظر شرح النووي على مسلم، ١/ ٤١٩، وينظر إكمال الأكمال ،١/ ٢٣٣.

(٣) ينظر شرح النووي على مسلم، ١/ ٤١٩.

(٤) ينظر فتح الباري، ١/ ١٣٤.

المطلب الثاني

أن يعمل المشرك أعمالاً حسنة ظاهرها الصلاح وهو مخلصٌ فيها لكنه لم يدخل في الإسلام، ومات على شركه، فقد دلت النصوص على أنَّ من كانت حالته كهذه الحالة فإنَّ أعماله حابطةٌ ولا تقبل منه، ويعجل له ثواب عمله في الدنيا حتى لا تبقى له حسنة عملها.

وقد بوَّب ابن حبان -رحمه الله- باباً في صحيحه فقال: «ذكر الإخبار بأنّ المرء المسلم ينفعه إخلاصه حتى يحبط ما كان قبل الإسلام من السيئة، وأنَّ نفاقه لا تنفعه معه الأعمال الصالحة»[1].

أما الأدلة التي تدل على هذا المعنى فمنها:

١- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[2].

٢- وقال تعالى عن المشركين: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[3].

٣- وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[4].

٤- كما أنَّ الأدلة في حكم الشرك السابقة دالة على هذا المعنى.

---

(١) صحيح ابن حبان، ٢/ ١٢١.

(٢) (النساء ٤٨).

(٣) (الفرقان ٢٣).

(٤) (الزمر ٦٥).

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: «والأنبياء معصومون من الشرك ولكن المقصود بيان أنّ الشرك لو صدر من أفضل الخلق لأحبط عمله فكيف بغيره؟»[١].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: «وأمّا المشركون والكفار فإنّ شركهم وكفرهم محبط حسناتهم ولا يلقون ربهم بحسنة يرجون بها النجاة ...»[٢]

وأمّا الأدلة على كون العمل الصالح الصادر من المشركين يعجل ثوابه لهم في الدنيا:

١- قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[٣].

ونقل الطبري عن الضحاك -رحمهما الله- أنه قال في الآية السابقة: «يقول من عمل عملا صالحا في غير تقوى؛ يعني من أهل الشرك، أعطي على ذلك أجراً في الدنيا يصل رحما يعطي سائلا يرحم مضطرا في نحو هذا من أعمال البر يعجل الله له ثواب عمله في الدنيا، ويوسع عليه في المعيشة والرزق ويقر عينه فيما خوله، ويدفع عنه مكاره الدنيا في نحو هذا، وليس له في الآخرة من نصيب»[٤]

وقد رجح المباركفوري -رحمه الله- هذا التفسير للآية[٥].

والذي يظهر أنّ الآية عامة في كل من أراد بعمله الدنيا من المشركين والمسلمين، والله أعلم[٦].

---

(١) تلخيص الاستغاثة، ٢/ ٤٦٣.

(٢) هداية الحيارى، ٤٦٣ - ٤٦٤، تحقيق د/ محمد الحاج، دار القلم، دمشق، الأولى، ١٤١٦هـ

(٣) (هود ١٥-١٦).

(٤) تفسير الطبري، ١٢/ ١٢.

(٥) ينظر تحفة الأحوذي، ٧/ ٨.

(٦) ينظر فتح المجيد، ٢/ ٦٢٨- ٦٢٩،وسيأتي الكلام على تفسير الآية في مبحث أنواع إرادة الدنيا ص٣٥٥، =

٢- وقال تعـــالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[1].

قال القرطبي -رحمه الله- في تفسير الآية السابقة: «كان ابن عباس يقول: من يعمل من الكفار مثقال ذرة خيراً يره من الدنيا، ولا يثاب عليه في الآخرة»[2].

٣- وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال صلى الله عليه وسـلم: (إنَّ الله لا يظلم مؤمناً حسنةً يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكـافر فيطعـم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن لـه حسـنة يجزى بها)[3].

قال النووي -رحمه الله -: «أجمع العلماء على أنّ الكافر الذي مات على كفـره لا ثواب له في الآخرة، ولا يجازى فيها بشيء من عمله في الدنيا متقربـاً إلى الله تعـالى، وصرح في هذا الحديث بأن يطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات»[4]

وبما تقدم يتضح أن الكافر والمشرك إذا ماتا على الكفر والشرك فأعمالهما الخالصة الحسنة تُحبط لشركهم وكفرهم، وأن ثواب عملهما يعجل لهما في الدنيا، والله أعلم.

=

بحول الله.

(١) (الزلزلة ٠٠٧-٠٠٨)

(٢) تفسير القرطبي،٢٠/ ١٥٠.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صفة المنافقين وأحكامهم، باب جزاء المؤمن، ٩/ ١٦٤، برقم [٢٨٠٨].

(٤) شرح النووي على مسلم، ٩/ ١٦٥.

المبحث الخامس

بيان مناقضة الشرك للإخلاص

سبق تعريف الإخلاص، وأنه: «قصد المعبود وحده بالعبادة الباطنة والظاهرة».

كما سبق بيان حقيقة الشرك، وأنه: «أن يجعل الإنسان لله نـداً في: ربوبيتـه، أو ألوهيته، أو أسمائه وصفاته».

وبالمقارنة بين ما ذكر بيانا لكل من الإخلاص والشرك يتضح وجود التضاد بينهما؛ فالمخلص يقصد بعبادته الله وحده سبحانه وتعالى،أما المشرك فيقصد بالعبادة غـير الله، فحقيقة الإخلاص: قصد المعبود وحده بالعبادة وحقيقة الشرك: أن تجعـل لله نـداً في ألوهيته، أو ربوبيته، أو أسمائه وصفاته.

ولا يجتمع الإخلاص والشرك الأكبر في قلبٍ أبداً فمتى وجد الشرك الأكبر ارتفـع الإخلاص، ومتى وجد الإخلاص ارتفع الشرك الأكبر.

ولكن يبقى السؤال لماذا كان الشرك الأكبر مضاداً للإخلاص؟

كان الشرك الأكبر مضاداً للإخلاص لما يلي :

١- لقد خلق الله الخلق لعبادته وحده سبحانه، وإفراده بتلك العبادة، كما قال عز مـن قائل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1].

وأرسل الله الرسل، وأنزل الكتب ليبين للناس ما خلقهم من أجله من عبـادة الله وحده؛ وأنَّ المستحق لذلك إذ هو الخالق، وهو الرازق، وهو المالك، والمدبر، والمعـز، والمذل... وغير ذلك من كمالاته سبحانه وتعالى، فله الكمال المطلـق، ومـن كـان كذلك فهو المستحق للعبادة وحده، فكيف تصرف عبادة من له الكمال المطلق لخلقـه،

---

(١) (الذاريات ٥٦).

ما أعظمه من بهتان!، وكيف يسوى غيره معـــه!، ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾[2].

والشرك جمع قبائح عظيمة كل واحدة تكفي لتكون مناقضة للإخلاص فمنها:

أنه أظلم الظلم، وأقبح القبائح، وفيه هضمٌ لحق الربوبية، وتنقيص لعظمة الإلهيـــة، وسؤ ظنٍّ بالله، ومساواة لغير الله بالله، تعالى الله عن ذلك.

قال ابن القيم – رحمه الله –: «والمقصود أنّ الشرك لما كان أظلم الظلم، وأقبـــح القبائح، وأنكر المنكرات كان أبغض الأشياء إلى الله تعالى، وأكرهها له، ورتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه ... لأنّ الشرك هضمٌ لحق الربوبية، وتنقيصٌ لعظمة الإلهية، وسؤ ظنٍّ برب العالمين، كما قال تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾[3].

فلم يجمع على أحد من الوعيد والعقوبة ما جمع على أهل الشرك، فإنهم ظنوا بـــه ظن السوء حتى أشركوا به، ولو أحسنوا به الظنَّ لوحدوه حق توحيده، ولهـــذا أخـــبر سبحانه عن المشركين أنهم ما قدروه حق قدره في ثلاثة مواضع من كتابـــه، وكيـــف يقدره حق قدره من جعل له عدلاً، ونداً يحبه، ويخافه، ويرجوه ويذل له، ويخضع لـــه، ويهرب من سخطه، ويؤثر مرضاته ... فالشرك ملزوم لتنقص الرب سبحانه، والتنقص لازم له ضرورةً، شاء المشرك أم أبى، ولهذا اقتضى حمده سبحانه وكمال ربوبيتـــه أن لا

(١) (النحل ١٧).

(٢) (الأعراف ١٩١).

(٣) (الفتح ٠٠٦).

يغفره، وأن يخلد صاحبه في العذاب الأليم...»[١].

٢-ومنها أنّ الشرك والكفر فيه كذب وقول على الله بلا علم قال شيخ الإسلام: «وهؤلاء المشركون يضمون إلى الشرك: الكذب فإنّ الكذب مقرون بالشرك، وقد قال تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ﴾[٢]»[٣]

ويقول ابن القيم -رحمه الله-: «وأصل الشرك والكفر هو القول على الله بلا علم، فإنّ المشرك يزعم أنّ من اتخذه معبوداً من دون الله يقربه إلى الله، ويشفع له عنده، ويقضي حاجته بواسطته كما تكون الوسائط عند الملوك، فكل مشرك قائل على الله بلا علم دون العكس...»[٤].

٣- والشرك ظلم عظيم مناف للعدل:

يقول شيخ الإسلام رحمه الله-: «ودين الحق يتضمن العمل الصالح، ومبناه على العدل ... وأصل العدل: العدل في حق الله تعالى، وهو عبادته وحده لا شريك له، فإنّ الشرك ظلم عظيم كما قال لقمان لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٥]»[٦]

وعموماً فإنّ الشرك الأكبر ينقض الإخلاص ويضاده جملةً، ومن وقع فيه فقد نفى إخلاصه، وخسر السعادة في الدنيا والآخرة إلاّ إن تاب منه.

---

(١) إغاثة اللهفان، ١/٦٧- ٦٩، وينظر مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام،١٥/١٦٠-١٦٤ ،وتيسير العزيز الحميد، لسليمان آل الشيخ، ١١٥.

(٢) (الحج ٣٠-٣١).

(٣) مجموع الفتاوى، ٢٧/ ٨٢.

(٤) مدارج السالكين، ١/ ٤١٥.

(٥) (لقمان ١٣).

(٦) الجواب الصحيح، ١/ ١٠٦.

يقول الجصاص[1] -رحمه الله-: ((إنَّ كل من اعتقد الإسلام فهو مخلص لله تعالى فيما يفعله من العبادات إذ لم يشرك في النية بين الله وبين غيره؛ لأنَّ ضد الإخلاص هو: الإشراك فمتى لم يشرك فهو مخلص....))[2]

(١) هو أحمد بن علي الرازي، أبوبكر الجصاص (٣٠٥-٣٧٠هـ) فاضل من أهل الري سكن بغداد ومات فيها، انتهت إليه رئاسة الحنفية، خوطب في ولاية القضاء فامتنع، وكان صاحب حديث ورحلة، وكان مع براعته في العلم ذا زهد وتعبد، وقيل كان يميل للاعتزال، من مصنفاته: أحكام القرآن، وأصول الفقه. ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٦/٣٤٠-٣٤١، والبداية والنهاية، لابن كثير، ١١/٣١٧، والأعلام، للزركلي، ١/١٧١.

(٢) أحكام القرآن، ٣/ ٣٣٩، تحقيق/ محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

الفصل الثاني
الشرك الأصغر

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريفه.

المبحث الثاني: حكمه.

المبحث الثالث: الفرق بينه وبين الشرك الأكبر.

المبحث الرابع: متى يصبح الشرك الأصغر شركاً أكبراً.

المبحث الخامس: الموازنة بين الشرك الأصغر والكبائر.

المبحث السادس: أنواع الشرك الأصغر.

المبحث السابع: أثر الشرك الأصغر على الإخلاص.

المبحث الأول

تعريف الشرك الأصغر

حاول أهل العلم -رحمهم الله- تعريف الشرك الأصغر بما يضبطه، ويميزه عن غيره، وتنوعت عباراتهم، فمن تلك التعريفات:

١- قال الإمام محمد بن نصر المروزي -رحمه الله- عنه: إنه: «شرك في العمل لا ينقل عن الملة، وهو الرياء»[١]. وهذا التعريف يعترض عليه بأمرين:

أ - حصره للشرك الأصغر بالرياء.

ب- حصره له بالعمل مع أنه يكون في غيره، في الألفاظ، والنيات.

٢- وقال الراغب الأصفهاني -رحمه الله- عنه: «والثاني: الشرك الأصغر: وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور، وهو الرياء، والنفاق»[٢]. وتقدم الاعتراض على هذا التعريف أثناء الكلام في الشرك الأكبر.

٣- وقال ابن القيم -رحمه الله-: «وأما الشرك الأصغر: فكيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله...»[٣]. وهذا تعريف بالمثال، و لم يذكر ضابطاً مميزاً له[٤].

٤- وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «النوع الثاني: شرك أصغر: وهو الرياء»[٥].

---

(١) تعظيم قدر الصلاة، ٢/٥٢٧.

(٢) مفردات القرآن، ٤٥٢.

(٣) مدارج السالكين، ١/ ٣٨٤.

(٤) وقد عرفه بالمثال عدد من العلماء: ينظر تيسير العزيز الحميد، لسليمان عبد الله آل الشيخ، ٤٥، وفتح المجيد، لبعد الرحمن بن حسن، ١/ ١٨٠، وأعلام السنة المنشورة ، للحكمي، ٥١، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للشيخ الفوزان، ١٣٤، ونور الهدى وظلمات الضلال، د/ سعيد علي وهف القحطاني، ١٠٣، الأولى، ١٤٢٠هـ.

(٥) رسالة أنواع التوحيد وأنواع الشرك «ضمن الجامع الفريد» ٣٤٢.

وهنا عرفه بالمثال، وحصره في الرياء مع أن له أنواعاً كثيرة.

٥- وقال السعدي -رحمه الله-: «هو جميع الأقوال والأفعال التي يتوسل بها إلى الشرك كالغلوّ في المخلوق الذي لا يبلغ رتبه العبادة، كالحلف بغير الله، ويسير الرياء، ونحو ذلك»[١]. ويعترض عليه بأنَّ الشرك الأصغر قد يكون بالنيات وليس محصوراً في الأقوال والأفعال، ثم إن التعريف لم يبين حقيقة الشرك الأصغر وما هيته المميزة له عن غيره.

٦- وقال الشيخ عبد العزيز السلمان: «أنه كل وسيلة وذريعة، يتطرق بها إلى الأكبر»[٢]. ويقال في هذا التعريف ما قيل في السابق.

٨- وقال الشيخ محمد العثيمين -رحمه الله-: «الشرك الأصغر: وهو كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشرع وصف الشرك، ولكنه لا يخرج عن الملة»[٣]. ويعترض عليه بأنه حصره بما ورد به النص وعلى هذا لا يدخل فيه ما لم يرد به نصٌ مما هو من جنس الشرك الأصغر، وبهذا لا يكون التعريف جامعاً.

٩- وقال البريكان: «هو تسوية غير الله بالله في هيئة العمل، أو أقوال اللسان، فالشرك في هيئة العمل هو: الرياء، والشرك في أقوال اللسان: هو الألفاظ التي فيها معنى التسوية بين الله وغيره، كقوله ما شاء الله وشئت، وقوله اللهم اغفر لي إن شئت، وقوله عبد الحارث، ونحو ذلك»[٤]. فهذا التعريف غير مانع فقد تكون التسوية ببعض الأعمال التي تعد من الشرك الأكبر كالسجود لغير الله، والذبح لغير الله لمن كان معظماً لمن فعل له ذلك[٥]، كما أنه لم يشر إلاَّ للقول، والعمل، وترك الشرك

---

(١) القول السديد، ٢٤.

(٢) الكواشف الجلية ٣٢١، مكتبة الرياض الحديثة، السادسة، ١٣٩٨هـ.

(٣) شرح ثلاثة الأصول، ٤٢، بعناية فهد ناصر السليمان، دار الثريا للنشر، الرياض الثانية، ١٤١٧هـ وينظر المجموع الثمين، لمحمد العثيمين، ٢/٢٧، جمع فهد ناصر السليمان، دار الوطن، الثانية، ١٤١١هـ.

(٤) المدخل لدراسة العقيد الإسلامية، ١٢٦-١٢٧.

(٥) ينظر نواقض الإيمان القولية والعملية، د/ عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، ٢٨٢، دار الوطن، الثانية، ١٤١٥هـ.

الأصغر في المقاصد والنيات.

١٠- وجاء في تعريف له في بعض فتاوى اللجنة الدائمة: «هو كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه، وجاء في النصوص تسميته شركاً»[١]. وهذا التعريف غير جامع؛ لأنه قصر أنواعه على ما ورد به النص، كما أنّ الذنوب بريد الشرك والكفر، مما يبين أنّ التعريف لا يضبط أنواع الشرك الأصغر، والله أعلم.

بعد عرض التعريفات السابقة اقترح تعريفاً لا أجزم به، بل هو اختيار مني، عرضة للأخذ والرد قابل للصواب والخطأ،وهو: « صرف حق من حقوق الله لغير الله دون اتخاذه نداً لله».

شرح التعريف:

- صرف حق من حقوق الله لغير الله :

يشمل أي حق من حقوق الله سواءً كان يتعلق هذا الحق بألوهية الله، أو ربوبيته، أو أسمائه وصفاته، وسواءً كان فعلاً، أو قولاً، أو نيةً .

- دون اتخاذه نداً لله :

لأنه لو اتخذ غير الله نداً لله لأصبح شركاً أكبر كما سبق بيانه في تعريف الشرك الأكبر.

ولكن يرد السؤال ما الضابط لهذه الندية ؟ ومتى يمكن أن يقال أن هذا المصروف من الشرك الأكبر أو من الشرك الأصغر؟

والجواب قد سبق القول في بيان معنى الند وأنّ هذه الكلمة تعني : المثيل، والنظير، والشبيه، ولما كانت أنواع المصروفات كثيرة فمنها ما كان من الأقوال، ومنها ما كان من الأفعال، ومنها ما كان من النيات، وكل هذه المصروفات قد تكون مما له تعلق بالألوهية، أو الربوبية، أو الأسماء والصفات، فإنّ الندية في كل شيءٍ بحسبه، ومدارها

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، ٥١٧/١، العاصمة الرياض، الأولى، ١٤١١هـ.

على المقاصد، فالحلف بغير الله يكون شركاً أكبر إن قصد تعظيم المحلوف، ويكون أصغر إن لم يقصد ذلك بل جرى به لسانه عادةً، كما أنَّ هناك من المصروفات ما لا يحمل إلاَّ معنى الندية كالسجود لصنم، والذبح لغير الله، وغيره؛ لهذا كانت الندية في كل شيءٍ بحسبه [1] ، لكنها متى ما كانت فيها مماثلة، ومشابهة، لغير الله بالله فإنها من الشرك الأكبر، وإلاَّ فمن الشرك الأصغر، والله أعلم .

---

(1) لعل هذا السبب هو الذي جعل الكثير من أهل العلم يؤثر تعريفه بالمثال، والله أعلم .

المبحث الثاني

حكم الشرك الأصغر

الشرك الأصغر من الأمور التي حرمها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهو من الأمور المخلة بتوحيد المرء والتي تنقص من كماله الواجب، وقد جاءت النصوص من الكتاب الكريم والسنة النبوية مبينة حكمه، ومحذرة منه فمن تلك النصوص ما يلي:

-من القرآن الكريم:

١- قال تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[١]. والآية وردت في الشرك الأكبر، وكان ابن عباس يحتج بها في الشرك الأصغر، لأنّ الكل شرك [٢].

٢- وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[٣]. والنهي عام شامل للشركين الأصغر والأكبر.

٣- وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾[٤]. قال مجاهد هم أهل الرياء[٥].

---

(١) (البقرة ٢٢٠)

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم، ٨١/١، برقم (٢٣٠) تحقيق د- أحمد عبد الله الزهراني، الدار، المدينة المنورة، الأولى ١٤٠٨هـ وحسنه المحقق،و ينظر تيسير العزيز الحميد،لسليمان آل الشيخ، ٥٨٧، وقال عن سنده (سنده جيد)، وينظر فتح المجيد، لعبد الرحمن بن حسن، ٦٩١/٢ ، وقد حسن المحقق سنده.

(٣) (الكهف ١١٠)

(٤) (فاطر ١٠٠)

(٥) الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيثمي، ٧٦/١، تحقيق خليل شيخا، دار المعرفة، بيروت، الأولى، ١٤١٩هـ.

ومن السنة النبوية على صاحبها صلاة الله وسلامه:

١- قال عليه الصلاة والسلام: (قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)[١] .

٢- وقال عليه الصلاة والسلام: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)[٢]. فإذا كان الحالف معظماً المحلوف به كان شركاً أكبر، وإن لم يكن معظماً له ولكن جرى لسانه به عادة كان من الشرك الأصغر[٣]، وعموماً فالحديث دلّ على النهي عن الشركين الأصغر، والأكبر.

٣- قال عليه الصلاة والسلام: (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)[٤].

وقد دلّ هذا الحديث على أنّ مصدر تسمية هذا النوع من الشرك بالشرك الأصغر هو السنة.

٤- وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الشرك الخفي: أن يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل)[٥]

- والشرك الأصغر أكبر من الكبائر، قال ابن مسعود - رضي الله عنه- «لأن

---

(١) سبق تخريجه في مبحث حكم الإخلاص صـ ٣٣ .

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الإيمان، باب كراهة الحلف بالأباء، ٩/٥٦-٥٧، برقم [٣٢٤٩]، وأخرجه الترمذي واللفظ له كتاب النذوروالأيمان، الباب رقم (٨)، ٥/١١٣، برقم [١٥٧٤]، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب، ٣/١٣٠، برقم [٢٩٥٢].

(٣) ينظر بعض أنواع الشرك الأصغر، د/ عواد بن عبد الله المعتق، ٥٣، مكتبة الرشد، الرياض، الأولى، ١٤٢٠هـ.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ١٧/٥٩، برقم [٢٣٥٢١]، وأخرجه الضراب في ذم الرياء، ١٢٦،برقم (٣١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/١٢٠، برقم[٣٢] .

(٥) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة، ٤/٤٧٠، برقم[٤٢٠٤] وأخرجه أحمد في مسنده، ١٠/٩٨، برقم [١١١٩١]، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ،١/١١٩، برقم [٣٠].

أحلف بالله كاذباً أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقاً»[١]. ومعلوم أنَّ الحلف بالله كذباً كبيرة من الكبائر، لكنَّ الشرك- وهو الحلف بغير الله- أكبر من الكبائر،وإن كان شركاً أصغر[٢].

وبقي أن يقال هل صاحب الشرك الأصغر تحت المشيئة إن مات عليه، أم أنه داخل في وعيد الشرك فلا بد أن تمسه النار ثم مصيره إلى الجنة؟

للعلماء في هذه المسألة قولان:

القول الأول:

أن المشرك شركاً أصغر ليس تحت المشيئة فلا بد أن تمسه النار ثم مآله إلى الجنة بما معه من توحيد.

ومن أدلتهم:

١-قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[٣].والآية عامة في كل شرك دون فرق.

٢- واحتجوا بعموم الأدلة التي سبقت في حكم الشرك الأكبر وقالوا إن المشرك شركاً أصغر داخل في الوعيد لأنَّ العلة واحدة، وهي الشرك لكن المشرك شركاً أصغر مآله للجنة بما معه من توحيد.

واختار هذا القول من أهل العلم: الشيخ صديق حسن خان -رحمه الله-[٤]، والشيخ عبدالرحمن بن قاسم -رحمه الله-[٥]، وهو أحد القولين لشيخ الإسلام -رحمه الله-[٦] .

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، ٢٠٥/٩، برقم [٨٩٠٢]، وصحح المنذري سنده، وصححه موقوفاً الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١٣١/٣، برقم [٢٩٥٣].

(٢) ينظر الإرشاد، للفوزان، ١٣٥.

(٣) (النساء ٤٨٠)

(٤) ينظر الدين الخالص ،٣٨٨/١.

(٥) ينظر حاشية كتاب التوحيد، ٤٩،٥٠-٥١.

(٦) ينظر تلخيص الاستغاثة، ٣٠١/١.

والقول الثاني:

أنَّ صاحبه تحت المشيئة كسائر أهل الكبائر، لما يلي:

١- قال تعالى:﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾(١).

٢- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(٢). والإجماع منعقد أنَّ المراد بالآيتين الشرك الأكبر، فهو الموجب للخلود في النار وهو المحبط للأعمال، والفرق بين الشركين هنا يؤكد الفرق بينهما في حكم الوعيد(٣).

ومال إلى هذا القول: ابن القيم -رحمه الله-(٤).

وهو المفهوم من كلام الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ (٥)، والمفهوم من كلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (٦).

واختاره الشيخ السعدي -رحمه الله-(٧).

ولعل القول الثاني هو الراجح -والله أعلم- لوجاهة ما قالوه، ولأنه يجمع بين النصوص المختلفة.

---

(١) (المائدة ٠٧٢)

(٢) (الزمر ٠٦٥)

(٣) ينظر رسالة السعدي للحصين ضمن كتاب (الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة)، د- عبد الرزاق العباد، ١٩٤، الرشد، الرياض، الثانية ١٤١٤هـ.

(٤) ينظر مدارج السالكين ١/٣١٥-٣١٦،٣٧٩، والداء والدواء ،٣٢٠.

(٥) ينظر تيسير العزيز الحميد، ١٢٠.

(٦) ينظر قرة عيون الموحدين، ٢٩، ضمن الجامع الفريد.

(٧) ينظر الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة، للعباد، ١٩٥ .

المبحث الثالث

الفرق بين الشرك الأصغر وبين الشرك الأكبر

هناك فروق بين كل من الشرك الأصغر والشرك الأكبر، ذكرها أهل العلم وأوضحوها، حتى يتميز حكم كل منهما؛ وحتى لا يقع الخلط بينهما في الأحكام، فمن تلك الفروق التي ذكرت:

١- أنَّ الشرك الأكبر يخرج صاحبه عن الملة، أما الشرك الأصغر فلا يخرج صاحبه عن الملة، لكن الواقع فيه: ناقص الإيمان، فاسق بهذا الشرك، وهذا واضح مما سبق في حكميهما.

٢- الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[2]. وغير ذلك من الأدلة التي ذكرت في حكم الأعمال التي أخلص فيها الكفار والمشركون.

أما الشرك الأصغر فلا يحبط من العمل إلاّ ما خالطه على تفصيل في المسألة سيأتي بيانه في أقسام الرياء وأثره على الأعمال بحول الله وقوته.

٣- من مات على الشرك الأكبر فإنَّه يخلد في نار جهنم، وسبق بيانه في حكم الشرك الأكبر، أما المشرك شركاً أصغر فلو دخل النار بهذا الشرك فمصيره إلى الجنة، بما معه من توحيد، قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: «وقد يقال: الشرك لا يغفر منه شيء، لا

---

(١) (الزمر ٠٦٥)

(٢) (الفرقان ٠٢٣)

أكبر ولا أصغر على مقتضى عموم القرآن، وإن كان صاحب الشرك الأصغر يموت مسلماً، لكنَّ شركه لا يغفر له، بل يعاقب عليه وإن دخل بعد ذلك الجنة»[١].

٤- الشرك الأكبر يبيح الدم والمال، بعكس الشرك الأصغر فصاحبه مسلم ناقص الإيمان، فاسق بهذا الشرك.

٥- الشرك الأكبر غير مغفور لصاحبه بإجماع الأمة -وسبق بيانه في حكم الشرك الأكبر- أما الأصغر فاختلف في حكم صاحبه أهو تحت المشيئة فيكون مغفوراً لصاحبه أم ليس تحت المشيئة فلا يكون مغفوراً لصاحبه -كما سبق بيانه- لكن مآل صاحبه إلى الجنة وإن دخل النار.

٦- الشرك الأكبر يوجب عداوة المؤمنين، ولا يجوز أن يحب المشرك شركاً أكبر، ولا يوالي، ولو كان أقرب قريب.

أما المشرك شركاً أصغر، فلا يمنع شركه هذا من موالاته مطلقاً، بل صاحبه يحب بقدر ما معه من إيمان ويوالى كذلك، ويبغض ويعادى بقدر ما فيه من عصيان.

٧- الشرك الأكبر الداعي له إما معدوم في نفوس المؤمنين وإماَّ ضعيف؛ ولهذا كان الإلقاء في النار أسهل في قلوبهم من الشرك الأكبر، لما يعرفون من عظمة إثمه، وبغض الله له، وكونه أظلم الظلم ....وغيرها من مفاسده العظيمة.

أما الشرك الأصغر فقد يقع منهم؛ لأنَّ النفوس جبلت على حب الرياسة والمدح والثناء... مما هو موقع في الشرك الأصغر؛ ولهذا خافه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحابته، فقال صلى الله عليه وسلم: (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)[٢]. مما يبين لك عظم البلاء بهذا الشرك، وعظم الداعي له[٣].

---

(١) تلخيص الاستغاثة، ١/٣٠١.

(٢) سبق تخريجه في حكم الشرك الأصغر صـ ٢٦٩.

(٣) ينظر تيسير العزيز الحميد، لسليمان آل الشيخ، ١١٨-١١٩، وينظر في الفروق السابقة مايلي: المدخل لدراسة العقيدة، للبريكان، ١٢٧-١٢٨، والإخلاص والشرك الأصغر، د/ عبد العزيز العبد اللطيف، ٣٤-٣٦، دار الوطن، الأولى، ١٤١٢هـ، ونور الهدى وظلمات الضلال، د/سعيد علي القحطاني، ١٥٨-١٥٩، وبعض أنواع الشرك الأصغر، د/ عواد المعتق، ١٤.

المبحث الرابع

متى يصبح الشرك الأصغر شركاً أكبر

قد تكون صورة العملين واحدةً، ولكن أحدهما يعد من الشرك الأكبر، والآخر من قبيل الشرك الأصغر، ولنا أن نسأل متى يكون العمل من الشرك الأصغر ومتى يكون من الشرك الأكبر؟ وما الضابط المميز في التفرقة بينهما؟

لقد نص أهل العلم -رحمهم الله- على الضابط المميز لكل واحد منهما، والمبين متى يلحق العمل بأحد النوعين فقالوا: ((إنَّ الشرك الأصغر يصبح شركاً أكبر بحسب حال قائله، ومقصده))[١].

أما حال القائل فيتضح من كلام شيخ الإسلام -رحمه الله- إذ قال: ((...لكن قد يكون ذلك شركاً أكبر، وقد يكون شركاً أصغر، بحسب ما يقترن به من الإيمان، فمتى اقترن بما نهى الله عنه الإيمان لتحريمه، وبغضه، وخوف العقاب، ورجاء الرحمة؛ لم يكن شركاً أكبر، وأماَّ إن اتخذ [الإنسان ما يهواه] إلهاً من دون الله، وأحبه كحب الله فهذا شرك أكبر [٢] ، والدرجات في ذلك متفاوتة))[٣].

أماَّ قصد القائل فيتضح من الأمثلة التالية:

١- كالحلف بغير الله فقد يكون شركاً أكبر وقد يكون شركاً أصغر، فيكون من الشرك الأكبر إذا قصد تعظيم المحلوف به، ويكون من الشرك الأصغر إن لم يقصد تعظيم المحلوف به[٤].

---

(١) ينظر مدارج السالكين، لابن القيم، ٣٨٤/١، وينظر تيسير العزيز الحميد، لسليمان آل الشيخ، ٥٢٣،٤٥.

(٢) أصبح شركا أكبر ؛ لأنه اتخذه نداً لله .

(٣) قاعدة في المحبة، ١٠٦-١٠٧.

(٤) سيأتي مزيد إيضاح لهذه الفقرة في مبحث متى يصبح الرياء شركاً أكبر.

٢- كقول ما شاء الله وشئت، ونحوه مما فيه مساواة بين الخالق والمخلوق فإن كان عن تعظيم لمن سوى بينه وبين الله في اللفظ فهذا شرك أكبر، وإن لم يكن عن تعظيم فهو شرك أصغر[١].

كما أن الشرك الأصغر قد يصبح شركاً أكبر:

١- إن كان في أصل الإيمان، وذلك كالرياء بأصل الإيمان كحال المنافقين.

٢- أو إذا غلب الشرك الأصغر على عمل العبد كالرياء، وإرادة الدنيا... فهذا يكون شركاً أكبر[٢].

ويتضح مما سبق أنَّ الشرك الأصغر يصبح شركاً أكبر بما يلي:

١- بالنظر لحال القائل، ومقصده.

٢- أو أن يكون الشرك الأصغر في أصل الإيمان.

٣- أو أن يغلب الشرك الأصغر على عمل صاحبه.

فهذه الأمور هي التي تبين متى يلحق الشرك الأصغر بالشرك الأكبر، والله أعلم.

ويمكن القول أن الحالتين الثانية والثالثة ترجع إلى المقاصد فيكون الضابط المميز هو: ((حال القائل، ومقصده)) فالمدار على المقاصد والنيات والله سبحانه وتعالى أعلم بنية المرء وقصده.

وبهذا الضابط يعرف متى يصبح الشرك الأصغر شركاً أكبر والله أعلم.

---

(١) ينظر بعض أنواع الشرك الأصغر، د/ عواد المعتق، ٤٤-٤٥.

(٢) ينظر المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، للبريكان، ١٣٩.

المبحث الخامس

الموازنة بين الشرك الأصغر والكبائر

قد علم من نصوص الشرع أن الذنوب ثلاثة أقسام:

- الكفر والشرك.
- الكبائر.
- الصغائر.

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾[1]. فقد دلت الآية على أن الذنوب كبائر وصغائر، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[2]. وهذه الآية فرقت بين الشرك وغيره من الذنوب وهذا التفريق جعل الذنوب شركاً ليس بمغفور لصاحبه وغيره من الذنوب صاحبها تحت المشيئة، وهذه الذنوب قسمتها الآية الأولى لقسمين كبائر وصغائر، وهناك نصوص كثيرة أبانت هذا التقسيم وما ذكر كافٍ في البيان والإيضاح، وعقد المبحث للموازنة بين الشرك الأصغر والكبائر، فما هي الكبيرة وما حدها الشرعي:

لعلَّ أجمع التعاريف للكبيرة أنها:

«كل ذنب كان فيه: حد، أو وعيد، أو لعن، أو نفي لإيمان صاحبه».

---

(١) (النساء ٣١).

(٢) (النساء ٤٨).

كما قال الحجاوي[١] -رحمه الله-:

((فما فيه حد في الدُّنا أو توعد بأخرى فسم كبرى على نص أحمد

وزاد حفيد المجد أو جا وعيده بنفيٍّ لإيمان وطرد لمبعد))[٢]

وكبائر الذنوب ليست كالشرك لكنها كما قال ابن القيم -رحمه الله-: ((... أنَّ الذنوب دهليز الشرك والكفر ومنازعة الله ربوبيته))[٣].

ولقد فارقت كبائر الذنوب الشرك الأصغر بما يلي:

١- الكبائر لا تحمل سوء الظن بالله، يقول ابن القيم -رحمه الله- : ((وأمَّا نجاسة الذنوب والمعاصي فإنها بوجه آخر، فإنها لا تستلزم تنقيص الربوبية، ولا سوء الظن بالله عز وجل؛ ولهذا لم يرتب الله سبحانه عليها من العقوبات والأحكام ما رتبه على الشرك، وهكذا استقرت الشريعة على أنه يعفى عن النجاسة المخففة كالنجاسة في محل الاستجمار ...ما لا يعفى عن المغلظة))[٤].

٢- اجتناب الشرك كبيره وصغيره من أسباب تكفير الكبائر:

قال ابن القيم -رحمه الله-: ((وتأمل قوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾[٥] كيف تجد تحته بألطف دلالة وأدقها، وأحسنها أنه من اجتنب الشرك جميعه كفرت عنه كبائره، وأنَّ نسبة الكبائر إلى الشرك كنسبة الصغائر إلى الكبائر، فإذا وقعت الصغائر مكفرة باجتناب الكبائر، تقع مكفرة باجتناب

---

(١) هو شرف الدين موسى بن أحمد بن موسى بن سالم الحجاوي المقدسي ثم الصالحي، أبو النجا (٨٩٥-٩٦٨هـ) فقيه حنبلي من أهل دمشق ، كان مفتي الحنابلة وشيخ الإسلام فيهم ، نسبته إلى حجة من قرى نابلس له مصنفات منها : الإقناع، زاد المستقنع مختصر المقنع ، منظومة الكبائر ، وغيرها. ينظر : السحب الوابلة، لابن حميد،٣/١١٣٤، والأعلام ، للزركلي، ٧/٣٢٠.

(٢) الذخائر لشرح منظومة الكبائر، للسفاريني، ١١٢-١٢٢.

(٣) الداء والدواء، ٣٠٥.

(٤) إغاثة اللهفان، ١/٧٠.

(٥) (النساء ٣١).

الشرك)) [١].

٣- الكبائر تحت المشيئة قولاً واحداً لأهل السنة، أما الشرك الأصغر فاختلفوا فيه ومضى الكلام عليه قال أبو حنيفة –رحمه الله-: ((وما كان من السيئات دون الشرك والكفر و لم يتب عنها صاحبها حتى مات مؤمناً فإنه في مشيئة الله تعالى، إن شاء الله عذبه بالنار، وإن شاء عفا عنه و لم يعذبه بالنار أصلاً))[٢].

٤- عذاب الشرك الأصغر أعظم من عذاب أهل الكبائر:

كما قال ابن مسعود- رضي الله عنه-: ((لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أحلف بغيره صادقاً))[٣]. فالشرك أعظم من الكبائر وإن كان شركاً أصغر؛ ولهذا فعقوبته أعظم.

قال شيخ الإسلام –رحمه الله- معلقاً على قول ابن مسعود –رضي الله عنه- المتقدم: ((وذلك لأنّ الحلف بغير الله شرك، والشرك أعظم من الكذب))[٤].

ويقول ابن رجب –رحمه الله-: ((...وإنما زاد عذاب أهل الرياء على سائر العصاة؛ لأنّ الرياء هو الشرك الأصغر، والذنوب المتعلقة بالشرك أعظم من المتعلقة بغيره))[٥].

٥-الشرك إن كان أكبراً فإنه محبط لجميع العمل –وسبق- وإن كان أصغر فإنه يحبط الذي يخالطه من العمل –على تفصيل سيأتي في أقسام الرياء بحول الله وقوته- أمَّا كبائر الذنوب فلا تحبط العمل.

---

(١) إعلام الموقعين، ١/ ٢٩٠.

(٢) الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة مع الشرح الميسر، ٧٤، طبع وزارة الشئون الإسلامية، المملكة العربية السعودية الرياض، ١٤٢٠هـ، وينظر الاعتقاد، للبيهقي، ٢٣٧، وينظر مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام، ٣٥٨/٢.

(٣) سبق تخريجه في حكم الشرك الأصغر صـ ٢٧٠.

(٤) مجموع الفتاوى، ١/ ٢٥٤.

(٥) التخويف من النار، ٢٢٣.

قال ابن حزم –رحمه الله-: ((وقد نص تعالى أن الأعمال لا يحبطها إلاّ الشرك والموت عليه، وقال تعالى: ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا ﴾[١] فلو كانت كل سيئة أو كبيرة توجب الخلود في جهنم، وتحبط الأعمال الحسنة، لكانت كل سيئة أوكل كبيرة كفراً، ولتساوت السيئات كلها، وهذا خلاف النصوص ...))[٢].

٦-كبائر الذنوب وصغائرها لا تعد شركاً: قال الزهري –رحمه الله-: ((وكانوا يجرون الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاءت تعظيماً لحرمات الله، ولا يعدون الذنوب شركاً ولا كفراً))[٣].

ولكن قد ورد عن بعض أهل العلم إطلاقهم على الذنوب أنها شرك [٤]، فما مرادهم بهذا القول ؟

مرادهم بهذا القول أنَّ صاحب الذنب لما قدم هواه على رضى مولاه كان ذنبه شركاً بهذا الاعتبار، ولكن لم يكن قصدهم الشرك المخرج عن الملة، إنما القصد الشرك اللغوي لا الشرعي.

قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: ((... ظلم العبد نفسه كبخله لحب المال ببعض الواجب؛ هو شرك أصغر، وحبه ما يبغضه الله حتى يكون يقدم هواه على محبة الله شرك أصغر، ونحو ذلك، فهذا صاحبه قد فاته من الأمن والاهتداء بحسبه، ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار))[٥].

---

(١) (الأنعام ١٦٠)

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٤/٤١.

(٣) الاعتقاد، للبيهقي، ٣٣٦.

(٤) ينظر كلمة الإخلاص «ضمن الجامع المنتخب من رسائل ابن رجب»، ٢٢٨، تحقيق/ محمد العمري، دار المؤيد، الرياض ، الأولى، ١٤١٨هـ.

(٥) مجموع الفتاوى، ٧/٨٢.

المبحث السادس

أنواع الشرك الأصغر

للشرك الأصغر أنواع كثيرة، آثر بعض العلماء أن يذكر أنواعه بذكر أمثلة لهذا الشرك يقاس غيرها عليها، قال ابن القيم -رحمه الله-: ((وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله...)) [١].

وحاول البعض إرجاع أمثلته الكثيرة لأنواع عامة تحمل أفراده، وقد تنوع تقسيمهم؛ لتنوع الاعتبارات التي نظروا إليها، فمن تلك التقسيمات:

أولاً: تقسيم الشرك الأصغر بالنظر لخفائه ووضوحه:

فقسم الشرك الأصغر لنوعين:

١- شرك أصغر خفي.

٢- وشرك أصغر جلي [٢].

ومستند هذا التقسيم هو قوله صلى الله عليه وسلم: ((الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا)) [٣].

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-: ((ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الشرك الخفي: أن يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل))[٤].

---

(١) مدارج السالكين، ٣٨٤/١،وينظر تيسير العزيزالحميد، لسليمان آل الشيخ، ٥٣٣.

(٢) ينظر الإخلاص والشرك الأصغر، د/عبد العزيز العبد اللطيف، ٣٨، وشرح نواقض التوحيد، لحسن علي العواجي، ٢٤، مكتبة لينة، دمنهور، مصر الأولى، ١٤١٣هـ.

(٣) سيأتي تخريجه بحول الله في العلاج العملي للرياء صـ ٢٨٠.

(٤) سبق تخريجه في حكم الشرك الأصغر صـ ٢٦٩.

وهذا التقسيم ليس خاصاً بالشرك الأصغر، لأنَّ الشرك الأكبر أيضاً قد يكون خفياً وجلياً، كما أنَّ الحديثين لم يحصرا هذا التقسيم في الأصغر، ولكن يمكن تقسيمه بهـذا التقسيم دون النص على أنه خاص بالشرك الأصغر فحسب.

ثانياً: تقسيمه بالنظر إلى جوارح الإنسان:

فقد قسم لقسمين:

١- الشرك في النيات والمقاصد: كالرياء، وإرادة الإنسان بعمله الدنيا.

٢- الشرك في الألفاظ: كالحلف بغير الله، وقول ماشاء الله وشئت، ولولا الله وأنـت ونحوهما، وإسناد بعض الحوادث لغير الله، وقول البعض مطرنا بنوء كـذا علـى طريق المجاز [1].

وقد ترك في هذا التقسيم الشرك في الأفعال، لكن المقسم بهذا التقسيم كان يريـد الحديث عن بعض أنواع الشرك الأصغر .

ثالثاً: يمكن تقسيم الشرك الأصغر بالنظر للمتعلقات الثلاث من الجوارح، وهي:

١- القلب.

٢- الألفاظ.

٣- الأفعال.

فالأول: من أنواع الشرك الأصغر في القلب:

١- الرياء على تفصيل سيأتي بيانه بحول الله في موطنه.

٢- إرادة الدنيا بعمل الآخرة على تفصيل سيأتي بيانه بحول الله.

٣- الاعتماد على الأسباب:

والأسباب قسمان:

أ - أسباب صحيحة فالالتفات إليها وحدها شرك في التوحيد، يقول شـيخ الإسـلام

---

(١) ينظر بعض أنواع الشرك الأصغر، لعواد المعتق، ٥-٦، ١٥-٥١.

-رحمه الله-: ((الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع))[١].

ب-أسباب وهمية غير صحيحة كالتمائم والحلقة والخيط، فجعل هذه أسباباً للتداوي وطلب الشفاء شرك أصغر إذا لم يعتقد أنها مؤثرة بنفسها دون الله تعالى، وإلاَّ فهي شرك أكبر.

والقاعدة:((أنَّ كل من أثبت لله سبباً لم يجعله الله سبباً شرعياً ولا قدرياً فقد أشرك بالله)) [٢].

٤- التطير وتنطبق عليه القاعدة السابقة: فهذه من أنواع الشرك الأصغر القلبي.

الثاني: من أنواع الشرك الأصغر في الألفاظ:

١- الحلف بغير الله وسبق الكلام عليه.

٢- نسبة الأشياء للأشياء كقول ((مطرنا بنوء كذا)) وهذا له ثلاثة أحوال:

أ - أن يكون شركاً أكبر إذا نسبها نسبة خلق وإيجاد.

ب- أن يكون شركاً أصغر إذا نسبها نسبة لسبب (وسبقت القاعدة).

جـ- نسبتها نسبة وقت كمن يقول جاء المطر في هذا النوء (أي الوقت) فهذا جائز[٣].

٣- التشريك بين الله وبين غيره كمن يقول ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت، ونحوها فهذا التشريك له حالان:

أ - أن يقوم بقلبه تعظيم من سوى بينه وبين الله فهذا شرك أكبر.

ب- ألاَّ يقوم بقلبه تعظيم فهذا شرك أصغر[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى، ١/١٣١، ١٠/٣٥.

(٢) القول المفيد، لابن عثيمين -رحمه الله- ،١/١٥٩-١٦٢، تحقيق د-سلمان أبا الخيل، ود- خالد المشيقح، دار العاصمة، الرياض، الأولى، ١٤١٥هـ.

(٣) ينظر القول المفيد، لابن عثيمين، ٢/١٢٨.

(٤) ينظر بعض أنواع الشرك الأصغر، لعواد المعتق،٤٥.

والثالث: من أنواع الشرك الأصغر الشرك الأصغر في الأفعال:

١- كلبس التمائم ونحوها وسبق بيانها.

٢- التبرك بآثار الصالحين إذا لم يعتقد أنها تنفع أو تضر أو أنَّ لها تأثيراً وإلاَّ كان شركاً أكبر؛ وذلك لأنه اتخاذ سبب غير مشروع فتعد شركاً أصغر بالشروط السابقة[١]. وعموماً فهذه أنواع الشرك الأصغر إجمالاً، والمقام ليس مقام البسط فيها.

رابعاً: يمكن تقسيم الشرك الأصغر حسب أنواع التوحيد الثلاثة وهي:

١- الشرك الأصغر في الربوبية كمن يقول مطرنا بنوء كذا معتقداً أنه سبب لحصول المطر لكن ليس مؤثراً من دون الله كما سبق.

٢- الشرك الأصغر في الأسماء والصفات: كإطلاق قاضي القضاة ونحوها من الألفاظ التي فيها مشاركة لله في أسمائه وصفاته، وقد غلظ الشرع في هذا ونحوه مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه [٢].

٣- الشرك الأصغر في الألوهية: كالرياء الذي ليس في أصل الإيمان، والذي لم يغلب على العمل، وكان يسيراً، وسيأتي تفصيله بحول الله[٣]. وهذا أيضاً من أنواع الشرك الأصغر وليس المقام مقام البسط فيها، والله أعلم.

---

(١) ينظر فتاوى الشيخ عبد الرزاق عفيفي، ٣٥٧.

(٢) ينظر كتاب التوحيد مع شرحه القول السديد، ١٢٤-١٢٥.

(٣) وهذا التقسيم مستفاد من تيسير العزيز الحميد، لسليمان آل الشيخ، ٤٣.

المبحث السابع

أثر الشرك الأصغر على الإخلاص

الشرك الأصغر له حالتان:

الحالة الأولى: أن يلتحق بالشرك الأكبر في حالات سبق ذكرها، فالقول في أثره على الإخلاص كالقول في أثر الشرك الأكبر على الإخلاص، وسبق؛ لأنَّ الكل أصبح شركاً أكبر.

الحالة الثانية: أن لا يلتحق بالشرك الأكبر، بل يبقى على حالته من كونه شركاً أصغر، فما أثره على الإخلاص في هذه الحالة؟ قد سبق بيان حكم الشرك الأصغر، وأنه أكبر من الكبائر، وسبق بيان اختلاف أهل العلم في حكم صاحبه أهو ممن يدخل تحت المشيئة في الآخرة أم لا؟ وعلى كلا القولين فمصير صاحبه إلى الجنة وبهذا فارق الشرك الأكبر.

ومن الحكم السابق يظهر أثر الشرك الأصغر على الإخلاص، فالشرك الأصغر ينقص من كمال الإخلاص الواجب؛ فمن وقع فيه فقد نقص من إخلاصه الواجب بقدر ما وقع فيه من الشرك الأصغر، لكن إخلاصه لم ينتف كلية كما في الشرك الأكبر، بل معه من الإخلاص ما يكون به مؤمناً وفيه من الشرك الأصغر ما يكون به فاسقاً ناقص الإيمان والإخلاص.

أمَّا تأثير الشرك الأصغر على الإخلاص في العمل الذي يخالطه ، فإنه يبطل العمل الذي وقع فيه على تفصيل سيأتي في أقسام الرياء بحول الله.

قال ابن القيم -رحمه الله-: ((وأمَّا الشرك في العبادة؛ فهو أسهل من هذا الشرك، وأخف أمراً، فإنَّه يصدر ممن يعتقد أنه لا إله إلا الله، وأنه لا يضرُّ ولاينفع ولا يعطي ولا يمنع إلاَّ الله، وأنَّه لا إله غيره، ولا رب سواه، ولكن لا يخصُّ الله في معاملته وعبوديته،

بل يعمل لحظ نفسه تارةً، ولطلب الدنيا تارةً ، ولطلب الرفعة والمنزلة والجاه عند الخلق تارةً؛ فلله من عمله وسعيه نصيب، ولنفسه وحظه وهواه نصيب، وللشيطان نصيب، وللخلق نصيب، وهذا حال أكثر الناس .

وهو الشرك الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن حبان في صحيحه: " الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة " قالوا كيف ننجوا منه يا رسول الله؟ قال: " قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم "[1] ... وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل، وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجباً؛ فإنَّه يتزله متزلة من لم يعمل، فيعاقب على ترك الأمر؛ فإنَّ الله سبحانه إنما أمر بعبادته عبادةً خالصةً، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[2]؛ فمن لم يخلص لله في عبادته؛ لم يفعل ما أمر به؛ بل الذي أتى به شيء غير الذي أمر به، فلا يصح ولا يقبل منه...))[3].

---

(١) سيأتي تخريجه في العلاج العملي للرياء بحول الله.

(٢) (البينة ٥٠٠)

(٣) الداء والدواء ، ٣٢٠.

الفصل الثالث

الرياء

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريفه.

المبحث الثاني: حكمه.

المبحث الثالث: متى يكون الرياء شركاً أكبر؟.

المبحث الرابع: أسباب تحريمه.

المبحث الخامس: خوف السلف منه.

المبحث السادس: دوافع الرياء وأسبابه.

المبحث السابع: الأمور التي قد يرائي الإنسان بها.

المبحث الثامن: علامات تدل على الرياء.

المبحث التاسع: علاج الرياء.

المبحث العاشر: أقسام الرياء وأثر كل قسم على العمل وعلى الإخلاص فيه.

المبحث الأول

تعريف الرياء

تعريف الرياء لغة:

الرياء مشتق من الرؤية، والرياء مصدر راءى يرائي مراءاةً ورياءً.

قال ابن فارس تحت مادة ((رأى)): ((... وراءى فلانٌ يرائي، وفعل ذلـــك رئـــاء الناس، وهو أن يفعل شيئا ليراه الناس...))[١].

وقال الفيروز آبادي تحت مادة ((رؤية)): ((وراءيته مرآآةً ورئاءً، أريته على خلاف ما أنا عليه، كرأيته ترئيةً ...))[٢].

يستفاد مما سبق : أنَّ الرياء في اللغة العمل طلباً لرؤية الناس، وقد يكـــون العـــامل على خلاف ما أظهره، فكل عمل عُمل ليراه الناس فهو: رياء، سواءً كان الفاعل علـــى خلاف ما هو عليه أم لا، وسواءً كان طلب رؤية الناس مقصوداً بـــه النـــاس أم رب الناس.

تعريف الرياء في الشرع:

تنوعت عبارات أهل العلم في تعريفهم للرياء، فمنها ما كان أعم من المعرف بحيث يشمل المعرف وغيره، ومنها ما اختص بالمعرف فلا يتعداه إلى غيره.

أولاً: التعريفات التي كانت أعم من المعرف:

أ- تعريفات كانت شاملة للرياء وغيره، ومنها:

---

(١) معجم المقاييس في اللغة، ٤٣٦، وينظر مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٣٧٥.

(٢) القاموس المحيط، ٣٣٣/٤، وينظر لسان العرب تحت مادة (رأى)، ١٠٩٤/١.

١- قال القرطبي -رحمه الله-: ((وحقيقة الرياء: طلب ما في الدنيا بالعبادة))[١]. فـــهذا التعريف شمل الرياء، والسمعة، وإرادة الدنيا،وغيرها؛ لأن الكل طلب ما في الدنيـا بالعبادة.

٢- قال الجرجاني -رحمه الله-: ((الرياء : ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غـــير الله فيه))[٢].وهو كالسابق.

٣- قال ابن عابدين -رحمه الله-: ((والرياء فيها، وهو: أن يريد بها غـــير وجـه الله تعالى))[٣].

٤- وقال صالح بن عبد السميع الأزهري[٤]: ((والرياء: هو أن يريد بعملـــه ...غـــير الله))[٥].

٥- وقال الصنعاني -رحمه الله-: ((أن يفعل الطاعة ويترك المعصية، مع ملاحظة غـــير الله، أو يخبر بها، أو يحب أن يطلع عليها لمقصد دنيوي من مال أو غيره))[٦] فكـل التعريفات السابقة تشمل الرياء وغيره.

ب- من كان تعريفه يشمل السمعة والرياء:

١- قال المحاسبي -رحمه الله- عن الرياء: ((إرادة العبد العباد بطاعـــة ربـــه))[٧] فـــهذا تعريف يشمل الرياء والسمعة؛ لأن القصد في الكل إرادة العباد.

٢- وقال أحمد غنيم النفراوي[٨]: ((قال القرافي في الذخيرة: الرياء: إيقاع القربة يقصـد

(١) تفسير القرطبي، ٢١٠/٢٠، وله تعريف آخر يطابق المعرف سيأتي.

(٢) التعريفات، ١٥١، وينظر قواعد الفقه، لمحمد عميم الإحسان، ٣١١.

(٣) حاشية ابن عابدين، ٤٢٥/٦.

(٤) بعد البحث والتحري لم أجد له ترجمةً، وله مؤلفان مطبوعان هما: الثمر الداني شرح رســـالة أبي زيـد القيراواني، وجواهر الإكليل شرح مختصر خليل وهما من الكتب الهامة في بابيهما .

(٥) الثمر الداني، ٦٧٨، بتصرف يسير، وينظر كفاية الطالب، لأبي الحسن المالكي، ٥٦٩/٢.

(٦) سبل السلام، ٢٨٤/٨.

(٧) الرعاية، ٢٠٦.

(٨)هو أحمد بن غانم أو غنيم بن سالم بن مهنا النفراوي الأزهري المالكي، شهاب الدين(١٠٤٤-١١٢٦هـ)

بها الناس))[١] وهو كالسابق.

ثانياً: التعريفات المطابقة لحدود المعرف:

١- قال الحميدي -رحمه الله-: ((الرياء: أن يظهر للناس من إرادته الجهاد بها خلاف ما يضمر لأنَّ الأوصاف التي وصف بها تبطل تحقيق النية))[٢].

٢- وقال الغزالي -رحمه الله-: ((وإنما الرياء أصله: طلب المترلة في قلوب الناس بإرائـهم خصال الخير))[٣].

٣- وقال القرطبي -رحمه الله-: ((والرياء إظهار الجميل ليراه الناس لا لاتبـاع أمـر الله))[٤].

٤- وقال العز بن عبد السلام -رحمه الله-: ((الرياء: إظهار عمل العبادة لينال مظـهرها عرضاً دنيوياً إمَّا بجلب نفع دنيـوي، أو لدفـع ضـرر دنيـوي أو تعظيـم أو إجلال))[٥]. وقوله(إظهار) دليل على أنَّ مقصده الرؤية، فالعمل يرى إن أظهر.

٥- وقال شيخ الإسلام -رحمه الله-: ((وهو إرادة أن يرى الناس عمله))[٦].

٦- وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- عنه: ((إظهار العبادة لقصد رؤية النـاس لهـا فيحمدوا صاحبها))[٧].

٧- وقال المناوي -رحمه الله- عنه: ((إظهار العبادة ليراها الناس فيحمدوه))[٨].

فقيه من بلدة نفرى من أعمال قويسنا بمصر نشأ بها وتفقه وتأدب بها ، توفي في القـاهرة، مـن مصنفاتـه: الفواكه الدواني، شرح الرسالة النووية، وغيرهما، ينظر: الأعلام، للزركلي، ١/١٩٢ .

(١) الفواكه الدواني، ٢/٣٢٨.

(٢) تفسير غريب ما في الصحيحين، ٣٣٤.

(٣) إحياء علوم الدين، ٣/٣٨١.

(٤) تفسير القرطبي، ٥/٤١٩.

(٥) قواعد الأحكام، ١/١٠٧.

(٦) شرح العمدة ((كتاب الصلاة))، ٥٧٧.

(٧) فتح الباري، ١١/٤٠٨.

(٨) فيض القدير، ٢/١٢٣، وينظر حاشية العدوي، ١/٢٥٦، وينظر كشاف القنـاع، للبـهوتي، ١/٣٢٥،

وهذه التعاريف مطابقة للمعرف؛ لأنها جمعت أركان التعريف كلها وهي:

- المرائي: فاعل الرياء.
- المراءى: الناس.
- المراءى به: العبادة، وسيأتي الكلام عليها بحول الله في الأمور التي يدخلها الرياء.
- الوسيلة التي لفتت انتباه غيره: الرؤية وبهذا فارق السمعة -ويأتي بحول الله بيان الفرق بينهما- فهو يتعلق بحاسة البصر.
- القصد الباعث على العمل: وهو الناس، وبهذا فارق إرادة الدنيا؛ لأن إرادة الدنيا قد تكون بغير الناس كالمال، والمنصب... وغيرها
- كما أنه فارق الرياء المحمود؛ لأنَّ الرياء المذموم القصد منه الناس، وأما المحمود فالقصد منه وجه الله سبحانه[1].

ويلاحظ أن التعريفات السابقة كانت للرياء المذموم وهو الذي عقد الحديث عنه.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يظهر جلياً أنَّ الدلالتين متوافقتان، لكنَّ المعنى اللغوي كان شاملاً للرياء المحمود والمذموم بخلاف المعنى الشرعي الذي قصد به الرياء المذموم، كما أنَّ بعض التعريفات اللغوية لاحظت المعنى الشرعي في تعريفها فحسب فقصرت التعريف على الرياء المذموم.

وينظر دليل الفالحين، لمحمد بن علان الصديقي، ٤٥٥/٨، دار المعرفة، بيروت، الثانية، ١٤١٦هـ.

(١) ينظر شعب الإيمان، للبيهقي، ٣٧٥/٥، وينظر مدارج السالكين، لابن القيم، ٩٣/٢-٩٤.

المبحث الثاني

حكم الرياء

الرياء من أنواع الشرك الأصغر ، وحكمهما واحد ، وقد يصل إلى الشرك الأكـــبر في حالات -يأتي بيانها بحول الله- وأُفرد بالحديث عنه لخفائه، ودقة مسائلة وعظم البلاء به[١].

وقد دل الكتاب، والسنة، والإجماع على تحريمه.

فمن أدلة الكتاب الكريم:

١- قـــال تعـــالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[٢].

قال ابن عبد البر -رحمه الله- معلقاً على هذه الآية: ((قال أهل العلم بالتـــأويل إنّ قول الله عز وجـــل ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[٣] نزلت في الرياء))[٤].والآية وإن نهت عـــن الشـــرك الأصغـــر فيدخل الشرك الأكبر من باب أولى، فهي عامة لهما[٥].

٢- وقال تعـــالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى

---

(١) ينظر تيسير العزيز الحميد، لسليمان آل الشيخ، ١١٨.

(٢) (الكهف ١١٠)

(٣) (الكهف ١١٠)

(٤) التمهيد، ٢٧٢/٢١، وينظر ذم الرياء، للضراب، ٩٦-٩٨.

(٥) ينظر أضواء البيان، لمحمد الأمين الشنقيطي، ١٥٢/٤-١٥٣، دار الكتـــب العمليـــة، بـــيروت، الأولى، ١٤١٧هـــ.

ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوٓاْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾[١].

فقد بين الله سبحانه وتعالى أقبح أوصاف المنافقين،ومن جملتها الرياء، وما ذكره الله إلا ليجتنب[٢].

٣- وقال تعـــالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾[٣]. والقول هنـــا كالقول في الآية السابقة.

٤- وقال تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾[٤]. قال ســـفيان الثوري في هذه الآية: ((ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء، هذه آيتهم وقصتهم))[٥].

ومن السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم:

١- قال صلى الله عليه وسلم: (من سمع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به)[٦].

٢- وقال عليه الصلاة والسلام: (إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قـــالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله، قال: الرياء)[٧].

وأفاد هذا الحديث أنَّ الرياء من الشرك الأصغر لكن ربما أصبح شـــركاً أكـــبر في حالات يأتي ذكرها بحول الله.

وقال عليه الصلاة والسلام: (قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشـــرك

---

(١) (النساء ١٤٢)

(٢) ينظر النفاق آثاره ومفاهيمه، للشيخ عبد الرحمن الدوسري،١١٤، الرشد، الرياض، الثانية، ١٤٠٤هـ.

(٣) (النساء ٠٣٨)

(٤) (الزمر ٠٤٧)

(٥) فتح القدير، ٤/٤٦٨.

(٦) سبق تخريجه في مبحث مفاسد فقد الإخلاص صـ ١٣٦.

(٧) سبق تخريجه في حكم الشرك الأصغر صـ ٢٦٩.

من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه)[١].

٣- وعن شداد بن أوس عن أبيه –رضي الله عنه–قال: ((كنا نعد الشرك الأصغر علـــى عهد رسول الله الرياء))[٢].

وانعقد الإجماع على تحريم الرياء[٣].

وقد عدّه أهل العلم بناءً على النصوص المتقدمة من مضادات الإخلاص فهو نـــوع من الشرك[٤].

قال الشوكاني –رحمه الله–: ((الرياء من معاصي الله العظيمة وهو الشرك الأصغـــر، فإذا كان له ذريعة، وإليه وسيلة فالواجب قطع تلك الذريعة، ودفع تلـــك الوســـيلة، فالذريعة إلى الحرام حرام، والوسيلة إلى الحرام حرام فتوقي مظان الرياء واجب والوقـوع فيها حرام، ومدافعة النفس عن مثل هذه المعصية من أوجب الواجبات الشرعية))[٥].

---

(١) سبق تخريجه في مبحث حكم الإخلاص صـــ ٣٣.

(٢) أخرجه البزار في مسنده، ٤٠٦/٨، برقم (٣٤٨١)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ٣٤٦/٧، برقـــم (٧١٦٠)، وأخرجه الحاكم في المستدرك، ٣٦٥/٤، برقم (٧٩٣٧)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمـــان، ٣٣٧/٥، برقم (٦٨٤٢)، (٦٨٤٣)، (٦٨٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب، ١٢١/١، برقـــم (٣٥).

(٣) ينظر الزواجر، لابن حجر الهيتمي، ٨٥/١ ، وفيض القدير، للمناوي، ٣٢١/٢،وينظر الفواكه الـــدواني، للنفراوي، ٣٢٨/٢، وينظر حاشية ابن عابدين، ٤٢٥/٦، وينظر موسوعة الإجماع لسعدي أبو جيـــب، ٥٠٢/٢.

(٤) ينظر تعظيم قدر الصلاة، للمروزي، ٥٢٧/٢،و القوانين الفقهية، لابن جزي، ٢٨٥.

(٥) السيل جرار،٤٠٦/١، تحقيق محمد صبحي حلاق، دار ابن كثير، دمشق، الثانية، ١٤٢١هـــ.

المبحث الثالث

متى يصبح الرياء شركاً أكبر

الرياء نوعٌ من الشرك الأصغر -كما سبق بيانه- والحالات التي يلتحق بها الشـرك الأصغر بالشرك الأكبر هي الحالات التي يلتحق بها الرياء بالشرك الأكبر، وقـد سـبق القول في بيان الضابط المميز وهو: **أن النظر يكون لحال القائل ومقصده** [١].

والحالتان الأخيرتان تعودان لهذا الضابط، وهما:

١- أن يكون الرياء بأصل الإيمان، وهذا واضحٌ جداً فهذه الحالة كحالة المنافقين.

٢- أن يغلب الرياء على العمل، ولهذا عبر أهل العلم بأنَّ اليسير مـن الريـاء: شـرك أصغر، ومرادهم أنَّ غير اليسير من الرياء يكون شركاً أكبر .

قال ابن القيم -رحمه الله-: ((وأمَّا الشرك الأصغر فكيسير الرياء...))[٢].

وصرح غيره من أهل العلم بذلك، قال الشيخ سليمان بن عبـد الله آل الشـيخ -رحمه الله-: ((... ففسر الشرك الأصغر باليسير من الرياء، فـدلَّ علـى أن كثـيره أكبر))[٣].

وقد يشكل ما قرره أهل العلم آنفاً مع المفهوم من قوله صلى الله عليه وسـلم: (إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء)[٤].

حيث إنَّ الحديث مصرح بأنَّ الرياء شرك أصغر؟.

والجواب:

---

(١) ينظر صـ ٢٧٤، في مبحث متى يصبح الشرك الأصغر شركاً أكبراً.

(٢)مدارج السالكين، ١/٣٨٤.

(٣) تيسير العزيز الحميد، ٥٣٣، وينظر معارج القبول، للحكمي، ٢/٤٤٢، والقول المفيد، لابـن عثيمـين، ٢/٢٢٧.

(٤) سبق تخريجه في حكم الشرك الأصغر صـ ٢٦٩.

أولاً: كلام أهل العلم السابق إما أن يريدوا به الكم، فهذا حق في كونه شركاً أكـــبر؛ لأنه لو كان يرائي في كل عمل لكان مشركاً شركاً أكبر، لعدم وجود الإخـــلاص في عملٍ يعمله.

وإما أن يريدوا به الكيفية فظاهر الحديث يفيد أنه من الشرك الأصغر مطلقاً[1].

ثانياً: أنَّ هذا الحكم –وهو كون الرياء غير اليسير يصبح شركاً أكبر– جاء في بعـــض النصوص، فعن شداد بن أوس –رضي الله عنه– أنه قال: ((كنا نعد الريـــاء علـــى عهد رسول الله الشرك الأكبر))[2].

وجاء في رواية أخرى لهذا الخبر عنه –رضي الله عنه– أنه قال: ((كنا نعد الشـــرك الأصغر على عهد رسول الله الرياء))[3].

وهذه الرواية هي المحفوظة، ولو صحت الرواية الأولى لهذا الخبر لحملت علـــى أن المراد بها الحالات التي يلتحق بها الرياء بالشرك الأكبر، والله أعلم.

ثالثاً: وردت آثار عن السلف الصالح من التابعين بهذا القيد، فقد قال حماد بن زيد[4] –رحمه الله– مستدلا على نقص الإيمان، وعدم الجزم بقول: ((أنا مؤمن حقا البتـــة)) بقوله: ((... والله ما شككنا في ديننا قط، ولكن جاءت أشياء، أليـــس ذكـــر أن اليسير من الرياء شرك؟ فأينا لم يراء؟))[5].

---

(١) ينظر القول المفيد، لابن عثيمين، ١/١٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في الأوسط، ١/٧٠، برقم (١٩٦)، وقال الهيثمي عن رجال الروايتين: ((ورجالهما رجـــال الصحيح غير يعلي بن شداد وهو ثقة)) ينظر مجمع الزوائد، ١٠/٣٨٠.

(٣) سبق تخريجه في حكم الرياء صـــ ٢٩٥.

(٤) هو حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي البصري الأزرق، أبو إسماعيل (ت/١٧٩هـــ) مـــولى آل جرير بن حازم، كان جده درهم من سبي سجستان، كان ضريراً وكان حافظاً لحديثه ومن أئمة الحديث ، أثنى عليه أهل العلم رحمهم الله ،روى له الجماعة، ينظر : تهذيب الكمال، للمـــزي، ٥/١٦٧-١٧٥، وتقريب التهذيب ،لابن حجر،٢٦٨ .

(٥) السنة، لعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل، ١/٣٤٧، برقم (٧٤٣) بتحقيق د/ محمد ســـعيد القحطـــاني، رمادي للنشر، الرابعة، ١٤١٦هـــ.

وكلامه أورده لبيان أن الإنسان لا يخلو من النقص في إيمانـــه فـــلا يجـــزم بأنـــه مؤمن كامل الإيمان، وقيد هذا النقص الحاصل بسبب اليسير من الريـــاء، لكـــن لـــو كان رياؤه غير يسير هل يكون نقصا في إيمانه أو نافيـــاً لـــه؟ الـــذي ظـــهر لي مـــن عبارته أن التقييد له اعتباره فما كان يسيرا فإنه يُنقـــص الإيمـــان أمَّـــا غـــير اليســـير فيكون نافيا له ، والله أعلـــم.

المبحث الرابع

أسباب تحريم الرياء

تقدم حكم الرياء وأدلة تحريمه من الكتاب، والسنة، وإجماع الأمـــة علـــى هـــذا التحريم، ولكن ما علة تحريم الرياء ؟ ولماذا ورد فيه من الوعيد ما ورد؟.

بادئ ذي بدء فإننا نقول مسلمين بأنه ما دام الحكم من الله عز وجل قـــد صـــدر لتحريم شيء ما فإننا كمسلمين بحمد الله نذعن لذلك ونسلم سواء اقترن بالحكم بيـــان علته أو لم يقترن، فإن جاء معه بيان العلة فلنا أن نذكرها جازمين بها ، وإن لم تذكـــر معه سلمنا بالحكم وجاز لنا الاجتهاد والنظر لبيان العلة دون الجزم بها ؛ لأنَّ الاجتـــهاد عرضة للصواب والخطأ .

ولعلَّ من العلل و الأسباب التي حرم الرياء لأجلها ما يلي:

١- أن الرياء من الشرك الأصغر، وربما التحق بالشرك الأكبر -كما سبق- والشـــرك بالله من أعظم الفساد.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله -: ((والشرك أعظم الفساد كما أن التوحيد أعظـــم الصلاح ولهذا قـــال تعـــالى: ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤ ﴾[1]))[2].

ولا يخفى كما سبق بيانه أن الشرك الأكبر محبط لجميع العمـــل وينفـــي الإيمـــان والإخلاص كلية، وأما الأصغر فينقص من كمال الإيمان والإخلاص الواجب وأما أثـــره

(١) (القصص ٠٠٤)

(٢) مجموع الفتاوى، ١٨/١٦٢.

على العمل فسيأتي بيانه -بحول الله- في أقسام الرياء.

٢- الرياء صفة للمنافقين الذين ذمهم الله سبحانه وتعالى وفيه مخادعة لله ومن يخـادع الله يخدعه الله:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾[1].

٣- الرياء ساقية للنفاق ومنبت لزرعه: قال ابن القيم -رحمه الله-: ((زرع النفاق ينبت على ساقيتين ساقية الكذب وساقية الرياء))[2].

٤- المرائي جهل قدر الخالق ولهذا راءى بعمله يقول ابن رجب -رحمه الله -: ((ما ينظر المرائي إلى الخلق في عمله إلا لجهله بعظمة الخالق، المرائي يزور التوقيع على اسم الملك ليأخذ البراطيل))[3].

٥- الرياء استهانة بقدر الخالق:

لما جهل المرائي قدر الخالق أقدم على الرياء؛ استهانة بقدر الخالق، ولو علم المرائي عظمة الخالق ما أقدم على هذا العمل، ولو علم عظيم جرمه لما أقدم على الرياء.

ولو أن مملوكاً يخدم مالكه لا لخدمته ولكن لينظر إلى محارمه، ما ظنَّ من له مسكة عقل إلا أن المملوك يستهزئ ويستهين بمالكه، ولله المثل الأعلى تعالى عما يفعله الظالمون.

وقد روي مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من أحسن صلاته حيث يراها الناس، وأساءها إذا خلا فإنما ذلك استهانة يستهين بها ربه)[4].

---

(١) (النساء ١٤٢)

(٢) مدارج السالكين، ١/٤٠٠.

(٣) كلمة الإخلاص، ٢٣٧.

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده، ٩/٥٤، برقم (٥١١٧) وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ٢/٤١٢، برقم (٣٥٨٤) وأخرجه الضراب في ذم الرياء، ١٢٠، برقم (٢٦)، ورقم (٣٩)، ورقم (٤٠) قال الهيثمي في

والحديث ضعيف، لكن المعنى صحيح، والله أعلم.

وقد ورد عن قتادة –رحمه الله– أنه قال: ((إذا رايا العبد يقول الله تبـــارك وتعـــالى لملائكته: انظروا إلى عبدي يهزأ بي))[1].

٦- وفي الرياء تلبيس على الخلق لإيهامهم بالصلاح والإخلاص ليصل المرائي لأغراضـه مع أنه لم يقصد وجه الله وحده سبحانه بعمله، وهذا كحال المنافقين [2].

قال تعالى في ذم المنـــافقين : ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝١٠﴾[3]. وفي هذا الذم لخصلة من خصال المنافقين تحذيـــر للمؤمن أن يشابههم في هذه الخصلة فيقع في الرياء المذموم فيكون قد شابه المنـــافقين في أحد خصالهم الذميمة ،والله أعلم.

مجمع الزوائد، ٣٨١/١٠: (وفيه إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف) وضعفه الألباني –رحمـــه الله– في ضعيف الترغيب، ٢٥/١، برقم (١٨).

(١) ذم الرياء، للضراب،١٢٩برقم (٣٤).

(٢) ينظر الشرك الخفي، لزاهر الشهري، ٢٤، دار القاسم، الأولى، ١٤٢٠هـ.

(٣) (البقرة ٠٠٩-٠١٠)

المبحث الخامس

خوف السلف من الرياء

حرص السلف الصالح رضوان الله عليهم على النأي بأنفسهم عن كل ما من شأنه أن يفسد أعمالهم طمعا منهم في قبولها ؛ لذا نراهم جاهدوا أنفسهم في الابتعاد عن مفسدات الأعمال ومنها الرياء، وتجلت مظاهر خوفهم من الرياء فيما يلي:

١- أقوالهم المنفرة من الرياء، والمحذرة منه وكان ذلك عن نصح منهم بصدق وإخلاص، فحفظت هذه الكلمات وتناقلها المسلمون لأخذ العظة والعبرة منها.

٢- ومن أفعالهم الدالة على حرصهم على البعد عن الرياء.

ومن هذه الأقوال والأفعال ما يلي:

١- قال يوسف بن أسباط[1]: ((أوحى الله عز وجل إلى نبي من الأنبياء، قل لهم يخفون في أعمالهم وعلي أن أظهرها لهم))[2].

٢- وقيل للحسن -رحمه الله-: إنهم يقولون لا نفاق، فقال الحسن: ((لأن أعلم أني بريء من النفاق أحب إلي من طلاع[3] الأرض ذهبا))[4].

٣- وسمع أبو الدرداء -رضي الله عنه- وهو في آخر صلاته يتعوذ من النفاق، فأكثر التعوذ منه، فقيل له ومالك يا أبا الدرداء أنت والنفاق؟ فقال : ((دعنا عنك، دعنا

---

(١) هو يوسف بن أسباط الشيباني، الزاهد وثقه ابن معين ،وقال أبو حاتم (لا يحتج به) وقال البخاري (كان دفن كتبه فكان لا يجيء بحديثه كما ينبغي) لكنه كان من الزهاد ، ينظر: الميزان، للذهبي، ٤/٤٦٢، تحقيق/ علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، الأولى، ١٣٨٢ هـ.

(٢) ذم الرياء، للضراب، ١٦٧، برقم (٨١).

(٣) الطلاع: ما طلعت عليه الشمس من الأرض، ينظر معجم المقاييس، لابن فارس، ٦٢٢.

(٤) صفة النفاق، لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي، ٣٧، برقم (٧٠)، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الثانية، ١٤٠٦هـ.

عنك، فوالله إنَّ الرجل ليقلب عن دينه في الساعة الواحدة فيخلع منه))[١].

٤- وقال الحسن —رحمه الله—: ((والله ما أصبح ولا أمسى مؤمن إلاَّ وهـو يخـاف النفاق على نفسه))[٢].

٥- وحرصوا على ألا يظهر بكاؤهم لأحد ومن ذلك أنَّ مالك بن دينـار —رحمه الله— صلى العصر فلما سلم عضَّ على إصبعه، فلم تزل عيناه تدمعان حتى غابت الشمس[٣].

٦- وكان أحد السلف يبكي ولا تدري أمه ما أبكاه، فقالت له: لو كنت قتلـت قتيلاً ثم أتيت أهله لعفوا عنك لما يرون من كثرة بكائك، فبكى وقال: يا أمه إني والله إنما قتلت نفسي فبكت أمه[٤].

٧- وقال أحد أصحاب محمد بن أسلم[٥]: صحبت محمد بن أسلم نيفاً وعشرين سنة لم أره يصلي حيث أراه ركعتين من التطوع إلاَّ يوم الجمعة، ولا يسبح، ولا يقرأ حيث أراه، ولم يكن أحد أعلم به مني، وسمعته يحلف كذا وكذا مرة: أن لـو قدرت أن أتطوع حيث لا يراني ملكاي لفعلت، ولكن لا أستطيع ذلك[٦].

٨- وقال الحسن —رحمه الله—: ((لقد أدركنا أقواماً لا يستطيعون أن يسروا من العمل

---

(١) صفة النفاق، للفريابي، ٣٨ برقم (٧١).

(٢) صفة النفاق، للفريابي، ٤٣، برقم (٨٦). والحسن يرشد المؤمن إلى الحال التي ينبغي أن يكون عليها من الخوف والحذر من النفاق وغيره مما يخل بإيمان المرء .

(٣) الرقة والبكاء، لابن أبي الدنيا، ١٧٢، برقم (٢٤٤).

(٤) الرقة والبكاء، لابن أبي الدنيا، ١٧١، برقم (٢٤١).

(٥) هو محمد بن أسلم بن سالم بن يزيد الكندي الخراساني الطوسي، أبو الحسن (قرابة = ١٨٠-٢٤٢هـ) الإمام الحافظ الرباني شيخ الإسلام قال أبو عبدالله الحاكم عنه : (كان من الأبدال المتبعين للآثار) وقد أثنى عليه جمع من أهل العلم في علمه، وزهده، وورعه، وتتبعه للآثار، مات بنيسابور رحمه الله ، ينظر: حلية الأولياء ، لأبي نعيم، ٢٣٨/٩، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٢/١٩٥-٢٠٧.

(٦) حلية الأولياء، لأبي نعيم، ٢٤٣/٩.

شيئاً إلاّ أسروه))[١].

٩- وبكى رجلٌ إلى جنب الحسن، فقال: ((قد كان أحدهم يبكي إلى جنب صاحبه فما يعلم به))[٢].

١٠- وكان ابن المبارك إذا رقَّ، فخاف أن يظهر ذلك منه قام، وربما أخذ في حديث آخر[٣].

١١- وكان حسان بن أبي سنان[٤] يحضر مسجد مالك بن دينار فإذا تكلم مالك، بكى حسان حتى يَبُلَّ ما بين يديه، لا يسمع له صوت[٥].

١٢- وربما اشترى حسان بن أبي سنان أهل بيت الرجل وعياله، ثم يعتقهم جميعاً، ثم لا يتعرف إليهم، ولا يعلم أحد من هو[٦].

وما ذكرته هو مقتطفات ونماذج من خوف السلف من الرياء، والناظر في سيرهم يرى كثيراً من ذلك ومن أراد الاستزادة فلينظر في كتب السير والرقاق يرى ذلك.

---

(١) ذم الرياء، للضراب، ٢٣٦، برقم (١٦٧).

(٢) الرقة والبكاء، لابن أبي الدنيا، ١٣٥برقم (١٦٦) وأخرجه الضراب في ذم الرياء، ١٧٥، برقم (٩٣).

(٣) الرقة والبكاء، لابن أبي الدنيا، ١٣٥، برقم (١٦٤).

(٤) هو حسان بن أبي سنان البصري، أحد العباد الورعين، كان يفتح باب حانوته فيضع الدواة وينشر حسابه ثم يصلي فإذا أحس بإنسان أقبل على الحساب يريه أنه كان فيه، قال البخاري عنه (كان من عباد البصرة) وقد أثنى على عبادته جمع من أهل العلم وكان صدوقاً في الرواية ينظر: حلية الأولياء، لأبي، نعيم، ١١٤/٣، وتهذيب الكمال، للمزي، ٢٥٨/٤-٢٦٠، والتقريب، لابن حجر، ٢٣٣ .

(٥) الرقة والبكاء، لابن أبي الدنيا، ١٣٦، برقم (١٦٨)، والإخلاص والنية، لابن أبي الدنيا، ٦٦، برقم (٤٨).

(٦) الإخلاص والنية، لابن أبي الدنيا،٦٧، برقم (٤٩).

المبحث السادس

أسباب الرياء

للرياء أسباب ودوافع مهم للمسلم أن يعرفها حتى يجتنب الوقوع بها، وينجو من هذا الداء الذي نهي عنه.

وأسباب الرياء نوعان :

أولا: أسباب داخلية تتولد من الإنسان نفسه.

ثانيا: أسباب خارجية تبعث على الرياء من خارج الإنسان.

أولا: الأسباب الداخلية:

١- الحرص على الجاه، والشرف، والسيادة، والرئاسة: وهذا من أعظم بواعث الرياء بل قيل عنه: ((أصل الرياء حب الجاه والمنزلة، وإذا فصل رجع إلى ثلاثة أصول))(١).

وقيل في هذا الباعث أيضا: ((آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة))(٢).

والمراد به حب انتشار الصيت، والاشتهار؛ لكي ينال مقاصده، ويحقق مآربه، ويستعلي على الناس، ويسودهم.

وإذا كان لا قصد له من طلب الجاه والمترلة إلا طلب العلو على الخلق ليحتاجوه، فقد زاحم الله في ربوبيته وألوهيته، ونازعه كبرياءه وعزه (٣).

وورد النهي عنه لعظم إفساده لدين المرء كما قال صلى الله عليه والسلم: (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه)(٤).

---

(١) مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة، ٢٨٤، وسيأتي بعده بيان الأصول المذكورة.

(٢) المصدر السابق، ٢٦٨.

(٣) ينظر الرياء ذمه وأثره السيئ على الأمة، لسليم الهلالي، ٢٥، دار ابن الجوزي، الدمام، الثانية ١٤١٣هـ.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٣١٠/١٢، برقم (١٥٧٢٤)، ورقم (١٥٧٣٤)، وأخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب ٣٠، ٣٩/٧، برقم (٢٤٨٢)، وأخرجه الدارمي في سننه، ٣٩٤/٢، برقم (٢٧٣٠)،

إنَّ الحرص عليه يحمل صاحبه على الرياء ليعظَّم بهذا ويكسب الجاه ويرأس النـاس؛ ولهذا نُهي عنه.

٢- حب المحمدة:

حب المحمدة من الأسباب الجالبة للرياء، قال الحسن -رحمه الله-: ((أصل الريـــاء حب المحمدة))[1].

لأنَّ من كانت همته ثناء الناس ومدحهم طلب ذلك بشتى الوسائل فـتراه يظـهر خلاف ما يبطن من عبادة، وزهد، وورع ليمدحه الناس بذلك، ولا يدري أنه جلـب لنفسه الهلاك لما أسخط الله ليرضى الناس، فعوقب بنقيض قصده فيوضع له البغـض في الأرض، بعكس المخلص الذي يوضع له القبول كما سبق بيانه في ثمار الإخلاص.

٣- خوف المذمة:

وهذا السبب والدافع عكس السابق، فقد يكون حب المحمدة هو الدافع للريـاء، وقد يكون خوف المذمة هو الدافع للرياء، فتراه يعمل الصالحات ويسارع في الخـيرات، وليس له قصد إلاَّ الفرار من مذمة الناس.

٤- الطمع فيما في أيدي الناس:

قد لا يكون الحامل للعبد على العمل محبته للمحمدة، أو خوفه من المذمـة فقـد يستوي الأمران عنده، لكنه حريص على ما في أيدي الناس، حريص على نفعهم لـه، ولا يجد وسيلةً لذلك إلاَّ أن يظهر الطاعات ليستجلب قلوبهم ويكسب عطفهم، فينـال مقصوده منهم.

وهذه الأسباب الثلاثة الأخيرة دلت عليها بعض الأحاديث، ومنها:

أ- عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: ((قال: أعرابيٌّ للنبي صلى الله عليـه وسلم: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، ويقاتل ليرى مكانه، مـن في

وصححه الألباني في صحيح الترغيب، ٦٧/٣، برقم (٣٢٥٠).

(١) حلية الأولياء، لأبي نعيم، ٢٥/١.

سبيل الله؟ فقال: " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله "))[١].

فقوله ((يقاتل ليذكر، ويقاتل ليرى مكانه)) دلَّ، على حب المحمدة، ومن أحب المحمدة خاف المذمة.

وقوله: ((الرجل يقاتل للمغنم)) دلَّ: على الطمع لما في أيدي الناس.

ب- وعن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال : جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله ما القتال في سبيل الله؟ فإن أحدنا يقاتل غضباً، ويقاتل حمية، فرفع إليه رأسه – قال: وما رفع إليه رأسه إلاَّ أنه كان قائماً- فقال: ((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل))[٢]. قوله: ((حميةً)) أي: أنفةً وغيرةً ومحاماة عن عشيرته[٣].

وفيه أن يأنف من القهر ويفر من الذم[٤].

وقال المحاسبي عن الثلاثة الأخيرة من أسباب الرياء: ((ويجمع ذلك كله: حب المحمدة، وخوف المذمة؛ لأنَّ العبد قد يعلم أنه لا ينال ما عند الناس بطاعة ربه إلاَّ أن يحمدوه عليها، فتبذل له أموالهم، وأنه إنما جزع من الذم لحبه للمحمدة كراهية أن يزول عنه حمدهم، فتؤول هذه الخلال الثلاث إلى حب المحمدة، إلاَّ أنها تشعبت وتفرقت على أقدار الناس وقدر مراتبهم))[٥].

٥- الجهل بقدر الخالق:

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فرض الخمس، باب من يقاتل للمغنم هل ينقص أجره، ٢٧١/٦، برقم (٣١٢٦)، وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ٥٧/٧، برقم (١٩٠٤).

(٢) أخرجه البخاري -واللفظ له-، كتاب العلم، باب من سأل وهو قائم عالماً جالساً، ٢٩٣/١، برقم (١٢٣)، وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ٥٧/٧، برقم (١٩٠٤).

(٣) ينظر شرح النووي على مسلم، ٥٨/٧.

(٤) ينظر مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة، ٢٨٤.

(٥) الرعاية لحقوق الله، للمحاسبي، ٢١٧.

يقول ابن رجب -رحمه الله-: ((ما ينظر المرائي إلى الخلق في عملـــه إلاَّ لجهلــه بعظمة الخالق))[١].

ثانياً: الأسباب الخارجية التي تبعث على الرياء:

١- النشأة الأولى:

لأن البيئة التي ينشأ فيها الإنسان لها تأثير عليه، فلو كانت بيئة رياءٍ وسمعة، نشـــأ محباً لذلك، مستقرةً نفسه عليه- إلاَّ من عصمه الله وهداه -فتراه يطلب الرياء لما نُشِّــئ عليه[٢].

كما قال عليه الصلاة والسلام: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانـــه، أو ينصرانه، أو يمجسانه ...)[٣].

٢- الصحبة والرفقة السيئة:

لأن لهم أثرهم على جليسهم، يحاكيهم، ويقلدهم، ويتأثر بأخلاقهم، كما قال عليه الصلاة والسلام: (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)[٤].

٣- مدح الناس وتعظيمهم له:

لأنَّ ذلك قد يحمل الممدوح على العمل لإرضائهم، ولهذا نهى النبي صلى الله عليــه وسلم عن مدح الناس بما فيه زيادةً، ومجازفة، تحمل على افتتان صاحبها[٥].

قال عليه الصلاة والسلام: (إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب)[٦].

٤-الخوف على نفسه وماله:

---

(١) كلمة الإخلاص ، ٢٣٧، وسبق نقله في أسباب تحريم الرياء.

(٢) ينظر آفات على الطريق، د/ السيد محمد نوح، ١٧٣/١، دار اليقين، المنصورة، مصر، الأولى ١٤١٨هـ.

(٣) أخرجه البخاري -واللفظ له- كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ٣١٢/٣، برقم (١٣٨٥)، وأخرجه مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة،٤٥٨/٨، برقم (٢٦٥٨).

(٤) سبق تخريجه في طرق تحصيل الإخلاص صـــ ٨٣.

(٥) ينظر شرح النووي على مسلم، ٣٥٥/٩.

(٦) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقاق، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، ٣٥٤/٩، برقم (٣٠٠٢).

فيحرص على فعل الطاعات خوفاً من العقاب في الدنيا لو ترك الطاعات ممـن ولاه الله أمره.

فهذه أبرز أسباب الرياء ودوافعه، وفي معرفتها تحذير للمسلم منها لكي يبتعد عنـها ويجتنبها، فكل وسيلة وذريعة أدت إلى حرام فهي حرام.

قال الشوكاني -رحمه الله-: ((الرياء من معاصي الله العظيمة، وهو الشرك الأصغر، فإذا كان له ذريعة، وإليه وسيلة، فالواجب قطع تلك الذريعة، ودفع تلـك الوسـيلة، فالذريعة إلى الحرام حرام))[1].

(١) السيل الجرار، ١/٤٠٦، وسبق نقله في حكم الرياء.

المبحث السابع

الأمور التي قد يرائي الإنسان بها

يقصد بذلك : الخصال الحميدة التي يقصد المرائي أن يظـــهرها، وهـــي كثـــيرة، وتجمعها خمسة أقسام، وهي مجامع ما يتزين به العبد، وإجمالها في التالي:

١- البدن.

٢- الهيئة والزي.

٣- القول.

٤- العمل.

٥- الأتباع، والزوار، والأصحاب، والأقارب، وغيرهم (١)

وتفصيلها كالآتي:

١- الرياء في البدن:

بإظهار النحول، والصفار، ليوهم من رآه بخوفه من ربه وكثرة عبادتـــه، وحزنـــه على ما فرط، واجتهاده في طاعة مولاه، ويرائي بضعف الصوت، وغور العينين، وذبول الشفتين؛ ليستدل بذلك على كثرة صيامه تقرباً إلى ربه.

وليدل بالنحول على قلة الأكل، وبالصفار على سهر الليل، وكذلك تشعيث الشعر ليدل على استغراقه بهم الدين وعدم انشغاله بغيره حتى بتسريح شعره، ونحو ذلك ممـــا يرائي به في البدن.

---

(١) ينظر الرعاية، للحارث المحاسبي، ٢٢٧-٢٣١، وينظر إحياء علـــوم الديـــن، للغـــزالي، ٣/٣٨١-٣٨٤، وتصفية القلوب، للذمار، ٢٦٠-٢٦١، مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامـــــة، ٢٧٥-٢٧٨، وســـبل السلام، للصنعاني، ٨/٢٨٤-٢٨٥، وفيض القدير، للمنـــاوي، ٢/٣٢٠-٣٢١، وموعظـــة المؤمنـــين، للقاسمي، ٣٥٠-٣٥١

٢- الرياء بالزي والهيئة:

أما الزي: فكلبس الصوف الغليظ، والثياب المرقعة، والوسـخة ليظـهر الزهـد، والانشغال بالدين، ولو قيل له البس الوسط من الثياب لكان الذبح عنده أسهل كـي لا يظن الناس أنه ترك الزهد.

وأمَّا الهيئة: فكتشعيث شعر الرأس قاصدا بذلك الإيهام بزهده وعـدم رغبتـه في الدنيا، ونحو ذلك.

٣- الرياء بالقول:

كحفظ الأخبار، والآثار والأشعار، والحكم والأمثال، ومحاورة أهل العلم وإظـهار غرائب المسائل والتحدث بها أمام الناس لِيُظهر علمه وفضله وانصرافه للعلم وانشغاله بـه دون غيره من أمور الدنيا، ومثل ذلك تحريك الشفتين بالذكر.

وكخفض الصوت بقراءة القرآن، وترقيقه عند قراءة القرآن ليدل على الخشـوع والحزن، ونحوه.

٤- الرياء بالعمل:

كإطالة القيام في الصلاة، والتخاشع في المشي، والغزو والحج، والتصدق، ريـاءً، وإرخاء الجفن، وتحريك الأصابع، والتبكير للمساجد، ونحو ذلك والقصد من كل ذلـك الرياء.

٥- الرياء بالأتباع، والزوار، ونحوهم:

كمن يتكلف أن يستزير عالماً، ليقال: فلاناً زار فلاناً وكمن يرائي بكثرة الشـيوخ، والتلاميذ، ونحو ذلك.

فهذه مجامع ما يراءى به المراءون طلباً للمترلة في قلوب العبـاد لتحقيـق مـآربهم وأغراضهم [1].

مسائل تتعلق بما يراءى به:

---

(١) ينظر المصادر السابقة للاستزادة.

المسألة الأولى:

هل يدخل الرياء الفرائض؟

ذهب بعض الأحناف إلى القول بأنَّ الفرائض لا يدخلها الرياء: لأنها فريضة علـــى جميع الخلق، والبعض منهم قال لا يدخلها بمعنى: فوات ثواب تضعيفها [(١)].

والجمهور بخلافهم وردَّ على هذا القول بما يلي:

١- قال تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾[(٢)].

قال القرطبي -رحمه الله-: ((ودلت هذه الآية على أن الرياء يدخل الفرض والنفـــل لقول الله تعالى ﴿ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ ﴾[(٣)] فعمَّ))[(٤)].

٢-وقال تعالى: ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[(٥)].

فقد نهت هذه الآية عن الشركين الأصغر والأكبر -ومن الأصغر الرياء- فلا يشرك بعبادة الله أحدا، والعبادة تصدق على النفل والفرض بل الفرض أولى، مما يـــدل علـــى دخول الرياء فيها.

٣- وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾[(٦)].

فلم تفرق في النهي عن الرياء بين الفرض والنفل.

---

(١) ينظر تنبيه الغافلين، للسمر قندي، ٢٢، وينظر حاشية ابن عابدين، ٤٢٦/٦، وينظر حاشية الطحطاوي، ٤٤/١.

(٢) (النساء ١٤٢)

(٣) (النساء ١٤٢)

(٤) تفسير القرطبي، ٤٢١/٥.

(٥) (الكهف ١١٠)

(٦) (الماعون ٤٠٠-٠٠٧)

٤- سبق القول في مجالات الإخلاص، أن الإخلاص يدخل في جميع العبادات، وتقـــرر حكم الرياء وأنه من الشرك الأصغر، والشرك ضد الإخلاص، فكما أن الإخـــلاص يدخل الفرض والنفل فكذا ضده.

٥- التفريق بين الفرض والنفل تفريق بلا دليل.

المسألة الثانية:

هل النفل يدخله الرياء أم لا؟

ذهب بعض العلماء إلى أن الرياء لا يدخل النفل[١]، ورأيهم مرجوح والرد علــى هذا القول هو نفس الرد على القول السابق.

المسألة الثالثة:

هل يدخل الرياء في الصوم؟

ذهب بعض العلماء -ومنهم الإمام أحمد- إلى أن الصوم لا يدخله الرياء[٢].

لقوله صلى الله عليه وسلم: (قال الله عز وجل :كل عمل ابن آدم له إلا الصيام هو لي وأنا أجزي به)[٣] وهذا أقوى ما استدلوا به، واختلف العلماء في معنى الحديث علـى عشرة أقوال ليس مقامها هنا، لكن اختار بعضهم أن المراد منه: أن الصيام لا يدخلـــه الرياء؛ لأنه لا يظهر من ابن آدم بفعله، وإنما هو شيء في القلب[٤].

وقال ابن حجر -رحمه الله-: ((...أنه لا يدخل الرياء بفعله، وإن كان قد يدخلـــه الرياء بالقول كمن يصوم ثم يخبر بأنه صائم، فقد يدخله الرياء من هذه الحيثية، فدخـول

---

(١) ينظر تفسير القرطبي، ٤٢١/٥، وحاشية ابن عابدين، ٤٢٦/٦.

(٢) ينظر: إكمال المعلم، للمازري والقاضي عياض،١١٠/٤-١١١، وشرح النووي على مسلم، ٢٨٧/٤، وفتح الباري، لابن حجر، ١٣٨/٤-١٣٩، والإنصاف، للمرداوي، ١٦٣/٢، وتحفة الأحوذي، ٣٩٣/٣-٣٩٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، ١٣٤/٤، برقم (١٨٩٤)، وأخرجه مسلم -واللفظ له-، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، ٢٨٥/٤، برقم (١١٥١).

(٤) ينظر المصادر السابقة.

الرياء في الصوم إنما يقع من جهة الإخبار، بخلاف بقية الأعمال، فإنَّ الرياء قد يدخلـها بمجرد فعلها، وقد حاول بعض الأئمة إلحاق شيء من العبادات البدنية بالصوم، فقـال: إنَّ الذكر بلا إله إلاَّ الله يمكن أن لا يدخله الرياء؛ لأنه بحركة اللسان خاصة دون غـيره من أعضاء الفم، فيمكن الذاكر أن يقولها بحضرة الناس ولا يشعرون منه بذلك))[١] وهذا القول –عدم دخول الرياء في الصوم– لم يستبعده الحافظ ابن حجر –رحمـه الله–، والله أعلم[٢].

المسألة الرابعة:

أعمال القلوب وطاعاتها مصونة عن الرياء، إذ لا رياء إلاَّ بأفعال ظاهرة تـرى، أو تسمع، والتسميع عام لأعمال القلوب والجوارح[٣].

---

(١) فتح الباري، ٤/١٣٩.

(٢) ينظر المصدر السابق، ٤/١٤٢.

(٣) ينظر: السنن الصغرى، للبيهقي، ١/٢٠،و قواعد الأحكام، للعز بن عبد السلام، ١/١٠٧-١٠٨، والفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام، ١/٥، والمنثور للزركشي، ٢/٤٢٢.

المبحث الثامن

علامات تدل على الرياء

هناك علامات تدل على الرياء، ومعرفة هذه العلامات والإلمام بها يفيد المرء بـــأن ينظر فيها ويعرض نفسه عليها أشيء منها متحقق فيه فيحرص علي التخلص منـــه، أو سلم بفضل الله فلم يعلق به شيء منها فيحمد الله على ذلك ويحرص على تجنبها حـــتى يتلافى هذا المرض.

كما أنها دليل على بعض المرائين وليس معناه أنَّ كل من وجدت به علامة منـــها فهو مراءٍ؛ لأنَّ الحكم على نيات الناس لا يقدر عليه البشر، بل هـــو موكـــولٌ إلى الله وحده، ومن تلك العلامات الدالة على الرياء ما يلي:

١- المرائي يحب الحمد على الطاعة، ويكره الذم على المعصية، فيعمل الطاعـــة رجـــاء مدح الناس، ويدع المعصية مخافة ذمهم ، فلا يعمل الطاعة خالصة لله، ولا يـــدع المعصية لرضى الله[(١)].

٢- يحب اطلاع الناس على عمله، ولا تقنع نفسه بعلم الله لعمله وحده، كما أن نفسه لا تسخو بإتيان طاعة لا يعلم بها أحد، فإذا اطلع الناس على عمله ارتـــاح قلبـــه، وسرت نفسه باطلاع الناس عليه[(٢)].

وقد قيل: ((الفرق بين الرياء والإخلاص أنَّ المرائي يعمل ليرى والمخلـــص يعمـــل ليصل))[(٣)].

٣- لا ينشط المرائي للعبادة وحده، ومع الناس ينشط ويضاعف الجهد ناظراً إلى النـــاس

---

(١) ينظر الرعاية لحقوق الله، للمحاسبي، ٢٨٠.

(٢) ينظر المصدر السابق، ٢٨٠.

(٣) حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني، ٣٨١/١٠.

بعمله.

٤- يكثر من الثناء على نفسه، ويظهر عبادته، ويكثر من ذم الناس ليبرز عمله، ويقلل من عمل الآخرين.

قال القرطبي -رحمه الله-: ((وحكى الأصمعي أن أعرابياً صلى فأطال، وإلى جانبه قوم فقالوا ما أحسن صلاتك، فقال وأنا مع ذلك صائم))[١].

٥- يغضب إن رأى من فاقه في العمل والعلم، ويغضب إن سمع ثناء الناس على غيره، وعدم التفاهم لعمله.

٦- المرائي يحافظ على محارم الله مع الناس، وإذا خلا بمحارم الله انتهكها[٢]؛ لأنَّ المرائي لا ينتهي عن المحارم إلاَّ مخافة الناس.

وقد قال بعض الحكماء: ((خوفوا المؤمنين بالله، وخوفوا المنافقين بالسلطان، والمرائين بالناس))[٣].

٧- يأخر العبادة عن وقتها الشرعي دون عذر، فلا يؤديها في وقتها إلا رياءً وسمعة[٤]، وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن السهو في الصلاة سواءً كان السهو عن الوقت أو السهو عن حضور القلب والخشوع، وجعل السهو عن ذلك من دلائل الرياء فيها قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝ ﴾[٥].

٨- يفعل العبادة بخمول، وتثاقل، ونفس خبيثة[٦].

---

(١) تفسير القرطبي، ١١/٧٥.

(٢) ينظر آفات على الطريق، ١/١٧٧.

(٣) شعب الإيمان، للبيهقي، ٥/٣٦٥، برقم (٦٩٦٩).

(٤) ينظر الرياء وأثره السيئ في الأمة، لسليم الهلالي، ٣٩.

(٥) (الماعون ٠٠٤-٠٠٧)

(٦) ينظر المصدر السابق، ٣٩.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾[١].

قال ابن زيد في الآية السابقة: ((هم المنافقون لولا الرياء ما صلوا))[٢].

٩- لا يقنع من طاعته بالأجر من الله بل يطلب الدرهم والدينار بعبادته، فيعمل لـيراه الناس فيحمدوا عبادته، وينال أموالهم.

قال سفيان الثوري -رحمه الله-: ((سيأتي أقوام يتخشعون رياءً وسمعة هم كالذئـاب الضواري غايتهم الدينار والدرهم من الحلال والحرام))[٣]

١٠- لا يقبل النصح ويستبد بالرأي، ويأنف من وعظ ونصح من هـو دونـه علمـاً وجاهاً.

١١- الإسراف والإفساد طلباً للعلو والظهور، يقول حاتم الأصـم[٤] -رحمـه الله-: ((الرياء على ثلاثة أوجه، [وجه باطن، ووجهان ظـاهران][٥]، فأمّـا الظـاهر فالإسراف والفساد، فإنه جوَّز لك أن تحكم أن هذا رياء لا شك فيه، فإنه لا يجـوز في دين الله الإسراف والفساد...))[٦].

---

(١) (النساء ١٤٢)

(٢) تفسير الطبري، ٣٣٥/٥، وابن زيد هو حماد وسبقت ترجمته.

(٣) الباعث على إنكار البدع والحوادث، لعبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة، ٨٢، تحقيق/ عثمان عنـبر، دار الهدى القاهرة، الأولى، ١٣٩٨هـ.

(٤) هو حاتم بن عنوان، وقيل بن يوسف، وقيل بن عنوان بن يوسف الأصم ، أبو عبد الرحمن (٢٣٧هـ) من أهل بلخ ومن مشائخ نيسابور، الزاهد، القدوة، الرباني، الناطق بالحكمة، له كـلام جليـل في الزهـد والمواعظ كان يقال له لقمان هذه الأمة، لم يرو شيئاً مسنداً كما حكاه الذهبي. ينظر: طبقات الصوفيـة، للسلمي، ٩١-٩٧، وحلية الأولياء، لأبي نعيم، ٧٣/٨-٨٠، وسير أعلام النبلاء، للذهـبي، ٤٨٤/١١-٤٨٧ .

(٥) في الأصل [وجه الباطن ، ووجهان الظاهر] ولعل الصواب ما ذكرته.

(٦) حلية الأولياء، ٧٦/٨.

١٢- يثبط غيره عن فعل الخير والمسارعة فيه؛ لأنه لا يريد فضلاً لغيره، بل يريد ألاَّ يبرز غيره خوفاً على جاهه وفضله.

وهؤلاء كحال الذين ذمهم الله حيث قـــال تعـــالى: ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿١٨﴾ ﴾[1].

---

(١) (الأحزاب ١٨).

المبحث التاسع

علاج الرياء

من رحمة الله بعباده، ولطفه بخلقه، أنه ما أنزل داءً إلاَّ جعل له دواءً، كما قال عليه الصلاة والسلام: (ما أنزل الله داءً إلاَّ أنزل له شفاءً)[١].

والرياء من الأمراض التي تصيب بني آدم، وقد جعل الله لهذا المرض -كغيره من الأمراض- علاجاً.

فإن كان قبل الوقوع فبحسم مادته، وقطع روافده، ومحاربة أسبابه -وسبق بيانها- فاجتنابها يبعد المرض عن المسلم، وإن لم يستطع دفعه عن نفسه حتى وقع المرض فعلاجه ما يأتي ذكره بحول الله.

أما علاج الرياء لمن وقع فيه، أو رأى ميل نفسه إليه فينقسم إلى قسمين:

١- علاج نظري.

٢- علاج عملي.

أولاً: العلاج النظري:

١- معرفة عواقب الرياء في الدنيا والآخرة، وسبق بعضها في مبحث حكم الشرك الأصغر، ومبحث حكم الرياء، ومن ذلك أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام: (من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه، وصغره، وحقره)[٢].

٢- أن يعرف الله سبحانه وتعالى حق معرفته؛ فمن عرف الله حق معرفته استحيا من

(١) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داءً إلاَّ أنزل له شفاءً، ١٦٧/١٠، برقم (٥٦٧٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ٦٨/٦، برقم (٦٥٠٩)، وبرقم (٦٩٨٦)، وبرقم (٧٠٨٥)، وأخرجه الطبراني في الأوسط، ١٧٣/٥، برقم (٤٩٨٤)، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند، ٦٦/٦، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١١٧/١، برقم (٢٥).

الله، و لم يجعل قصده من عمل عمله إلاَّ الله.

ولما جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلب وصيته، قال له عليه الصـــلاة والسلام: (أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي رجلاً صالحاً من قومك)(١).

قال المروزي –رحمه الله– معلقاً على الحديث السابق: (ألست ترى أنَّ الإنسـان إذا علم أن رجلاً صالحاً ينظر إليه، أو يسمع كلامه، أمسك عن كل ما يخاف أن يمقته عليه أو يضع من قدره عنده...)(٢).

٣- أن يعرف أنواع التوحيد الثلاثة التي تتضمن عظمة الله تعالى فإنَّ معرفة الله بأسمائـه وصفاته تنقي القلب من الضعف، فمتى علم أن الله سميع بصير خاف أن يـراه الله يعمل لغيره أو يسمِّع غيره، وهكذا أنواع التوحيد الأخر(٣).

٤- أن يقف على أخبار المرائين لأخذ العظة والعبرة من أخبارهم ويقف على أخبـار الصالحين ليأخذ العبرة من إخلاصهم(٤).

٥- أن يعلم أنَّ الأمور بيد الله، وأنه لا ينفع ولا يضر إلاَّ الله، وأنَّ كل شيء بقضـاء وقدر، كما قال تعـالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾(٥).

٦- وإذا عرف أن الأمور بيد الله علم أنَّ مدح الناس أو ذمهم لا يضره شيئاً، ولا ينفعه شيئاً، وعلم قدر الناس وأنهم لا حول لهم ولا قوة إلاَّ بالله، وأن المدح الذي ينفـع والذم الذي يضر هو مدح الله، وذم الله، وعن البراء بن عازب –رضي الله عنـه–

---

(١) أخرجه المروزي، في تعظيم قدر الصلاة، ٨٢٧/٢، برقم (٨٢٦)و (٨٢٧)، وأخرجه الخرائطي، في مكارم الأخلاق، ٣٩، برقم (٨٩)، تحقيق/ مجدي السيد، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٤١١هـ، والبيـهقي في شعب الإيمان، ١٤٥/٦، برقم (٧٧٣٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٤٩٨/١، برقم (٢٥٤١).

(٢) تعظيم قدر الصلاة، ٨٢٨/٢-٨٢٩.

(٣) ينظر الرياء وأثره السيء على الأمة، لسليم الهلالي، ٦٢.

(٤) ينظر آفات على الطريق، ١٨٧/١.

(٥) (الحديد ٢٢).

قال: ((قام رجلٌ فقال يا رسول الله إنَّ حمدي زينٌ، وإنَّ ذمي شينٌ، فقـــال النـــبي صلى الله عليه وسلم: (ذاك الله عز وجل)))[١].

٧- أن يعرف أسباب الرياء ودوافعه ليتخلص منها وقد سبق ذكرها.

ثانياً: العلاج العملي:

١- الدعاء: والدعاء نوعان:

أ- دعاء عام:

يدعو به العبد طالباً من الله فيه أن يذهب الرياء عنه وأن يعصمه منه.

ب- دعاء خاص:

وردت به النصوص الشرعية، وهذا الدعاء مأثور، ورد لعلاج الرياء ودفعه والبعـد عنه، وهو من أنفع الأدوية ومن ذلك:

١- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى مـــن دبيب النمل .

فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه، وهو أخفى من دبيب النمل يا رسـول الله؟ قال: " قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لمـــا لا نعلم)[٢].

٢- وقال عليه الصلاة والسلام لنوفل الأشجعي[٣] -رضي الله عنه-: ((اقرأ عند منـلمك

---

(١) أخرجه الترمذي، أبواب التفسير، تفسير سورة الحجـــرات، ١٠٩/٩، برقـــم (٣٤٨٤)، والنســـائي في الكبرى، ٤٦٦/٦، برقم (١١٥١٥)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٦٠٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ٥٢٦/١٤، برقم (١٩٤٩٦)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، ٢٤٧، برقـــم (٧١٦)، بتعليق الألباني، دار الصديق، الجبيل، الأولى ١٤١٩هـــ، وأخرجه أبو يعلى في مســنده، ٦٠/١، برقم (٥٨)، والحديث صحيح وقد صححه الألباني في صحيح الـــترغيب والـــترهيب، ١٢٢/١، برقـــم (٣٦).

(٣) صحابي جليل، اسمه : نوفل بن فروة الأشجعي ، روى أحاديث عن النبي صلى الله عليه وســـلم ، وروى عنه أولاده ، أخرج له أصحاب السنن الأربعة وغيرهم، نزل الكوفة . ينظر: تهذيب الكمال، للمـــزي،

قل يا أيها الكافرون، قال: ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك))[1].

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- معلقاً على الحديث السابق، وفضل السورة: ((ومعلوم أنَّ المقصود منها أن تكون براءة من كل شرك اعتقادي وعملي))[2].

٣- وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو يقول: ((اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم والقسوة والغفلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الفقر والكفر والشرك والنفاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والبرص والجذام وسيئ الأسقام))[3].

٢- مجالسة الصالحين، والبعد عن رفقاء السوء الذين يدعون للرياء والسمعة وسبق الكلام على هذا العلاج في طرق تحصيل الإخلاص.

٣- طلب العلم الشرعي ليتحصن به عن الرياء، وكل ما يفسد دينه، وعمله.

قال ابن القيم -رحمه الله-: ((فأمراض القلوب أصعب من أمراض الأبدان؛ لأنَّ غاية مرض البدن أن يفضي بصاحبه إلى الموت، وأما مرض القلب فيفضي بصاحبه إلى الشقاء الأبدي، ولا شفاء لهذا المرض إلاَّ بالعلم))[4].

١٩/١٨٥، والإصابة، لابن حجر، ٦/٣٨٠-٣٨١، تحقيق/ عادل البجاوي وآخر، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٥هـ .

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ١٧/١٣٠، برقم (٢٣٦٩٧)، والترمذي، أبواب الدعوات، باب رقم (٢٢)، ٩/٢٤٦، برقم (٣٦٢٧)، وأخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول عند النوم، ١٤/٢٦٩، برقم (٥٠٤٥)، وأخرجه الدرامي في سننه، ٢/٥٥١، برقم (٣٤٢٧)، وصححه الطرهوني في موسوعة فضائل القرآن القسم الصحيح، ٢/٣٤٢، برقم (١٦٠)، مكتبة العلم، جدة، الثانية، ١٤١٤هـ.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٦/٥٤٢.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، ٣/٣٠٠، برقم (١٠٢٣)، والحاكم في مستدركه، ١/٧١٢، برقم (١٩٤٤)، والضياء المقدسي في المختارة، ٦/٣٤٣، برقم (٢٣٦٨)، تحقيق/ عبد الملك بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الأولى، ١٤١٠هـ. وصححه شعيب الأرنؤط في تحقيقه لصحيح ابن حبان، ٣/٣٠٠.

(٤) مفتاح دار السعادة، ١/١١١.

٤- مجاهدة نفسه ليتخلص من الرياء والسمعة محتسباً الأجر في جهاده ليعينه الله لقولـه سبحانه وتعالى في كتابه الكـريم : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[1].

٥- محاسبة النفس أولاً بأول ليقف المرء على عيوب نفسه، وليكن صادقـاً في هـذه المحاسبة، ولا يخدعنَّ نفسه بتزيين عمله لها، ويغض طرفه عما يعلمه من سوء نيته.

قال عمر بن خطاب -رضي الله عنه-: ((حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا))[2].

٦- التعوذ بالله من الشيطان الرجيم حتى يعينه على عدوه الذي يزين له الباطل، ويحثـه على الوقوع فيه قال تعـالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[3].

---

(١) (العنكبوت ٦٩).

(٢) سنن الترمذي، ٧/١٣٢، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس والإزراء عليها، ٢٢.

(٣) (الأعراف ٢٠٠)

المبحث العاشر

أقسام الرياء وأثر كل قسم على العمل وعلى الإخلاص فيه

ينقسم الرياء إلى قسمين:

١- القسم الأول: الرياء المحمود:

وهو إظهار العمل قاصداً بهذا العمل وجه الله وحده لكـــن لمصلحـــة شـــرعية - كالتعليم، والإقتداء ،ونحو ذلك - أظهر العمل، فهذا العمل صاحبه مأجور[(١)].

وإنما سمي ما يدخل تحت هذا القسم رياءً لدخوله تحت المعنى اللغوي، والعلمـــاء لم يدخلوا هذا القسم في التعريف الشرعي للرياء، بل كان تعريفهم مقصوراً على الريـــاء المذموم فحسب، والله أعلم.

٢- القسم الثاني: الرياء المذموم:

وينقسم إلى نوعين:

النوع الأول: الرياء المحض:

وهو أن يعمل المرء العمل لا يريد به وجه الله تعالى أبداً، بل يريـــد بـــه النـــاس وحدهم[(٢)] ويسمى هذا النوع أيضاً: الرياء الخالص[(٣)]، ورياء الإخـــلاص، أي: مـــا خلص للخلق[(٤)].

النوع الثاني: رياء الشرك:

---

(١) ينظر سنن الترمذي، ٥٠/٧، وشعب الإيمان،للبيهقي، ٣٧٥/٥، ومدارج السالكين، لابن القيـم، ٩٣/٢-٩٤.

(٢) ينظر جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ٤٦/١ .

(٣) ينظر قواعد الأحكام، للعز بن عبد السلام، ١٠٧/١، والفواكه الدواني، لأحمد النفراوي، ٣٢٨/٢.

(٤) ينظر الفروق، للقرافي، ٢٢/٣، عالم الكتب، بيروت.

وهو الذي يريد به المرء من عبادته الناس ورب الناس[١].

والرياء المذموم -بنوعيه- له مع العمل ثلاث صور وهي:

أولاً: أن يكون الرياء في أصل العمل حتى نهايته.

ثانياً: أن يكون أصل العمل لله ثمَّ يطرأُ الرياء عليه.

ثالثاً: أن يكون الرياء بعد الانتهاء من العمل.

وبما أنَّ الرياء المذموم نوعان، وله ثلاث صور مع العمل؛ فتصبح صور الرياء بنوعيه مع العمل، ست صور.

وتفصيل هذه الصور وبيان أحكامها كما يلي:

النوع الأول: الرياء المحض، وأثره على العمل والإخلاص فيه:

سبق أنَّ له مع العمل ثلاث صور، فإن كان في أصل العمل حتى نهايتـــه، أو طـــرأ على العمل، فظاهر كلام العلماء يفيد أن العمـــل حـــابط، ولا ينفـــع صاحبـــه، وأن الإخلاص ينتفي في هذا العمل، دون أن يفرق أهل العلم بين الصورتين.

قال ابن القيم -رحمه الله-: ((فقد بان بهذا أنَّ العمل لغير الله مردود غير مقبـــول، والعمل لله وحده مقبول، فبقي قسم آخر وهو أنَّ يعمل لله ولغيره، فلا يكون لله محضـاً ولا للناس محضاً))[٢].

وقال ابن رجب -رحمه لله- في هذا النوع: ((وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر مـن مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة والحج... وهذا العمـــل لا يشك مسلم أنه حابطٌ، وأنَّ صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة))[٣].

وقال فيه السيوطي -رحمه الله-: ((أمَّا الذي لم يرد به إلاَّ الرياء فهو عليه قطعاً وهو

---

(١) ينظر قواعد الأحكام، للعز بن عبد السلام، ١/١٠٧،و ينظر شرح الأربعـــين النوويـــة، للنـــووي، ١٧، والفروق، للقرافي، ٣/٢٢، وينظر جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١/٤٦، ((حيث أشار إليه إشارة)).

(٢) إعلام الموقعين، ٢/١٧٠.

(٣) جامع العلوم والحكم، ١/٤٦.

سبب المقت والعقاب، وأمَّا الخالص لوجه الله فهو سبب الثـــواب، وإنمـــا النظـــر في المشوب))[١].

أما بعد الانتهاء من العمل فحكمه كحكم الرياء المشوب بعد العمـــل، وســيأتي الكلام عليه بحول الله.

النوع الثاني: رياء التشريك، وأثره على العمل والإخلاص فيه:

وهذا النوع كسابقه له مع العمل ثلاث صور وهي:

أولاً- أن يكون الرياء مشاركاً للعمل من أصله فيكون من بدايته وحتى نهايته:

وهذه الصورة لأهل العلم فيها قولان:

القول الأول:

أن العمل حابط لانتفاء الإخلاص في هذا العمل، وقد ورد هذا القول عن الســلف رضوان الله عليهم و لم يعرف لهم مخالف وممن ورد عنه القول به:

عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وأبو الدرداء رضي الله عنه، والحسن، وسعيد بن المسيب رحمهم الله، وغيرهم[٢].

وممن قال بهذا القول أيضاً: المحاسبي [٣]، وأبو الليث السمر قندي[٤]، والنـووي[٥]، والعز بن عبد السلام[٦]، والقرافي[٧]، وابن القيم[٨]، والقاسمي[٩][١].

---

(١) منتهي الآمال، ١٤٥، وينظر سبل السلام، للصنعاني،٢٨٥/٨ .

(٢) ينظر جامع العلوم والحكم، ٤٦/١-٤٩، وشرح الأربعين النووية، للنووي، ١٧.

(٣) ينظر الرعاية لحقوق الله، ٢٨٧.

(٤) ينظر شرح الأربعين النووية، للنووي، ١٧-١٨.

(٥) المصدر السابق، ١٧-١٨.

(٦) ينظر قواعد الأحكام، ١٠٧.

(٧) ينظر الفروق، ٢٢/٣.

(٨) إعلام الموقعين، ١٧٠/٢-١٧١.

(٩) هو جمال الدين أومحمد جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم الحلاق ، من سلالة الحســين الســبط، (١٢٨٣-١٣٣٢هـ) إمام الشام في عصره علماً بالدين وعملاً به ، تضلع من فنون الأدب ، ولد وتــوفي

والشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمـــه الله- [٢]، والشـــيخ صـــالح الفـــوزان -حفظه الله- [٣].

من أدلتهم على ما ذهبوا إليه:

١- قال تعالى: ﴿... ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٤].

قال النووي -رحمه الله-: ((فكما أنه تكبر عن الزوجة، والولد، والشريك، تكبر أن يقبل عملاً أشرك فيه غيره))[٥].

وقال عليه الصلاة والسلام: (قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)[٦].

٣- وقال عليه الصلاة والسلام: (إذا جمع الله عز وجل الأولين والآخرين ليوم لا ريـب فيه نادى مناد: من كان أشرك في عملٍ عمله لله تبارك وتعالى أحداً فليطلب ثوابـه من عند غير الله عز وجل، فإن الله عزَّ وجل أغنى الشركاء عن الشرك)[٧].

٤- وقال عليه الصلاة والسلام: (إنَّ الله لا يقبل من العمل إلاَّ ما كان خالصاً وابتغى به وجهه)[٨].

في دمشق ، كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد فأوذي لذلك من مصنفاته : موعظة المؤمنـــين، دلائـــل التوحيد، إصلاح المساجد، محاسن التأويل، وغيرها. ينظر: الأعلام، للزركلي، ١٣٥/٢ .

(١) موعظة المؤمنين، ٣٥٧.

(٢) القول المفيد، ٢٢٧/٢.

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، ١٢٣/٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، ١٤٢١.

(٤) (الحشر ٠٢٣)

(٥) شرح الأربعين النووية، ١٧.

(٦) سبق تخريجه في مبحث حكم الإخلاص صـــ ٣٣.

(٧) أخرجه أحمد في مسنده، ٣٣٨/١٢، برقم (١٥٧٨٢)، وأخرجه الترمذي، أبواب التفسير، باب تفســـير سورة الكهف، ٤٧٥/٨، برقم (٣٣٦٢)، وأخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الريـــاء والســـمعة، ٤٧٠/٤، برقم (٤٢٠٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١٢٠/١، برقم (٣٣).

(٨) سبق تخريجه في حكم الإخلاص، صـــ ٣٣.

وهذه الأدلة من أبرز أدلة أصحاب القول الأول.

القول الثاني:

أنه ينظر إلى الباعث فله من الأجر وعليه من الإثم بحسب ما غلب، وبغلبة البـاعث يصح العمل ويبطل.

وهذا القول للمتأخرين، وممن قال به:

الغزالي(١)، وابن قدامة(٢)، والذمار(٣)، والقرطبي(٤)، والحطاب(٥)، وابن جـــزي(٦)، وابن حجر الهيتمي،(٧) والسيوطي(٨)، والصنعاني(٩)، وصديق حسن خان(١٠).

ومن أدلتهم:

١- قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۞ ﴾(١١).

٢- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾(١٢).

---

(١) إحياء علوم الدين، ٣/٣٨٦، ٤/٥٠٩.

(٢) مختصر منهاج القاصدين، ٢٧٩-٢٨٠،٤٦٣.

(٣) تصفية القلوب، ٢٦٣-٢٦٤.

(٤) المفهم، ٣/٧٤٢-٧٤٣.

(٥) مواهب الجليل، ٢/٥٣٢.

(٦) القوانين الفقهية، ٢٨٥-٢٨٦.

(٧) ينظر الزواجر، ١/٩٠.

(٨) منتهى الآمال، ١٤٥.

(٩) سبل السلام، ٨/٢٨٦.

(١٠) أبجد العلوم، ٢/٨٤.

(١١) (الزلزلة ٠٠٧-٠٠٨)

(١٢) (النساء ٠٤٠)

٣- إجماع الأمة على صحة من حج ومعه تجارة، مع أن عمله امتزج بـــه حـــظ مـــن حظوظ نفسه[١].

٤- وأجابوا على أدلة القول الأول: بأنَّ المراد بها من لم يرد بذلك إلاَّ الدنيا، أوكـــان ذلك هو الغالب عليه[٢].

الترجيح:

الذي يظهر هو صحة القول الأول؛ فالنصوص التي احتجوا بها ظـــاهرة في المـــراد منها، مفيدةٌ لحبوط العملِ دون تفرقة بين باعث وآخر.

-أما النصوص التي أوردها أصحاب القول الثاني فهي مطلقة تقيد بأدلة أصحـــاب القول الثاني.

- وأمَّا احتجاج أصحاب القول الثاني بصحة من حج وتاجر فقيـــاس مـــع الفـــارق، وسيأتي بيان الفرق بين الرياء وإرادة الدنيا بحول الله، ثم لو صح القياس لكان الجواب أن الحج مع التجارة والغزو مع قصد المغنم ورد استثناؤها من النهي.

- وأمَّا قولهم إنَّ المراد بنصوص أصحاب القول الأول من أراد الدنيا وحدها، فهو قصر منهم لعموم النص وتقييد لإطلاقه دون دليل.

- كما أنَّ لفظ الشرك الوارد في النصوص يفيد أن هناك مشاركة، فـــالعبد يريـــد الله ويريد غيره وسبق تقرير هذا المعنى لهذا اللفظ[٣].

وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي احتج به أصحاب القـــول الأول وهو: ((... من كان أشرك في عمل عمله لله تبارك وتعالى أحداً فليطلب ثوابه من عند غير الله...)). فقد نص على أنه عمل لله لكنه أشرك معه غيره، ومع ذلك فلم يقبـــل الله عمله، دون فرق بين باعث وآخر.

---

(١) ينظر منتهى الآمال، للسيوطي، ١٤٥-١٤٦.

(٢) تنظر المصادر السابقة لأصحاب هذا القول التي ذكرت آنفا عند بيان القائلين لهذا القول .

(٣) ينظر تصورات خاطئة صـــ ١٤٩.

ولعلّه بما سبق يتضح صحة القول الأول، والله أعلم.

ثانياً: أن يبتدئ العمل خالصاً ثم يطرأ عليه الرياء:

ففي هذه الحالة ينظر في نوع العمل؛ لأنَّ العمل إما أن يكون ما بعده متصلاً بمـــا قبله أو يكون منفصلاً.

فالحالة الأولى: إذا كان العمل متصلاً ما بعده بما قبله، فإذا ورد الرياء على العمـــل هنا فلمن ورد عليه الرياء حالان معه:

أولاً: أن يكون خاطراً فيدفعه ولا يسترسل معه، فلا يضره بغير خلاف[1].

لقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفســـها مـــا لم تعمل أو تتكلم)[2].

ثانياً: أن يسترسل معه ففي حبوط عمله وبطلانه من عدمه قولان:

القول الأول:

أن عمله لا يبطل ولا يحبط بل يجازى بنيته الأولى، وممن قال به:

الإمام أحمد ، والطبري، والحسن البصري- رحمهم الله جميعاً [3].

ومن المتأخرين:

ابن القيم [4]، والسعدي [5] و لم أجد لهم دليلاً صحيحاً [6] ولعلهم استأنسوا بأدلـة

---

(١) ينظر جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١/٥٠، والقول السديد، للسعدي، ١٠٨، والقول المفيد، لابـــن عثيمين، ٢/٢٢٧، وإعانة المستفيد، للفوزان، ٢/١٢٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكـــره ...، ٩/٤٨١، برقـــم (٥٢٦٩)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس، ١/٤٢٣، برقم (١٢٧).

(٣) ينظر جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١/٥٠.

(٤) إعلام الموقعين، ٢/١٧٠.

(٥) القول السديد، ١٠٨.

(٦) ولهم دليل ضعيف أخرجه أبو داود في مراسيله، ٣٨٥، برقم (٣٠٩)، ضعفه المحقق د/ عبد الله الزهـــراني، ٣٨٥.

أصحاب القول الثاني في المسألة السابقة، والله أعلم.

القول الثاني:

إن عمله باطل وحابط، وينتفي إخلاصه في هذا العمل، وممن قال به:

المحاسبي[(١)]، والنووي[(٢)]، والعز بن عبد السلام حيث عمم الحكـم ولم يفـرق[(٣)]، وابن عثيمين -رحمه الله-[(٤)].

وأدلة أصحاب هذا القول هي أدلة أصحاب القول الأول في المسألة السابقة.

والذي يظهر صحة القول الثاني؛ لأنَّ التفريق بين أول العبادة وآخرها تفريـق دون دليل، كما أنَّ العلة واحدة هي وجود الرياء، والرياء مبطل للعمل الذي يخالطـه، والله أعلم.

الحالة الثانية:

أنَّ يكون العمل ممالا يتصل ما بعده بما قبله بل هو منفصل عنه.

ففي هذه الصورة ينقطع العمل بنية الرياء الطارئة عليه، ويحتاج إلى تجديـد نيـة، ويكون الذي قبل الرياء صحيحاً، والذي طرأ عليه الرياء باطلاً، وهذه الصورة لم يقـع فيها خلاف كالتي قبلها كما حكاه ابن جرير -رحمه الله-[(٥)].

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: ((فإن كانت العبادة لا ينبني آخرها على أولهـا فأولها صحيح بكل حال والباطل آخرها))[(٦)].

مسألة:

---

(١) الرعاية لحقوق الله، ٢٨٧، وينظر شرح الأربعين النووية، للنووي، ١٧.

(٢) شرح الأربعين النووية، للنووي، ١٧-١٨.

(٣) ينظر قواعد الأحكام، ١٠٧، وحكى عنه النووي قولاً آخر بعدم البطلان في هذه الصورة، ينظر شـرح الأربعين النووية، ١٨.

(٤) القول المفيد، ٢/٢٢٧.

(٥) ينظر جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١/٥١.

(٦) القول المفيد، ٢/٢٢٧.

لو كانت هناك صورة عكس السابقة، بمعنى: ما حكم العمـل إذا كـان أصلـه وبدايته لغير الله ثم عرض لصاحبه قلب نيته لله؟.

قال ابن القيم -رحمه الله-: ((فهذا لا يحتسب له بما مضى من العمل، ويحتسب لـه من حيث قلب نيته، ثم إن كانت العبادة لا يصح آخرها إلاَّ بصحة أولها وجبت الإعادة كالصلاة، وإلاَّ لم تجب كمن أحـرم لغـير الله، ثم قلـب نيتـه لله عنـد الوقـوف والطواف))[١].

ثالثاً: الصورة الثالثة:

حكم العمل إذا ورد عليه الرياء بعد الفراغ منه.

حكى ابن القيم -رحمه الله- في المسألة قولين، من حيث إبطال الرياء للعمل مـن عدمه إذا ورد بعد الفراغ من العمل [٢]..

واختار في موطن أنه لا يبطل، وقال: ((... الثاني: أنَّ الرياء لا يكـون إلاَّ مقارنـاً للعمل))[٣].

ومن العلماء الذين قالوا بأن العمل لا يبطل إذا ورد الرياء بعد الفراغ منه:
المحاسبي [٤]، الغزالي [٥]،وابن قدامة [٦] ، وابن جزي [٧]، وابن مفلح[٨] [١].

(١) إعلام الموقعين، لابن القيم، ٢/١٧٠، وينظر إحياء علوم الدين، للغزالي، ٣/٣٩٦، وينظر سبل السـلام للصنعاني، ٨/٢٨٧-٢٨٨.

(٢) ينظر بدائع الفوائد، ٣/٧٧٣-٧٧٤، وينظر ترتيب الفـروق واختصارهـا، للبقـوري، فقـد أشـار للخلاف،٢/ ٤١٢.

(٣) طريق الهجرتين، ٥٤٥.

(٤) الرعاية لحقوق الله، ٢٨٤.

(٥) إحياء علوم الدين، ٣/٣٩٣-٣٩٤.

(٦) مختصر منهاج القاصدين، ٢٨٣.

(٧) القوانين الفقهية، ٢٨٥.

(٨) هو محمد بن مفلح بن محمد المقدسي ثم الصالحي ،شمس الدين ، أبو عبدالله ، (٧٠٨-٧٦٣هـ) تلميـذ شيخ الإسلام، ومن مدرسته، كان من أعلم أهل زمانه بمذهب الإمام أحمد ، صنف تصانيف حسنة منها: الفروع، الآداب الشرعية، أصول الفقه، وغيرها. ينظر: السحب الوابلة، لابن حميـد،٣/١٠٨٩-١٠٩٣،

لكن ما حكم العمل لو تحدث به بعد العمل؟.

يصبح العمل من السمعة، ولكن هل يبطل؟.

بعض العلماء جعل تحدثه دليلاً على أن عمله كان مشوباً بالرياء [٢].

وبهذا فله حكم الرياء مع العمل المقارن.

لكن لو كان سليماً من الرياء وتحدث به بعد فراغه من العمل مراءاةً وسمعةً؟.

قال الغزالي -رحمه الله-: ((الأقيس أن يقال إنه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراءاته بطاعة الله بعد الفراغ منها))[٣].

وقال ابن قدامة -رحمه الله-: ((فإن سلم من الرياء نقص أجره، فإنَّ بين عمل السر والعلانية سبعين درجة))[٤].

وقال الصنعاني -رحمه الله-: ((وأما إذا عرض الرياء بعد الفراغ من فعل العبادة لم يؤثر فيه إلاَّ إذا ظهر العمل للغير وتحدث به))[٥].

واستدل بحديث ضعيف على تأثير السمعة على العمل بعد فراغه [٦].

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: ((الثالث: ما يطرأ بعد انتهاء العبادة فإنه لا يؤثر عليها شيئاً اللهم إلاَّ أن يكون فيه عدوان كالمنِّ والأذى فإنَّ هذا العدوان يكون إثمه مقابلاً لأجر الصدقة فيبطلها لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ

والأعلام، للزركلي، ٧/١٠٧.

(١) الآداب الشرعية، ١/١٥٧، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخر، الرسالة، بيروت، الأولى ١٤١٦هـ.

(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي، ٣/٣٩٤، ومختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة، ٢٨٣.

(٣) إحياء علوم الدين، للغزالي، ٣/٣٩٤.

(٤) مختصر منهاج القاصدين، ٢٨٣.

(٥) سبل السلام، ٨/٢٨٧.

(٦) ضعفه الألباني في ضعيف الترغيب، ١/٣٠، برقم (٢٤)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ٥/٣٤٤، برقم (٦٨٦٤)، والضراب في ذم الرياء، ١٣٦، برقم (٤١)، ينظر السبل، ٨/٢٨٧.

صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾[1]))[2].

ومما سبق يتضح أثر الرياء على الإخلاص على النحو التالي:

أولاً: الرياء المحض:

فهذا يبطل العمل وينتفي الإخلاص في هذا العمل سواءً كان في أصله أو في أثنائه.

ثانياً: رياء التشريك:

- إن كان من بداية العمل وحتى نهايته فيبطل العمل، وينتفي الإخلاص في هذا العمـــل على الصحيح.

- إن كان في أثناء العمل:

أ- فإذا كان العمل متصلاً:

١- فإن كان عارضاً فدفعه لم يتأثر إخلاصه.

٢- وإن استرسل أبطل العمل وانتفى الإخلاص في هذا العمل على الصحيح.

ب- إن كان العمل منفصلاً:

صح في أوله و لم يتأثر إخلاصه في أوله، وبطل العمل في آخره وينتفي إخلاصـــه في آخره؛ لأنَّ آخره كان مشوباً.

- إن كان بعد الانتهاء من العمل:

فلا يؤثر في العمل والإخلاص؛ لأنَّ الرياء لا يكون إلاَّ مصاحبـــاً للعمـــل، إلاَّ إن كان مصاحباً و لم يظهر أنه مصاحب إلاَّ بعده فكالصورة السابقة في الحكم، ولكن يـأثم بنيته إن ظهر رياءه بعد العمل على نيته، والله أعلم.

وللرياء تقسيمات أخرى كما في المصادر التي ذكرت لكن ما ذكر هو المـــهم في إظهار أثر الرياء على الإخلاص والعمل، والله أعلم.

---

(١) (البقرة ٢٦٤)

(٢) القول المفيد، ٢/٢٢٨.

الفصل الرابع

السمعة

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريفها.

المبحث الثاني: الفرق بينها وبين الرياء.

المبحث الثالث: مظاهرها.

المبحث الرابع: علاجها.

المبحث الخامس: أثرها على الإخلاص.

المبحث الأول

تعريف السمعة

أولاً: تعريف السمعة في اللغة:

السمعة مشتقة من ((سمَّع)) أما معناها في اللغة.

فقد قال الخليل بن أحمد الفراهيدي —رحمه الله-: ((... والسمعة: ما سمعت به من طعام على ختان وغيره من الأشياء كلها، تقول: فعل ذلك رياءً وسمعة، أي: كي يرى ذلك ويسمع، وسمَّع به تسميعاً، إذا نوه به في الناس))(١).

وقال ابن فارس —رحمه الله-: ((... ويقال سمَّعت بالشيء: إذا أشعته ليتكلم به...))(٢). لكن ابن فارس لم يحدد طريق الإشاعة فقد تكون بالقول، أو الفعل، أو الإشارة وغيرها من طرق الإشاعة، كما أنه حصر القصد منها في أن مراد صاحبها هو أن يتكلم بها.

وقال الحميدي —رحمه الله-: ((...سمَّعت بالشيء: إذا أشعته فشاع في الأسماع...))(٣).

وقال ابن منظور —رحمه الله-: ((... والسمعة: ما سُمِّع به من طعام، أو غير ذلك رياء ليسمع ويرى، وتقول: فعله رياء وسمعة، أي: ليراه الناس ويسمعوا به...))(٤).

وهذان التعريفان الأخيران قريبان من المعنى الشرعي أيضا- على ما سيأتي بيانه بحول الله- فقد قصرا الإشاعة على ما شاع بالكلام، وسمعه الغير؛ فالعمدة سماع الغير

---

(١) العين، ٣٤٩/١.

(٢) معجم المقاييس في اللغة، ٤٩٢، تحت مادة ((سمع)).

(٣) تفسير غريب ما في الصحيحين، ١٧٢.

(٤) لسان العرب، ٢٠٤/٢، وينظر الكليات، لأبي البقاء، ٤٩٦.

للمشاع.

ثانياً: تعريف السمعة شرعاً:

تنوعت عبارات أهل العلم –رحمهم الله– في بيان المعنى الشرعي للسمعة، ويجمعها اتجاهان:

الاتجاه الأول:

أن السمعة تكون بعد العمل، وعلى هذا سارت تعريفاتهم:

١- قال العز بن عبد السلام –رحمه الله–: ((والتسميع: أن يذكر ما عمله خالصاً لله ليحصِّل أغراض الرياء))(١).

٢- وقال النووي –رحمه الله–: ((... وكذلك التسميع: وهو أن يعمل لله في الخلوة ثم يحدث الناس بما عمل))(٢).

٣- وقال المناوي –رحمه الله–: ((والسمعة –بضم فسكون–: التنويه بالعمل ليسمعه الناس... فالسمعة: أن يعمل لله خفية ثم يتحدث بها تنويهاً))(٣).

الاتجاه الثاني:

أن السمعة تكون مع العمل وعلى هذا سارت تعريفاتهم ومن ذلك:

٤- قال شيخ الإسلام –رحمه الله– في تعريف الرياء والسمعة: ((وضد هذه النية: الرياء والسمعة، وهو إرادة أن يرى الناس عمله، وأن يسمعوا ذكره))(٤).

٥- وقال ابن حجر –رحمه الله–: ((والسمعة –بضم المهملة وسكون الميم– مشتقة من سمع، والمراد بها نحو ما في الرياء لكنها تتعلق بحاسة السمع، والرياء بحاسة البصر))(٥).

---

(١) القواعد الصغرى، ١٨٨.

(٢) شرح الأربعين النووية، ١٩.

(٣) فيض القدير، ٢/١٢٣.

(٤) شرح العمدة، ٥٧٧.

(٥) فتح الباري، ١١/٤٠٨، وينظر تحفة الأحوذي، للمبار كفوري، ٧/٤٤.

١- وقال البهوتي[١] -رحمه الله-: ((والسمعة: إظهار العمل ليسمعه الناس))[٢].

٢- وقال سليمان بن عبد الله آل الشيخ: ((والسمعة: العمل لأجل سماعهم))[٣].

ومن التعريفات الشرعية السابقة لأهل العلم يتضح ما يلي:

١- الاتفاق على أنَّ السمعة تتعلق بحاسة السمع.

٢- الاختلاف هل تكون السمعة بعد العمل أم معه؟.

وهذا الاختلاف له أثره في القول بأنَّ السمعة من نواقض الإخلاص أو ليست من نواقضه؟

علماً أنَّ بعض من عرَّف السمعة بأنها تحدث بعد العمل، لم يكن قاصداً أنها لا تنقض الإخلاص وتحبط العمل، وصرح بهذا الحكم النووي -رحمه الله- وسيأتي بيانه بحول الله في حكم السمعة[٤].

٣- الذي يبدو -والله أعلم- صحة التعريف بالاتجاه الثاني لما سيأتي إيضاحه بحول الله في مبحث حكم السمعة.

---

(١) هو منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن إدريس البهوتي (١٠٠٠-١٠٥١هـ) الحنبلي شيخ الحنابلة بمصر ، نسبته إلى بهوت في غرب مصر من مصنفاته: الروض المربع شرح زاد المستقنع، كشاف القناع عن متن الإقناع، وغيرهما. ينظر: السحب الوابلة، لابن حميد، ٣/١١٣١-١١٣٣، والأعلام، للزركلي، ٧/٣٠٧.

(٢) كشاف القناع، ١/٣٢٥، وينظر حاشية العدوي، ١/٢٥٦.

(٣) تيسير العزيز الحميد، ٥٢٥، والضمير في سماعهم عائد على الناس.

(٤) ينظر شرح الأربعين النووية، للنووي، ١٩.

المبحث الثاني

الفرق بين الرياء والسمعة

من تعريف السمعة والرياء السابق ذكرهما يتضح الفرق بينهما، ومن هذه الفروق:

١- الرياء يتعلق بحاسة البصر، أمَّا السمعة فتتعلق بحاسة السمع(١).

وعلى هذا فلا تكون السمعة إلاَّ فيما يُسمع كقراءة القرآن ونحو ذلك.

مسألـــة:

قد يقال لماذا عدَّ من الأمور التي قد يراءى بها الرياء بالقول -كما سبق بيانه- مـــع أنَّ الرياء يتعلق بحاسة البصر بخلاف السمعة التي تتعلق بحاسة السمع؟ فكان الأولى أن يـــدرج ضمن السمعة لا فيما يراءى به؟

والجواب:

أ- ليس المقصود بالقول التسميع وإنما الدلالة بالقول على العمل المظهر، وتعريف الســامع بالعمل لينظر إليه ويجله على أنه من العلماء أو الزهاد ونحوه، فينظر إليه بهذا.

ب- بعض العلماء لا يفرق بينهما ـأي بين السمعة والرياء ـ؛ لأنَّ أحكامهما واحدة فتراه يطلق اللفظين على الكل(٢)، و قد سبق بيان ذلك في تعريف الرياء، والله أعلم.

٢- أعمال القلوب مصونة عن الرياء كما سبق بيانه في الرياء، إذ لا رياء إلاَّ بعمل يـــرى، لكنَّ التسميع قد يحدث بها، ومثل أعمال القلوب الصوم فإن التسميع قد يحدث به (٣).

٣- الرياء متفق على أنه ينفي الإخلاص في العمل الذي يخالطه -على التفصيل السابق- أمَّـا السمعة فاختلف فيها على قولين سيأتي بحول الله بيانها في حكم السمعة.

---

(١) ينظر المصادر السابقة المذكورة في تعريف السمعة.

(٢) ينظر على سبيل المثال: الرعاية لحقوق الله، للمحاسبي، ٢٦٥.

(٣) ينظر مبحث الأمور التي يراءى بها صـ ٣١٢ .

المبحث الثالث

حكم السمعة

السمعة من الأمور التي ارتبطت بالمقاصد، والمقاصد حسنة وسيئة، محمودة ومذمومة، وعلى هذا فإنَّ السمعة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: السمعة المحمودة:

ويقصد بها التسميع بعمل أراد صاحبه به وجه الله سبحانه وتعالى وحده، لكن لمقصد شرعيٍّ أظهر العمل بحديثه عن عمله، كالتعليم والاقتداء ونحوها من المقاصد الشرعية.

ومن الأدلة الدالة على جواز هذا النوع ما يلي:

١- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به)[١].

وقد دلَّ قوله "يجهر به" على جواز الجهر بالعمل لمصلحة شرعية.

٢- وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال لي النبي صلى الله عليه سلم: (اقرأ عليَّ القرآن، قلت: آقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري)[٢].

ودلَّ هذا الحديث على جواز الجهر بالقرآن -ويقاس غيره عليه- لمصلحة شرعية.

قال الطبري -رحمه الله-: (كان ابن عمر، وابن مسعود، وجماعة من السلف

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، ٣٣٧/٣، برقم (٧٩٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب من أحبَّ أن يسمع القرآن من غيره، ١١٧/٩، برقم (٥٠٤٩).

يتهجدون في مساجدهم، ويتظاهرون بمحاسن أعمالهم، ليقتدى بهم)[١].

القسم الثاني:السمعة المذمومة:

وهي إظهار العمل بالقول لأجل أن يسمعه الناس، مريداً بهذا العمل الناس.

وهذه السمعة محرمة، ومن أدلة تحريمها:

١- قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾[٢].

قال المباركفوري -رحمه الله- في هذه الآية: ((وقيل إنَّ حمل الآية على العموم أولى فيندرج الكافر والمنافق الذي هذه صفته والمؤمن الذي يأتي بالطاعات، وأعمال البر على وجه الرياء والسمعة))[٣].

٢- وقال عليه الصلاة والسلام: (من سمع يسمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به) [٤].

٣- وقال عليه الصلاة والسلام: (من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه وصغره وحقره)[٥].

وأدلة تحريم الشرك الأصغر والرياء تدل على تحريم السمعة؛ لأنَّ العلة واحدة وهي طلب غير الله بالعمل.

وتنقسم السمعة المذمومة إلى نوعين، وهما:

النوع الأول:

تسميع الصادقين: وهي أن يعمل الطاعة ثم يحدث بها ليعظمه الناس ويوقروه، أو يعمل العمل مسمعاً به أثناء العمل، كقراءة القرآن على وجه السمعة.

---

(١) فتح الباري، لابن حجر، ١١/٤٠٩.

(٢) (هود ١٥)

(٣) تحفة الأحوذي، ٧/٤٩.

(٤) سبق تخريجه في مبحث مفاسد فقد الإخلاص صـ ١٣٦.

(٥) سبق تخريجه في العلاج النظري للرياء صـ ٣١٧.

النوع الثاني:

تسميع الكاذبين: وهي ألا يعمل ويدعي أنه عمل مسمعاً بما لم يعمله، كمن يقول: صليت، ولم يصل، وزكيت ولم يزك...الخ.

وهذه أشد حرمةً وإثماً من الأولى؛ لأنه زاد على إثم التسميع إثم الكذب [١].

ولا شك في تحريم السمعة المذمومة للأدلة السابقة، لكن ما أثرها علـــى العمـــل، وعلى الإخلاص في العمل، هل تبطل العمل لفقد الإخلاص أم لا؟.

ظاهر صنيع الأئمة المتقدمين أنها كالرياء في إبطالها للعمل لفقد الإخلاص بها، وقد بوبوا أبواباً تجمع بينهما كما فعله البخاري -رحمه الله- [٢]، والإمام الترمذي -رحمـــه الله- [٣]، وقد ساق رحمه الله الأدلة التي تدل على بطلان العمل في هذا البـــاب دون أن يفرق بين السمعة والرياء [٤].

وكذلك ابن ماجه -رحمه الله- وقد ساق الأحاديث المبطلة للعمل مباشـــرة بعـــد التبويب، ومن هذه الأدلة:

قال عليه الصلاة والسلام: (قال الله عز وجل: أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمـــن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري، فأنا منه بريء وهو للذي أشرك)[٥].

ولم يفرق رحمه الله بين السمعة والرياء [٦].

وقد صرح بعض العلماء ببطلان العمل الذي ترد عليه السمعة، ومنهم من صـــرح بكونها كالرياء، ومن هؤلاء:

---

(١) ينظر قواعد الأحكام، للعز بن عبد السلام، ١/١٠٧.

(٢) ينظرصحيح البخاري، ١١/٤٠٨.

(٣) ينظر سنن الترمذي، ٧/٤٤.

(٤) ينظر المصدر السابق، ٧/٤٤-٥٠.

(٥) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة، ٤/٤٦٩، برقم (٤٢٠٢)، وأصل الحديث في الصحيحين وقد سبق تخريجه في مبحث حكم الإخلاص صـــ ٣٣ .

(٦) ينظر سنن ابن ماجه، ٤/٤٦٩.

١- قال النووي -رحمه الله-: ((وكما أن الرياء محبطٌ للعمل، كذلك التسميع))[(١)].

٢- وقال شيخ الإسلام -رحمه الله- بعد أن بين أن النية تقع بمعنيين أحدهما الإخلاص؛ قال عن الإخلاص: ((... وضد هذه النية الرياء والسمعة ...))[(٢)].

وصرح في موطن آخر أنَّ السمعة والرياء يبطلان عمل المصلي[(٣)]

٣- وقال ابن حجر -رحمه الله- مسوياً بينها وبين الرياء في الحكم: ((والمراد بها نحو ما في الرياء لكنها تتعلق بحاسة السمع...))[(٤)].

ومن العلماء من ذهب لتحريمها، لكن قال إنها لا تبطل العمل ولا تنفي الإخـــلاص في العمل؛ لأنها ترد بعد العمل لكنها قد تعكر على العمل من جهة كونها معصية، ومـــن جهة الموازنة لا من جهة الإحباط، بخلاف الرياء فإنه مفسد؛ لأنه مقارن للعمل[(٥)].

وبهذا فإنهم لا يعدون السمعة من نواقض الإخلاص.

والذي يظهر -والله أعلم- أن القول: بأن السمعة لا تفسد الإخلاص، ولا تحبـــط العمل، لأنها بعد العمل قول مرجوح؛ لأن عمدة صاحب هذا القـــول أن الســـمعة لا تكون إلا بعد العمل، وهذا غير صحيح، فإن قاريء القرآن الذي يقرأه مسمعا به مريداً بذلك الناس قد قارنت عمله -القراءة- السمعة، فتفسده لأنها قارنته، ويشهد لهذا المعنى وهو أن السمعة قد تكون مقارنة للعمل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- حيث قال رضي الله عنه: ((إن عبد الله بـــن

---

(١) شرح الأربعين النووية، ١٩.

(٢) شرح العمدة ((قسم الصلاة))، ٥٧٧.

(٣) ينظر الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام، ٤/٥٩٩.

(٤) فتح الباري، ١١/٤٠٨، وينظر ترتيب الفروق واختصارها، للبقوري، ٢/٤١٢، وينظر تحفة الأحـــوذي، للمبار كفوري، ٧/٤٤، وينظر تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله آل الشـــيخ، ٥٢٤، وينظـــر حاشية العدوي، ١/٢٥٦، كلهم أبطل العمل بالسمعة وعدها قرينة الرياء.

(٥) ينظر الفروق، للقرافي، ٤/٢٢٨، وينظر تهذيب الفروق والقواعد السنية، لمحمد علي المـــالكي، ٤/٢٤٨، وينظر الفواكه الدواني، لأحمد غنيم النفراوي، ٢/٣٢٨.

حذافة السهمي قام يصلي، فجهر بصلاته فقال له النبي صلى الله عليه وســـلم: (يا ابن حذافة: لا تسمعني، وأسمع ربك عز وجل)[١].

واستدل بهذا الحديث الحافظ ابن الحجر -رحمه الله- على وجوب إخفاء العمل لمن لم يأمن على نفسه الرياء والسمعة[٢].

والمتأمل للحديث السابق يجد أن القاريء نهي عن القراءة والتسميع بها خوفا علـى عمله من السمعة، ويظهر أيضا أن السمعة قد تقارن العمل، ولهذا نهي عن رفع الصوت والتسميع بالقراءة خوفا من السمعة التي قد تفسد العمل؛ لأنها صحبته والله أعلم.

مما سبق بيانه يتضح صحة الاتجاه الثاني في تعريفهم للسمعة وأن السمعة قد تكـــون مقارنة للعمل وقد تكون بعده، والله أعلم.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ٢٧٨/٨، برقم (٨٣٠٩) وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ٢٣٢/٢، برقـــم (٢٩٠٨)، قال الحافظ بن الحجر رحمه الله في الفتح، ٤١٠/١١: ((وسنده حسن)) وصحح إسناده أحمـــد شاكر رحمه الله في تعليقه على المسند، ٢٧٨/٨.

(٢) ينظر فتح الباري، ٤٠٩/١١.

المبحث الرابع

مظاهر السمعة

للسمعة مظاهر كثيرة، ومختلفة، وسأورد بحول الله بعضاً من هذه المظاهر لاجتنابها، وتحذيراً للمسلم من الوقوع بها، ويقاس غيرها عليها مما لم يذكر، علماً أنّ ما ذكر قــد لا يكون منها، لأن ذلك بحسب قصد القائل ونيته، وهذا يعلمه المرء من نفسه، ولكــن يغلب على هذه الصور والمظاهر أنها من مظاهر السمعة، ومن المظاهر ما يلي:

١- كثرة إطراء النفس، والحديث عنها، وعن أعماله وتضخيم العمل الذي يعمله؛ لكي يعجب السامعون بعمله، ومن ثم يلفت النظر إليه.

٢- احتقار أعمال الآخرين، واستصغارها، وإبراز عيوب أعمالهم، وتأويل كلامــــهم، وتسفيه آرائهم، مع تضخيم عمله ويقارن بينه وبين عمل الآخرين ليبرز فضل عمله على عمل غيره.

٣- استخدام وسائل الإعلام المختلفة لإبراز عمله، ولإطرائه دون الاكتفاء بعلم الله لمــا عمل، بل لا يهدأ له بال حتى تبرز وسائل الإعلام المختلفة أعماله، وتراه يســتأنس بإطرائها لعمله، وخلع الألقاب المختلفة عليه وعلى عمله: المحسن الكبير، المخلــص لوطنه،... وغيرها من ألفاظ التبجيل والتمجيد.

٤- التمطيط بقراءة القرآن، وإخراجها عن الحد المشروع في القراءة، حــتى يخيــل أنّ القارىء لا يقرأ القرآن وإنما ينشد الشعر، ومنهم من يجمع النــاس حولــه، فــإذا أعجبتهم آية قد قرأها لهم بصوت معين كرر الآية مرة أخرى، وبأصوات مختلفــة ليطرب السامعين وينال إعجابهم.

٥- إذا أحسن المسمع لإنسان تراه يردد على من أحسن إليه ذلك المعــــروف فخــراً بمعروفه، ومناً على المحسن إليه، ولو كان قصده لله لاحتسب الأجر ولانتظر الثواب

من الله، دون أن يضيق على المسلم بترداد معروفه الذي صنعه على سمع من أُحسن إليه.

٦- استئجار الشعراء والخطباء لكي يثنوا عليه، ولكي يطروا أفعاله، وحتى يضخموا أعماله، ليسمع الناس بها ويتحدثوا عنها.

٧- لا يعطي ولا يمنح إلاَّ من يذكر عمله، ويثني على فعله، وأمَّا الذي لا يعرفه، ولا يذكر صنعه للناس فلا يعطيه ولا يمنحه.

٨- إذا ألقى درساً أو موعظة، و لم تلق مدحاً أو ثناءً تراه يغضب، وتضيق نفسه، بل وربما ترك ذلك كله بسبب عدم الإطراء وترك الثناء، ولو كان محتسباً لصبر على تعليم الناس،ووعظهم، ولما غضب من تركهم لمدحه.

٩- إذا درس علماً، أو ناقش مسألة لا يحيل إلاَّ لكتابه تاركاً كتب من هو أعلم منه، وأفقه منه مع علمه بذلك؛ ليسمَّع بأنه مؤلف، وأنَّ كتبه بنيت على علم وتحقيق وأنَّه في غاية التدقيق لما يكتبه، وغايةً في الاستقصاء والفهم وجودة القريحة.

١٠- يحرص على جمع العلماء، وطلاب العلم، ويتقدمهم بالكلام، وتفصيل المقال، ويتندر أمامهم بغرائب المسائل مع علمه أنَّ بضاعته قليلة، ولو أحسن القصد لترك الأمر لأهله، ولما تقدمهم بالحديث مع علمه أنهم أقدر وأحق بما تصدر له دونهم.

١١- إذا سمع واعظاً أو مدرساً اعترض عليه وسفه رأيه بين الناس ليوهم السامعين بعلمه، ولكي يجذب أنظارهم إليه.

١٢- لا يطرق من المسائل إلاَّ ما وافق هوى سامعيه إرضاءً لهم؛ لأنه لو لم يفعل ذلك لخسر حبهم، وودهم ولا نقطع نفعهم عنه، فيجتنب المهم من الأمور ويترك التحذير من المنكرات الشائعة حتى لا تضيق صدورهم به، ويقطعوا نفعهم عنه.

١٣- سليط اللسان على الضعفاء، هينٌ لينٌ مع الأقوياء وكبار القوم، فلا يغلظ لهم الخطاب كحاله مع الضعفاء، وربما تذمر من سؤال الضعيف، وأعرض عن مقاله، غير عابيءٍ به وبأمره.

أما علية القوم، وذووا المناصب والجاه فيقصد رضاهم ويصغي لمقالهم، ويسعى في جواب استفسارهم مبتغياً نوالهم.

١٤- يأنف من كتابة ما يقوله، ويلقيه للناس من درس وموعظة مع علمه أنَّ الكتابة أتقن له لقلة ما عنده أو لسوء حفظه، ومع ذلك يحرص على إلقائه من حفظه ليتحدث الناس بحفظه و قوة استحضاره.

١٥- يكره النقد لقوله وحديثه ولو جانب الصواب في مقاله وحديثه؛ حتى لا يضيع جاهه عند الناس ولو شاطره الحديث غيره لغضب منه، لأنه يريد صرف النظر إليه وحده.

١٦- يكثر من ألفاظ التعظيم والتفخيم في حديثه عن نفسه، كنحن، فعلنا، قمنا، ونحوها.

١٧- يحرص على أن يقارن قوله بأقوال الأئمة السابقين مفضلاً قوله على قولهم، ولا ينسب الفضل لصاحبه إن استفاد منه علماً أو فهماً.

١٨- لا يحرص على الأفضل في حقه من الإخفاء لعمله أو الإسرار لقوله، بل يحرص على الإعلان دائماً ولو كانت المصلحة في الإسرار والإخفاء.

المبحث الخامس

علاج السمعة

سبق الحديث عن علاج الرياء، والرياء والسمعة قرينان وداءان متوافقان؛ وعليـــه فعلاج الرياء المذكور هو علاج للسمعة.

المبحث السادس

أثر السمعة على الإخلاص

سبق بيان حكم السمعة، وأنها مفسدة للإخلاص كالرياء، ولكنَّ الريـــاء يتعلـــق بحاسة البصر، وأما السمعة فتتعلق بحاسة السمع أمَّا من حيث الحكم فحكمهما واحـــد ولذا كان أهل العلم -كما سبق بيانه في حكم السمعة- يقرنون بينهما.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- عن السمعة: ((والمراد بها نحـــو مـــا في الريـــاء ...))[1].

وعليه فإن أثر السمعة على الإخلاص كأثر الرياء على الإخلاص، وقد سبق تفصيل القول فيه، وعرضت هناك أثر السمعة بعد العمل على الإخلاص عند ذكر أثر الريـــاء بعد العمل على الإخلاص، وعلى هذا فأثر السمعة على العمل وعلى الإخلاص فيه، هو كأثر الرياء على العمل وعلى الإخلاص فيه وبتفصيلاته السابقة، فيكتفي بذلـــك عـــن إعادة القول فيها، والله أعلم.

---

(١) فتح الباري، ٤٠٨/١١، وسبق نقله في حكم السمعة.